

المجاز وأثره في الدرس اللغوي

دكتور

محمد بدرى عبد الجليل

أستاذ البلاغة العربية المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
شبروت - ص.ب. ١١٠١٩



المجاز وأثره في الدرس اللغوي

محمّد بربري عبد الجليل

دكتور

محمّد بربري عبد الجليل

أستاذ البلاغة العربية المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر
ميدان - ص.ب. ١١-٧٢٩



حقوق الطبع محفوظة

١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ



دار النهضة العربية
للطباعة والنشر

• الإدارة : بيروت، شارع مدحت باشا -
بناية كريدية تلفون: ٣١٢٢١٣ -
برقياً: دانهضة -
ص.ب.: ٧٤٩ - ١١ -
تلکس: NAHDA 40290 LE

• التوزيع : شارع البستاني - بناية اسكندراني
رقم ٣ غربي جامعة بيروت
العربية - تلفون: ٣٠٣٨١٦ -
٣١٦٢٠٢.

إهداء

إلى والديَّ تحيةً عرفانٍ وتقديرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَةٌ وَمِنْهَجٌ

هذا الموضوع واسع سعة الفكر العربي بعيد ما بين الجوانب يحتاج إلى جهد وعناء . . أظن أنه قد بذل ولن أسترسل في الحديث عنه فلست بمطر عملا ولا بمزك نفسا إذ قد اعتيد ذلك من الباحثين على اختلاف مناحيهم .

بيد أن الحديث عن المجاز تجده في أصول النحو وأصول الفقه ، وفي فقه الشريعة وفقه اللغة ، وفي الوضع والمعاجم ، وفي الأدب والبلاغة وفي النقد والصرف ، وفي الجدل والمنطق وفي التفسير . . هو حديث عن دلالة اللفظ العربي وهو ذو تاريخ على ما فيه من تنوع وتغير طويل يرجع إلى أربعة عشر قرنا من الزمان ، وعلى ما فيه من طول تنقطع به الأسباب إن قبلا وإن بعدا إذ إن معاني الألفاظ غير ثابتة ، وإنما تتغير بتغير ما حو لها لا تلبث أن تجد الحياة متغيرة حتى ينتظمها التيار الجديد ، فيخلع عليها ملابساته بهدي من اللغة ، وهو خيط دقيق هام لا مناص منه ولا مندوحة عنه ، وهو النظام الضابط لها على مر التاريخ وهذا ما يجعل أمر الدلالة شاقا عسيرا ، ويكفي أن نشير إلى أن مدلولات العقيدة مثلا ألفاظ تجد فيها المعاناة ، خاصة أن المتناولين ما بين سني ومعتزلي وفقه وأديب كل منهم يدلي في هذا المجال بدلاء .

ودفعني إلى هذا البحث إشفاق على الباحثين لما هناك من خلط لم يكن سببه سوى هذا المجاز الذي سير وفق مسبقات إنتاجا وتقبلا ، ودفعني ليه

إعجاب بتأصيل لديهم لكن قلّت العناية به، وأخذ النفس بريق الحضارة الغربية فسعى إليها من سعى في غير رفق بينما أصولنا كامنة ، ودفعني إليه حرب حضارية شعواء تشن علينا ، وبعدها قدر إذ لأمرٍ ما قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » .

أما التصور لهذا الموضوع « المجاز وأثره في الدرس اللغوي » فإلى العنوان كاشفه لما يعنينا في هذا البحث . هو المجاز اللغوي الذي يكون له أثر في الدرس اللغوي ، وسرى البحث بخطة تعادلت مرة إثر مرة لأن البحث في رأيي هو المحدد . وإن قدر الإنسان ودبر ، وكانت المصطلحات بضخامتها ، والتكرار الممل الذي يعين على الصرف عنه لا إليه ، وقد تجد الفكرة الواحدة بمصطلح متعدد ، والمصطلح الواحد يعث به غير واحد في غير موضوع وشتان ما بين الدلالات ، ومن ثم كان رصد هذه التأليف بهامش الصفحات لبيان أمرين : أولهما التداول والشيوع وثانيها ما وراء أهل هذي المصادر من مدارس صدروا عنها وانتموا إليها ، وكانست المعاناة لطبيعة الموضوعات مما صبغ التعبير بصبغة لم يكن منها بدكان أساسها تحديد المراد ما أسعف القلم .

ومن ثم رأيت أو ارتأي البحث – أن تكون هناك مقدمة تضمن أهم الأسس التي تناط بما بين المنتج والقابل تمهيدا للكلام عن المجاز ، ثم يكون الكلام عن المجاز تبعا لمعنى اللفظ لغويا ثم اصطلاحيا مع مراعاة ما وراء هذي التعبيرات من دوافع كان إيرادها على أساس أنها كاشفة عن طبيعة التجوز ، ووجدت مادة معينة على هذا التصور في البحث عن الأسباب الدافعة للتجوز لأن السبب الذي من أجله يطلب الشيء إنما يكشف عن طبيعة هذا الشيء . . .

لكن ليس هذا هملا وإنما تحده حدود وتقيده قيود فرض البحث ضرورة أفراد حديث عنها بما يمكن أن نسميه طرائق إيجاد أو أنواع إبداع

وشروط استنها العرب بعامة ، ثم الربط بينها وبين مصطلح العصر ، — وكانت قسمين : علاقات بما هي جهات تجوز ، وقرائن حاولنا فيها تطبيقا واستنتاجاً وكلاهما شرط وجود المجاز صحيحا بقصد الإفهام هما علة وجود وتطور .

لكن قد توجد الشروط والقوانين عند المنتج ثم لا نجد لها أثرا للسبب أو لآخر ، فلم يكن بد من معرفة طريق الإثبات لهذا التجوز تعويلا عليه وحسما للخلاف فكان الحديث عن مسالك التجوز بما هي حديث عن نوعية الدلالة له أو المعجم الخاص بالتجوز .

وهذا يعد الجانب الأول من البحث ، أما الجانب الثاني فكان وفق العنوان أثر هذا في الدرس اللغوي — عنايتنا — فأملى البحث كلاما عن قيمة هذا التجوز بما هي آثار وهو لب الموضوع كلاما عن المصطلح وبيان دقته ومزلقه . .

ومن موافقات الدرس استخلصنا عناوين كبيرين للكلام عن المشاكلة والاعتبار — بما هي وجوه دلالة — اندرج تحتها أثر ذلك على اللغة فهما وإصدارا ، دلالة وصياغة .

ثم ختام ذلك تلخيصا لأهم النتائج . . وكان المنهج :

أن نخرج البحث في مقدمة وبابين وخاتمة :

المقدمة

الباب الأول في ثلاثة فصول (المجاز في معايير الفكر — الفصل الأول ماهيته ، الفصل الثاني قوانين التجوز ، الفصل الثالث نوعية الدلالة)

الباب الثاني في ثلاثة فصول (أثر المجاز في الدرس اللغوي — الفصل

الأول : قيمته ، الفصل الثاني الاعتبار ، الفصل الثالث المشاكلة (ثم الخاتمة .

وإذا كان التقدير الذي حصل عليه هذا البحث – أطروحة دكتوراه
هو مرتبة الشرف الأولى فإن هذا ليس جهيزة التي تقطع قول كل خطيب
بيد أن الذي ننص عليه هو أن مجمع اللغة العربية كان له تقديره أيضا لما
عرض عليه من نتائج بما اتخذ من قرار .

اللهم اجنبنى وقلمي أن تقع في الخطأ

الدكتور محمد بدرى عبد الجليل

الاسكندرية في ٢ / ١١ / ١٩٧٥

المقَدِّمة

الإنتاج اللغوي بين المنتج والقابل

إن اللغة ترتبط بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً « والذي يذهب إليه العلم حديثاً هو أن اللغة ظاهرة اجتماعية كسائر الظواهر الاجتماعية » ومعنى هذا « أنها من صنع المجتمع الإنساني . ولا يعرف مجتمع إنساني منذ أقدم عصر سجله التاريخ بلا لغة ناضجة التكوين »^(١)

ولغتنا وصلتنا تتحدى . . ولها من الخصائص والتقاليد ما ذاع وتعرف ومن ثم قرر المحدثون أن « شيوع القوالب والأساليب المأثورة المعتادة في الشعر الجاهلي إن عدّ لونهاً من ألوان الجمود فهو في الوقت نفسه يصور عراقة هذا الشعر وإيغاله في القدم ، بما يسمح برسوخ تقاليد معينة له يصبح لها مع مرور الزمن سلطان قاهر يبلغ بها حد الجمود . ثم إنه في الوقت نفسه يصور نضج هذا الشعر وبلوغه حداً تصور معه أصحابه أنه غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد فالجمود لا يجيء إلا بعد النضج لأنه في حقيقة أمره وقوف عند مرحلة من المراحل يحمدها عليها أصحابها لتوهم كمالها »^(٢)

(١) د . محمود السمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ص ٥٥ س ١٣

(٢) د . محمد حسين : تحقيق ديوان الأعشى : حياته وفنه : ص ٣٢ س ٨

وهي ليست ألفاظا ترص أو تعبيرات مجازفة أو أساليب لافتة لاتحمل في أطوارها فكرا ، وإنما هي ذلك الوعاء الدقيق الصنع الذي يشتمل على هذه المعرفة ، وبقدر دقته وتناسقه يكون أثر هذه المعرفة في رقي الأمة ودقة رؤيتها للأشياء والحكم عليها والاستنباط الدقيق للنواميس الهادية لهذه الأمة في مسيرتها التاريخية .

واللغة تسائر حياة المجتمع في مراحل حياته المتتابعة منذ كان يعيش على البسادة ثم ما كان من أمر تدرجه ثم ما سيكون مقدر له ، ونرى اللغة حاملة في طياتها آثار التطور وخصائص حيوانه وسمات مراحل انتقاله بما هي مرآة تنعكس عليها ظروفه وأداة تدور مع المعاني المرادة في إحكام دقيق متفاعلة مع المجتمع ، مشاركة في صنعه وتوجيه حياته .

وتفسير هذه الأطوار أمر ليس باليسير يقتضي النظر للمجتمع والتعرف على دواعي الحياة إذ هي والظروف كلاهما رهن الآخر والذي يعيننا هذا الذي يكون بين المنتج قائلا أو كاتباً وبين المخاطب سامعاً أو قارئاً .

أنت لا تستطيع أن تفهم شيئاً بعينه خاطئاً من صديقك لما ارتسم واستقر في ذهنك ، فقد يأتي إليك آت من الناس فيرسل قولاً على عجل ، فما إن ينصرف حتى أشرع أحكم عليه بأنه قد أساء الأدب بينما لا ترى أنت في ذلك شيئاً من ذا وتخطبني موجهاً : إنك لا تعرفه ؟ وتأخذ تضيف على العبارة ما يخلع دلالة معينة لا تنصرف إليها معاني الألفاظ فيما وضعت له أو تعرف عليه .

وقد حمل لنا التاريخ تعليق رسول الله صلى الله عليه وسلم على حادثة حاطب بن أبي بلتعة قائلاً : « أليس من أهل بدر ؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعلموا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت

لكم « فدمعت عينا عمر ^(١) الذي أراد إلى قتله ، ويسأل الرسول مخاطباً فيجيب : أردت أن يكون لى عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق ولا تقولوا له إلا خيراً ، وهي إضافة تثبت شيئاً وتنفي أشياء ، وتوجيه لما ينبغي أن يكون عليه الفهم وما يستتبعه من أمور دين أو أدنيا ، وتحديد لما ينبغي أن يوجه إليه الذهن وقد استدلل بذلك على أن « من فعل مثل فعله وليس ببدرى أنه يقتل » ^(٢).

ومن ثم كان من العبث أن يطلب إليك التجرد من الملابسات التي أضحت دلالات لا سبيل إلى التحرر منها ، وهذا التجرد لن يتحقق إلا لدى طرف آخر فيه ما فيه من البشرية ، ولذا كان في التحديد من الصعوبة ما فيه رغم ترسمه الأمر الذي كان ينبغي أبو القاسم الآمدي ٣٧٠ هـ في الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى إذ يقرر غير مرة حيده وعدم تحيزه وميله ، ولكنه ما إن يشارف النهاية حتى تجده قد وقع للبحترى أسيراً ، وقد قرروا اختلاف الناس في أمره فيما يحكيه ياقوت ٦٢٦ هـ « ولأبي القاسم تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها منها كتاب الموازنة بين البحترى وأبي تمام في عشرة أجزاء ^(٣) وهو كتاب حسن وإن كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب إليه الميل مع البحترى فيما أورده والتعصب على أبي تمام فيما ذكره ، والناس بعد فيه على فريقين ،

(١) البخاري : صحيح البخاري : ج ٣ ص ٦ س ٥ من أسفل + القسطلاني : إرشاد السارى - معجم بأسماء من شهدوا بدرًا - ج ٨ ص ٤٢ + أسامة بن منقذ ٥٥٨ هـ التاريخ البدرى + الحلبي : إنسان العيون : ج ١ ص ٢١٥ - ٢١٧

(٢) السهيل : الروض الأنف : ج ٢ ص ٢٦٧

(٣) هذا يلتقى ضوءاً على مفهوم الجزء . والمجلد . و . .

فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحري وغلبة حبه لشعره ، وطائفة أسرفت في التقبيح لعصبه ، فإنه جد واجتهد في طمس محاسن أبي تمام ، وتزيين مرذول البحري ولعمري إن الأمر كذلك ^(١) .

ولعل شيئا من ذا يعبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقرر : « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلني فيما ولا أملك » ^(٢) قال الترمذي ويعني به الحب ^(٣) وفيه تحديد المراد من العدل في قوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ١٢٩ م النساء ٤ .

ولذلك كان هذا التجريد صورة من صور الإعجاز سطرها محمد البهي صدد حديثه عن جانب موضوعية القرآن في مبادئه أي جانب تجردها عن العوامل الشخصية تجردا مطلقا منها إيمان دعوة القرآن برسالة الحضارة السابقة ثم الدعوة إلى الترابط بين الأفراد على أساس القيم العليا في حياة الإنسان إلى غير ذلك ثم ختمها بقوله : « إن جانب تجرد المبادئ القرآنية من الهوى والحزبية ومن أي عامل شخصي آخر هو جانب رئيسي في إعجاز القرآن » ^(٤)

أما لدى الجانب البشري فله مخاطره هو موضع من مواضع الزلل الفكري عند الإنسان إذ « يتفق الناس على معان مجردة ، فيحسبوا أن قد

(١) ياقوت : معجم الأدباء : ج ٨ ص ٨٧ س ٩

(٢) الأنصاري : تحفة الباري : ج ٩ ص ٤٢٢

(٣) القسطلاني : إرشاد الساري : ج ٩ ص ٤٢٢

(٤) د. محمد البهي : مجلة الوعي الإسلامي - السنة التاسعة - العدد ٩٩ أبريل ١٩٧٣

مقال : إعجاز القرآن وموضوعية التوجيه

اتفقوا بذلك على التفصيلات الجزئية التي تقع تحت ذلك التجريد» (١) ومن ثم رأى « الشافعي أن الحقيقة لا ينبغي أن تكون مجردة وبعيدة عن الواقع الذي يعيشه المجتمع ويعاني من مصاعبه وأزماته بل لا بد أن تكون موصولة الأسباب بالحياة نفسها فالتفكير الميتا فيزيقي لا موضع له عنده » . (٢)

ونال الصوفية ما نالهم من جراء التجريد ، وكذلك أصاب شيء من أولئك الذين يدعون للتجريدية في التصوير مثلا حيث يصبح الشكل والمضمون ذاتا واحدة أي نسقا من الخطوط والأشكال ومن المسطحات والبقع الملونة بنظام خاص . . . (٣)

ومما هو فرع عن هذا إرسال الأحكام وفق تصور الباحثين على اختلاف مداركهم وتباين ثقافتهم ، وما تنسم به الأبحاث من الاجزاء التي لها من العاقبة ما لوقوف القارئ على قوله « لا تقربوا الصلاة » من قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى « ٤٣ م النساء ٤ - فالأمر مرهونة بأوقاتها موصولة بأسباب حياتها وهي مسرفة الشعب إذ هي نتيجة لما قبلها موصلة لما بعدها فإن عثمان رضي الله عنه في زمانه لا يقل عن عمر في مكانه .

وإذا كان أمين الخولي قد نادى ١٩٦٦ بأن ثمة أخطاء كبرى لن يصلحها إلا جمع التراث فيما يقرره . إن في مناهج درسنا الديني والمدني

(١) د . زكي نجيب محمود - مجلة العربي - العدد ١٤٠ يوليو ١٩٧٠ - مقال « من فكر قديم إلى فكر جديد »

(٢) د. السيد أحمد خليل - مجلة تراث الإنسانية - المجلد التاسع - ٢ - ص ١٣٨

(٣) د . يوسف مراد : كتاب اهللال - أكتوبر ١٩٦٦ - علم النفس في الفن والحياة

جميعاً لأخطاء واضحة لن يصححها إلا الجمع الشامل للتراث ^(١) فإننا نقرر أن هذا حق إذا الاجتزأ إنما هو فصل خلايا عن جسمها وقد تقرر في علم الاجتماع أن « في التركيب ما ليس في المجموع والأمثلة التي تقدمها العاوم الكيميائية والحيوية حول التركيب واختلاف الجزء المركب عن الأجزاء المركب منها كثيرة . . وإذا أبينا إلا أن نضرب مثالا على الجسم المركب يختلف عن أجزائه التي يتركب منها فهذه الخلية الحية تتألف من الفحم والأزوت والأكسجين والهيدروجين الخ ولكنها تختلف عن هذه العناصر ^(٢) واللافت أن الأمر لا يتخلف فالمحلول يختلف تماما عن السائل المذيب والمادة المذابة وفي المجتمع بين أيدينا تصرفات الإنسان فردا تغاير تصرفاته في جماعة إذ « إن بعض الناس الذين يجولون في معرض للصور مع أصدقاء يحاولون أن يظهروا أمامهم بمظهر العارفين يستقبلون فعلا من لصور منبهات أكثر مما كانوا يستقبلونه لو وجدوا في المعرض بمفردهم » ^(٣)

وإذا كان هذا يجري في مناح من المجتمع فإن تطبيقه على اللغة أصل إذ إن « تأثير الكلمة الواحدة يتفاوت حسب الكلمات الأخرى التي ترد هذه الكلمة بينها ، فالكلمة التي يلبس معناها وهي بمفردها يتحدد معناها حينما ترد في سياق ملائم وهذه هي الحال دائماً فتأثير أي عنصر واحد على العناصر الأخرى التي توجد معه » ^(٤)

وتجد مثالا تطبيقيا فيما ينقله لنا الرازي « أن المشهور أن ابن عمر لما

(١) أمين الخول - مجلة الأدب - السنة الثامنة - نوفمبر ١٩٦٣ - العدد السادس ص ٣٤١

(٢) د . عبد الكريم البافي - تمهيد في علم الاجتماع . ص ٤٢٨ وما بعدها

(٣) رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي - ص ١٣٥ س ٧

(٤) رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي : الفصل الحادي والعشرون : ص ٢٣٦ س ١٥

روى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الميت ليعذب ببكاء أهله » طعنت عائشة رضي الله عنها فيه وذكرت أن هذا الكلام من الرسول كان مسبوقا بكلام آخر واحتجت على ذلك بقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى ١٦٤ ك الأنعام ٦ ، ١٥ ك الاسراء ١٧ ، ١٨ ك فاطر ٣٥ ، ٧ ك الزمر ٣٩ — لو حكى لزال هذا الإشكال » (١)

ومن الزاوية الأخرى تجد الشيخ عبد القاهر مسهبا في بيان ما جداعه أن حقيقة النظم توحي معاني النحو وأحكامه وفروقه ووجوهه والعمل بقوانينه وأصوله فيما بين معاني الكلم من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير ووضع كل معنى في وضعه اللائق ، وأن بلاغة النظم بوضع الكلام الوضع الذي يقتضيه في توحي تلك المعاني فإن كان تأليف الكلام موافقا لمعاني النحو كان صحيحا وإلا فهو فاسد . (٢)

وأيا ما كان فقواعد النحو والصرف هي التي تعين على إدراك الفروق والأسرار التي تكون بين استعمالات اللغة واستخداماتها .

قصاري القول أن الفرد وحده ليس مناط الحكم لأن ما يجري عليه ما كان ليجري لو لم يكن في جماعة تقتضي كونه جزءا منها لا وجود له بدونها منتما إليها ، يحكم عليه من خلالها وعلى تصرفاته حيالها . .

(١) الرازي : أساس التقديس : ص ١٥٠ س ٥

(٢) الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص ٦٤ س ٣ ، ص ٦٥ س ٤ ، ص ٦٧ س ٦
ص ٢٧٦ س ١١ ، ص ٢٧٧ س ٢ ، ص ٢٨٢ س ٢ من أسفل ص ٣١٧ س
٣٢٢ س ١١ ص ٣٤٧ س ٥٠٤ ، ص ٣٤٩ س ٤ ، ص ٣٧٣ س ١١ ،
ص ٤٠٣ س ٢ من أسفل ، ص ٤٠٤ س ١٣ وأنظر قبله عبد الجبار ، تنزيه
القرآن عن المطاعن : ص ٤٢٨

وكذلك الكلمة كائن يحكم عليه خلال كله ليس إلى تجاهل هذا النظام من سيل (١) .

بيد أن الأمر في اللفظة أكثر تعقيدا منه في الفرد ذلك أن هذي اللفظة أصل ارتباطا بمجتمعها تحمل على كاهلها أعباء الأعوام وفي طبائها تاريخ الأيام وبأعطافها تصاريف الأزمان، وتتنازعها البيئات قد تستخف فتلو كها الألسن لتبتذل من عزة ، وقد تستثقل لتتهجر فتتمكن من الحياة في بيئة أو أخرى أو تضع في طي الإهمال فتكون مماتا تنم عنها إشارة إن صادتها كتابة أو تفلت من هذا كله .

والأمر يغرق في التعقيد إزاء ما اكتسبته اللفظة خلال حياتها ثم ما خلغ عليها من المستخدم لها وما يكتنفها من ظروف متفاوتة إلى غير ذلك تجد صعوبة بالغة في تطهيرها مما علق بها في مراحل تطور حياتها وهذه هي معاناة الأديب إذ هو في « صراع شامل لتحرير الكلمات من المعاني المعتادة وذلك باستعمال كلمات ذات دمعان معتادة فعلا » (٢) وهذه هي الجسدة المطلوبة دائماً (٣) .

إن قيمة كل هذا إنما يعتمد على مكانه بالنسبة لهذا النظام ، وليس هذا من أفانين البيان وإنما هو واقع البنيان استقرت أصوله وتحددت لدي البيئات الفكرية على اختلافها زمانا ومكانا وطباعا فيما يبدو واضحا ممّا ترتب من أحكام كان منها :

أن عقد الشافعي ٢٠٤ هـ بابا عن الاختلاف بين الأحاديث في رسالته

(١) رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي ص ٤٦ + ١٢٢

(٢) بيرى : آفاق القيمة ص ٤٤٢ س ٧

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠٤ س ٤ من أسفل

ذلك أن اتفاق العبارات لا يعني اتفاق المدلولات .

وأن قرر عبد القاهر ٥٤٧١ هـ « أن واضع اللغة لو كان قد قال رضى مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد » ^(١) ، وأن الفصاحة « محال أن تكون صفة في اللفظ محسوسة » ^(٢) ، وأن الألفاظ لا تراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني » ^(٣)

وأن تحدث الغزالي ٥٥٠٥ هـ عن عدم ذاتية العلة إذ يقول : « أما أصل تعليل الحكم وإثبات عين العلة ووصفها فلا يمكن إلا بالأدلة السمعية لأن العلة الشرعية علامة وأمانة لا توجب الحكم بذاتها : إنما معنى كونها علة نصب الشارع إياها علامة وذلك وضع من الشارع ، ولا فرق بين وضع الحكم وبين وضع العلامة ونصبها أمانة على الحكم فالشدة التي جعلت أمانة التحريم يجوز أن يجعلها الشرع أمانة الحل فليس إيجابها لذاتها » ^(٤) .

وأن نص ابن العربي ٥٤٢ هـ على أن « المعاصي والطاعات ليست بأوصاف ذاتية للأعيان وإنما الطاعة عبارة عما تعلق به الأمر من الأفعال والمعصية عبارة عما تعلق به النهي من الأفعال » ^(٥)

وأن ذهب صاحب اللمع ٥٥٧٧ هـ ، إلى أن « العلة ليست موجبة وإنما

(١) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٤٠ . س ١١

(٢) المصدر السابق ، س ٣١١ س ١٦

(٣) المصدر السابق : ص ٤٠١

(٤) الغزالي المستصفي من علم الأصول : ج ٢ ص ٢٨٠ س ٦

(٥) ابن العربي : أحكام القرآن . ج ٢ ص ١٩٦ س ٢ من أسفل

هي أمانة ودلالة على الحكم » (١)

وأن رد الرازي ٥٦٠٦ القول بذاتية دلالة الألفاظ على مدلولاتها المتسبب لعباد بن سليمان الصيمري إذ إنها تتغير باختلاف الأزمنة والأمكنة، والذاتيات لا تكون كذلك (٢)، ذلك أن دلالة الألفاظ على نفسها ليست مستندة إلى الوضع أصلاً لوجودها في الألفاظ المهملة أيضاً بلا تفاوت نحو جسق مركب من ثلاثة أحرف . (٣)

وأن سجل الآمدي ٥٦٣١ أن « دلالات الأسماء على المعاني ليست لذواتها ولا الاسم واجب للمعنى بدليل انتفاء الاسم قبل التسمية وجواز إبدال اسم البياض بالسواد في ابتداء الوضع وكما في أسماء الأعلام الموضوعية لأرباب الحرف والصناعات لأدواتهم وآلاتهم » (٤) .

وأن ردد ابن عربي ٥٦٣٨ « التقييح والتحسين ثابتان فقط بالشرع والغرض ومن قال إن الحسن والتقيح لذات الحسن والتقيح فهو صاحب جهل عرض » (٥)

وأن بين هيوم أن « الجمال ليس صفة في الأشياء ذاتها ، وإنما هو

(١) الأنباري : الأملع . ص ١٢٠

(٢) الرازي : مفاتيح الغيب ، ج ١ ص ١٢ س ٦

(٣) الخيزاوي : تحقيقات شريفة تدقيقات مثيقة . ص ٩٣ وما بعدها

(٤) الآمدي . الإحكام في أصول الأحكام : ج ١ ص ٤٨ س ٥

(٥) محي الدين بن عربي . الفتوحات المكية : السفر الأول : الهيئة المصرية العامة .

للكتاب ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م - تحقيق وتقديم د . عثمان يحيى ، تصدير ومراجعة

إبراهيم مذكور : ص ١٨٣ ف ٢١٩ س ١٣ + انظر ٢٠٦ وما بعدها ٢٩٧

٢٩٩ + ٢٩٨

في ذهن الرائي ، أي أنه فكرة تخلعها الذات على الموضوع » (١)

وأن أكد صاحب الغربال أن « الناقد » مولد لأنه فيما ينتقد ليس في الواقع إلا كاشفاً نفسه فهو إذا استحسن أمراً لا يتسحنه لأنه حسن في ذاته بل لأنه ينطبق على آرائه في الحسن وكذلك إذا استهجن أمراً فله عدم انطباق ذلك الأمر على مقاييسه الفنية » (٢)

وبعين ذلك على تصور المدى الذي إليه أراد الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « إنما أنا بشر وأنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلى من بعض فأحسب أنه صادق ، فأقضي له بذلك ، فمن قضيت لسه بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليركها » (٣) وبلغ آخر لدى ابن الأثير (٤) إذ يقول : « الإثم ما حك في صدرك وإن أفتاك الناس عنه وأفتوك » أي وإن جعلوا لك فيه رخصة وجوازاً (٥) إجماعاً إلى هذه الدلالات التي لا يمكن أن تنقاد لنا كاملة .

ومن هنا كانت عين المحب عمن تحب كليلية ، وكان التعصب الأعمى إذ إن مجال المتعصب يبعد تماماً لأمر يصدر عنها يستحضر منها شيئاً بينما تأصلت لديه أشياء أضحت جزءاً لاسبيل إلى توضيحه ، ونحن عن هذا

(١) كولردج : د . محمد مصطفى بدوي ص ٥٠ س ١٨

(٢) ميخائيل نعيمة : الغربال . ص ١٥ س ٢

(٣) البخاري : كتاب الأحكام . ج ٤ ص ١٩٧ س ١٢

(٤) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر : مادة لحن : ج ٤ ص ٥٣ س ٣ وانظر : السيوطي . المزهرة . ج ١ ص ٦٨ س ٥ ولأن هذا القضاء لا يعمل حراماً ولا يحرم حلالاً انظر . إِبْسْطَلَانِي . إرشاد الساري . ج ١٢ ص ١٦١ .
(٥) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر . ج ٣ ص ١٨٣ س ٦ من أسفل .

كله منصرفون وهو مناط المشكلات ، فالجملة التي تنطقها تقولها وفي ذهرك خلفيات تبني عليها كلامك ، ومن أمامك يفهم ما يوحى به كلامك لغة وفي ذهنه اعتبارات أخرى وخلفيات عليها يحمل الكلام حيث تتسع الدائرة وتتعدد الأمور .

ويكاد يكون لكل إنسان معجم خاص يغير معجم الآخر ينبغي مراعاته مرتبطاً بمجتمعه ، وهذا مما يعاني منه المتصدي للتدريس حيال ألفاظ تجري على الألسنة لوازم تطلق عليهم ، وألفاظ تحمل في أذهانهم دلالة متعارفة بينما تصادف لدى الناشئة أصداء جديدة قد تدفعهم للاستغراق في الضحك مما تكون له آثاره على المنتج والقابل جميعاً وهو على العامل الزمني يعول ، وله أبعاده فيما يناط بالفروق بين الذكور والإناث تفاوت من بيئة لبيئة ومن حين لآخر .

والتقدير الإنساني على هذا الأساس من تقدير الأمور المستحضرة قائم ، ليس للوتر شدوه وللحن خدره لكن يخالف الإنسان أخاه في أمر أغنية هياما وكلفا أو بعادا ومقتا وليس من جناء طبع ولا من فساد ذوق فسي أحدهما ، وليس من رداءة صوغ ولا من قصور أداء فيها ، وبه يكون التقدير الذي حاول طه حسين في حديث الأربعاء أن ييسر لنا عن طريقه أمر الشعر الجاهلي بهذه الوجهة وإن لم ينص عليها ، لأن استحضاره ما استحضروه بعد بيننا وبينه العهد يستشف ذلك من حديثه صدد أبيات المثقب العبدى : « ثم لا ترعك هذه الأسماء التي يذكرها الشاعر والتي لا تدل في نفسك على شيء فقد كانت تدل في نفس الشاعر وسامعه على شيء كثير ، كان ذكر هذه الأماكن خير ما يستطيع الشعراء أن يعملوا إليه ليصوروا ما يملأ نفوسهم من اللفظة واللوحة والحنين لفراق المسافرين . وفي تسمية هذه الأماكن تصوير لما يجده من اتباع نفسه للمسافرين في رحلتهم الطويلة بعد أن عجز طرفه عن أن يتبعهم ، فهم الآن في هذا

المكان وهم بعد ساعات في ذاك المكان وهم الآن ينحرفون إلى شمال ، وهم بعد حين ينحرفون إلى يمين . وسل نفسك حين تودع من تحب ، وحين يمضي به القطار وتستقر بك الدار أليست تصوره لك خواطرك وقد انتهى به القطار إلى هذه المدينة أو تلك ؟ أليست تحب أن تتبعه أو أن تسايره أليست تقول إنه الآن هنا وأنه الآن هناك ؟ » (١) .

وبالأمور المستحضرة تكون غرابة الأخ على أخيه وتجاني المتخاصمين وتعاطف المتحابين ، ومفارقات الصديق على صديقه ، وموافقات المواقف ومصادفات الحياة ، واتلاف الأرواح من تعارف واختلاف الأرواح من تنافر ، ومن هنا ندرك قيمة استرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان ومعاناة الرسول صلى الله عليه وسلم رغبة في إيمان قومه ولفست القرآن عنه ، ونصه على ما كان من إبراهيم في تجربته مع أبيه ٤١ - ٤٨ لك مريم ١٩ ، بل فيما هو أدق من ذلك نكر الإنسان لنفسه حين يعاود مطالعة شيء قد كتبه لضياح معلم من معالم الاستحضار . .

وفي اللغة ألفاظ أهملت معانيها ومضى شأنها ، وانقضى زمانها وضاعت معالمها إذ « مما صح عند أهل اللغة أن هناك ألفاظا ذهبت معانيها بذهاب الجاهلية ، ولم يقف هذا الإشكال اللغوي عند ألفاظ ضاع ما تحتها ، بل انبسط على ألفاظ استترت مدلولاتها ، فعولت الأئمة في تحديدها على البصيرة وقالت فيها بالتقريب والاحتمال ، ومن هذه الألفاظ الزمان والحين والغنى والفقر والكرم واللؤم » (٢) .

وهذا هو الذي دفع الإنسان إلى التعليل إذا ما ضاعت الدلالات أنكر

(١) د . طه حسين : حديث الأربعماء - دار المعارف بمصر - ج ١ ص ١٦٧ .

(٢) بشر فارس : مباحث عربية - مطبعة المعارف ١٩٣٩ ص ٥٧ وانظر : مقدمة المجلد لابن فارس ، الصحابي طبعة . ١٩١ س ٣٤

فإذا ما كان متصلاً بالعبادة اعتقد حيث تجل المقاصد عن العقول . والتعليل أمر منوط بطبيعة الموضوع ضيقاً واتساعاً وجوداً وعدمًا ولنا فيما بين علل النحو وعلل الفقه من اختلاف مرجعه طبيعة كل منهما ما يؤكد ذلك .

إن علل النحو ليست سوى تخريج للهجات القبائل وتعليل لمظاهر السلوك اللغوي بما هو تسجيل لواقع الحياة بمقرراته ومسالكه ، ومن ثم فإن هذه العلل عقلية إذ أن الحدث النحوي أنا خالقه ومن ثم كان دعم النحاة لقياسهم بمبدأ العلية انتحالا على ما بينهم من تغاير ، وكان لهم كلام بعيد المنزع غير واضح المهيغ فتلمسوا عللاً وقاسوا عليه كل ما يشترك معه في علته ؛ وتنوعت العلل عندهم من علة تشبيه كبناء الاسم للحرف ، وإعراب الفعل المضارع للاسم وعلة استئصال كحذف واو يعد وعلة تغليب كقوله تعالى : « وكانت من القانتين » ١٢ م التحريم ٦٦ وقوله « فسجدوا لإيليس » ٦١ ك الإسراء ١٧ ، وعلة مشاكلة كحذف همزة يُكرم^(١) ، وعلة تزيين^(٢) ، واستولى سلطانها واستشرى طغيانها إذ قد يكون للمعلول أكثر من علة يتأولها كل نحوي وفق مذهبه يتظنونها أو يحسدونها ، وقد تعز عليهم العلة فنجد الحذف الاعتباري كقوله (فنهنت نفسي بعد ما كدت أفعله) بفتح اللام والأصل أفعَلُها فحذف الألف اعتباراً ، ثم نقلت حركة الهاء وهي الفتحة إلى اللام^(٣) دلالة على العجز ، ولعل ما أثر من قولهم ما أخطأ نحوي قط ، وأضعف من حجة نحوي فيه دلالة على هذا المتسع الذي سوغوه تعليلاً .

(١) ديككوز : شرح مراح الأرواح . س ١٢ ص ٢

(٢) الصبان : ج ٢ ص ٢٦٨ س ١٧ + المبني . ج ٢ ص ١٣٨ س ١

(٣) حاشية العطار على شرح الأزهرية - طبعة مصطفى محمد : ص ٥٢

ومن ثم تجدلدى سيبويه مثلاً « هذا باب من النكرة استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب » ^(١) وتجدلدى الحافظ السيوطي « إثبات لما أنكره العرب » ^(٢) وما لم يسمع والقياس يأباه والنحاة يتحدثون فيه ^(٣) مع أنه لم يسمع في شيء من كلام العرب وهناك ما وضعوه من شعر ... ^(٤)

وكان العامل شيئاً من ذا، دَفَعَ ابن مضاء القرطبي للحديث فيه ولكن كل هذا يعد لوناً من الرياضة العقلية التي لا تستقيم « فأما طريقه التعليل فإن النظر إذا سلط على ما يعلل النحويون به لم يثبت معه إلا الفخذ الفرد بل ولا يثبت شيء ألبتة ، ولذلك كان المصيب منهم المحصل من يقسول هكذا قالت العرب من غير زيادة على ذلك ، فربما اعتذر المعتذر لهم بأن علمهم إنما ذكروها وأوردوها لتصير صناعة ورياضة ويتدرب بها المتعلم ويقوى بتأملها المبتدئ فأما أن يكون ذلك جارياً على قانون التعليل الصحيح والقياس المستقيم فذلك بعيد لا يكاد يذهب إليه محصل » ^(٥)

« وبالجملية علل النحو مجرد ترويح والمدار على السماع فمن ثم كان نحو المتقدمين خالياً عنها وأكثر تنقيحها للرضي رضي الله عنه » ^(٦)

(١) سيبويه : الكتاب . ط هارون - ج ١ ص ٢٣٤

(٢) السيوطي : همع الهوامع . ج ٢ ص ١٢٦

(٣) المصدر السابق . ج ٢ ص ١٦٥

(٤) انظر : سيبويه ط باريس ج ١ ص ٣٨٦ س ١ + السيوطي : همع الهوامع ج ١

ص ١٣٥ س ٣ + ص ١٨٢

(٥) ابن سنان : سر الفصاحة : ص ٣١

(٦) الأمير : حاشية على الشذور : ص ٢٩ س ١٠ ، ١١

أما علل الفقه فتوقيفية ولذا قالوا : «الله أعلم بالمقاصد» ^(١) ومن ثم أنشأ يؤصل الأصوليون قاعدتهم : «العبادات غير معقولة المعنى» وشرع الفخر الرازي ٦٠٦ هـ يؤكد ذلك صدد حديثه عن حرمة الربا « ولايجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة للمخلق ، فوجب القطع بحرمة عقد الربا ، وإن كنا لا نعلم الوجه فيه » ^(٢) وهناك كثير من الأمور الشرعية فيما ينص عليه القسطلاني صدد الحديث عن قضاء الحائض للصيام ولا تقضي للصلاة «لا يطلب فيها وجه الحكمة بل يوكل أمرها إلى الله تعالى لأن أفعال الله تعالى لا تخلو عن حكمة ولكن غالبها يخفى على الناس ولا تدركه العقول» ^(٣) وأي قياس في استبراء أرحام الإمامة بحضة ورحم الحرمة بثلاث حيضات والقطع في القتل بشاهدين وفي الزنا بأربع ؟ وكثير غيره.. وما هو فرع عن هذا ما سكّت عنه الشارع .

في هذا كله فهم لمضاعفة الحسنات لمن شاء وقبول لوعيده « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا » ٣٠ م الأحزاب ٣٣ ، وفهم لقوله « والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب » ٤١ م الرعد ١٣ ، وفهم للعدل الخاص والرحمة العامة ، وإطلاق المشيئة غفرانا وتعديبا « فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير » ٢٨٤ م البقرة ٢ ، وذل المؤمنين على المؤمنين تعاطفا بما هو قرآن : «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» ٥٧ م المائدة ٥ ، واقتناع بقوله « كتب ربكم على نفسه الرحمة » ٥٤ م الأنعام ٦ .

(١) ابن الجوزي : فقد العلم والعلماء : ص ١١٧ من ٧

(٢) الرازي : مفاتيح الغيب . ج ٢ ص ٣٧١ من ١٧ ، ١٨

(٣) القسطلاني إرشاد الساري . ج ٤ ص ٤٧١ من ٢٠

ولعدم انقياد المعالم لنا نص على عدم صرف المهمة نحو الظاهر باعتبار ما فالتصريح بالكفر ليس كفرا ما لم يشرح به صدرا : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » ١٠٦ لك النحل ١٦ ، وقد يكره الشيء زهو خير أو يحب وهو شر : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وأنتم لا تعلمون » ٢١٦ م البقرة ٢ ، « فمضى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ١٩ م النساء ٤ ، أو ليس بناء المساجد من أعظم القربات إلى الله ولكن المسلمين يهدمون مسجدا ١٠٧ - ١٠٨ م التوبة ٩ ^(١) والحق المعلوم للسائل والمحروم وكان عطاء من لا يستطيع ضربا في الأرض تكليفا واحتياجه قضاء والسائل ولو على فرس يستحق الصدقة والرسول صلى الله عليه وسلم يقرر : « إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكب في النار على وجهه » ^(٢) وهو اللاف من هذا الظاهر ، أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقة وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله ، ^(٣) ذلك أن الصدقة كانت عندهم مختصة بأهل الحاجات من أهل الخير ولهذا تعجبوا من الصدقة على هؤلاء. وأن نية المتصدق إذا كانت صالحة قبلت صدقته وإن لم توافق مراده وفيه اعتبار لمن تصدق عليه أن يتحول من الحالة المذمومة إلى الحالة المحمودة ^(٤) والهيبة رضا والجلل طوعا أو كرها ، وبذا لم يكن إطلاق المشيئة عبثا ولكن الله كتب على نفسه بما يحاسبنا عليه .

(١) السهيلي : الروض الأذنت : ج ٢ ص ٣٢٢

(٢) البخاري : باب الزكاة : ج ١ ص ١٩٤ س ٨ من أسفل

(٣) البخاري : باب الزكاة : ص ١٨٦ س ٩

(٤) الأنصاري : تحفة الباري : ص ٢٩

يبد أنه ليس لدينا سوى الظاهر وهذا ما نلمسه قرآنا فيما جرى بين موسى والخضر عليهما السلام ٦٦ - ٨٣ ك الكهف ١٨ ، « وأمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأنفسهم وأموالهم » ، وقد يكون القول تقية ^(١) لكن ليس أحد على أحد حفيظا ، ولذا قرر عمر : « وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريره شيء الله يحاسبه في سريره ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريره حسنة » ^(٢)

بل هناك ظاهر ينسجه الإنسان خالعا إياه على موقف رغم مغاييرته لظاهر باد له ، ومنه التماس المعاذير والتغاضي وقسوة الأب على ابنه ، ومعاناة ساعي الصلح يظهر لكل طرف مما يرضيه ولا يسمعه إلا ما ممن الآخر يدينه ، وتمنع الرواغب ، ويشير إليه المتنبي ٣٥٤ هـ إذ يسأل خيله معللا سؤاله بقوله :

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل ^(٣)

هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ، وعليه نفهم مجازة إبراهيم لمعتقد قومه ٧٦ - ٧٨ ك الأنعام ٦ ، وموافقة موسى لفرعون في أن تحديمه لبني إسرائيل نعمة ٢٢ ك الشعراء ٢٦ ، وزلرك منهجية شك

(١) ابن العماد : شذرات الذهب : ج ٢ ص ٣٩ س ٦ - + د . كامل الشيبني :
التقية أصلها وتطورها من ص ٢٣٣ إلى ص ٢٦٧ - مجلة كلية الآداب جامعة
الإسكندرية ١٩٦٣ المجلد السادس عشر ١٩٦٢ م .

(٢) ابن حنبل : المسند : ج ١ ص ٢٨٧ - ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٤
ص ٦٤

(٣) ديوان المتنبي : ج ٣ ص ٣٣٩

الغزالي ٥٠٥ هـ في منقذه من الضلال . . وهذا أدعى لعدم شدة النفار ثم يكون الكر بالإبطال وهو ما يعرف بتجاهل العارف ومزج الشك باليقين وعليه يحمل قول ذي الرمة :

أياطبية الوعاء بسين جلاجل وبين النقا أأنت أم أمّ سالم^(١)

وهو أسلوب الحكيم أن تلقى المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى بالذهاب ، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بالمقام ، ومنه إبراز غير الحاصل في صورة الحاصل وعليه قوله تعالى : « ولا تكرر هوا فتيا تكم على البغاء إن أردن تحصنا » ٣٣م النور ٢٤ ، ومنه الإشارة بالبعد للقريب ذهابا إلى بعد الدرجة وعليه قوله : « ألم ذلك الكتاب » وقوله : « فذلكن الذي لمتني فيه » بيانا لمكانته في الحسن والتماسا للعذر في الافتتان به ، ومنه تنزيل غير السائل إذا ما قدم ما يلوح له بحكم الخبر فيكون استشرافه له استشراف المتردد الطالب كقوله تعالى : « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » وعليه قوله : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » ومنه تنزيل المنكر منزلة غير المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن

(١) تخريج البيت : الديوان ط أوروبا - ص ٦٢٢ ، اللسان مجلد ١١ ص ١٢٣ + المعجم الكبير : المجلد الأول : القسم الأول : ص ١٨ + معجم البلدان ج ٨ ص ٤٢٢ الأغاني ج ١٦ ص ٢١٩ ص ١٢ + ابن يعيش : المفصل : ج ٩ ص ١١٩ + ابن جني الخصائص ج ٢ ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ + المبرد : الكامل : ج ٢ ص ٧٦٨ + القرطبي : الجامع لأحكام القرآن الكريم : ج ١ ص ١٦١ + العسكري : الصناعتين : ص ٣٩٧ س ١ + ابن الأنباري الإنصاف في مسائل الخلاف ج ٢ ص ٢٥٥ .

الإِنْكَارَ كما قد يقال لمنكر الإسلام : الإسلام حق وعليه قول الله تعالى في حق القرآن : « لا ريب فيه » ومنه قول المثقّب العبدى :

وكلام سيىء قد وقّرت أذني عنه وما بي من صمم
ومنه ما قرّره صدد حديثهم عن إنما ، أنها قد تدخل في الشيء
على أن يخيل فيه المتكلم أنه معلوم ويدعي أنه من الصحة بحيث لا يدفعه
دافع كقوله :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظالماء (١)

وعليه ما يعرض له البارودى ١٢٢٢ هـ / ١٩٠٤ م

ليس يخفى على شيء ، ولكن أتغاي والحزم إلف التغاي (٢)

وصور مخالفة الظاهر لدى المنتج كثيرة من ذكر الواحد والمراد الجمع
كقولهم للجماعة ضيف وعدو، وذكر الجمع والمراد واحد أو اثنان إلى
غير ذلك (٣) والالتفات والتساهل في العبارة بما هو أداء اللفظ بحيث لا يدل
على المراد دلالة صريحة (٤) مما زخر به علم المعاني .

ملاك الأمر في كل هذا الظاهر وغير الظاهر ، وهذه الازدواجية

(١) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٢٧٤ س ٢ - قاله عبيد الله بن قيس الرقيات
أموي ت ٧٥ هـ

(٢) البارودى : الديوان : ضبطه وصحه وشرحه على الجارم ، محمد شفيق معروف -
المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٥٣ م ج ١ ص ٤٣ بيت ٣٢ س

(٣) الصحبى : ١٨٢ وما بعدها + التنوخي : الأقصى القريب : من ص ٤٤ س ١٢
إلى ٥٣ + السيوطى : المزه : ج ١ ص ٣٣٤ وما بعدها .

(٤) الجرجاني : التعريفات : ص ٤٩ س ١٦

قائمة في مناح شتى ، فالحياة لها وجهان واقع وما وراءه واقع علمي صارم ، وما وراءه تختلف صورته باختلاف الأمم بل إنها تختلف في الأمة الواحدة باختلاف الأفراد في أنصبتهم من الثقافة^(١) . والصفات التي تعرف بها الأشياء نوعان : إما فيها وهي الصفات الأولية وإما خلقا من عندنا وخلعا عليها وهي الثانوية التي تكون مناط الاختلاف ، فشكل البرتقالة وحجمها وعددها شيء موضوعي ، أما الطعم واللون والرائحة فأمر ذاتي .^(٢)

وتجد هذي الصورة في اللغة فيما قرره الشاطبي ٧٩٠ هـ إذ يتحدث عن دالتين للغة : الأولى من جهة كونها ألفاظا وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة وهي الدلالة الأصلية ، والثانية من جهة كونها ألفاظا وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة وهي الدلالة الثانية التي أسماها بالتابعة ، وأن الأولى سهلة يسيرة لا تفاضل فيها أما الثانية فهي التي يختص بها لسان العرب فإن كل خبر يقتضي في هذه الجهة أمورا خادمة لذلك الإخبار مما لا يقع تحت الحصر .^(٣)

وتجد لغة الإنسان ولغة الطبيعة لدى كولردج^(٤) واللغة العلمية واللغة الانفعالية لدى رتشاردز .^(٥)

وأيا ما كان من أمر المصطلحات واختلاف البيئات وتغاير الأزمنة فإن الأول متصل بالحقائق المادية التجريبية التي لا تفاضل بين الناس في

(١) د . زكي نجيب محمود : الواقع وما وراء الواقع . مقال بمجلة العربي العدد ١٥٨ يناير ١٩٧٢ م .

(٢) د . زكي نجيب محمود . مجلة العربي : العدد ١٤٦ - يناير ١٩٧١ م

(٣) الشاطبي : الموافقات في أصول الفقه : ج ٢ ص ٦٦

(٤) محمد مصطفى بدوي : كولردج . دار المعارف بمصر ١٩٥٨ - ص ٩٥

(٥) رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي . الفصل الخامس والثلاثون . ص ٣٤٦

التعبير عنها صياغة ولا خلاف في تلقيها قبولا وفهما مما قد يعزى لدوال الماهية وهي المدلول عليه بما هو الشيء المقابل للكلمة في عالم الواقع مادة أو معنى أو قد يسمى بالصورة الزمكانية. (١)

والثاني منتم للمعنويات التجريدية التي يحصل فيها تفاوت التعبير مما قد يعزى لدوال النسبة والتي عنى بها فندريس ما ذهب إليه عبد القاهر من العلاقات المختلفة بين أفراد الجملة بما هي معنى المعنى (٢).

وإن الأمور إذا جلت وتركت الماديات كان ذلك في المجتمع ، فأما المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشد لأنها نتائج العقول وولائد الأفهام وبنات الأفكار . (٣)

والجملة بعد قد تحتل كلماتها معاني أكثر بكثير مما قد تكون أحاطت به ثقافة قائلها أو قد يكون رمى إليه أو قد دار بخنده وإلى هذا ترجع أسباب الاختلافات في الشروح والتفسيرات ولعل المتنبي قد أصاب شيئاً من ذا في استغراقه في نومه وترك القوم حول ما قال ساهرين مختصمين إذ « احتمال اللفظ للمعنى شيء ودلالته عليه شيء فالمطلق بالنسبة إلى المقيدات محتمل غير دال ، والعام بالنسبة إلى الأفراد دال » (٤)

ومن ثم فإذا كان المعنى هو العلاقة بين المحتوى الفكري واللفظ أو بين اللفظ والمدلول فالدلالة هي فيما نرى : وجهة صرف اللفظ للمعنى

(١) عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية . ص ١٧٢

(٢) عبد القاهر : دلائل الإعجاز . ص ٢٠٣ س ١١

(٣) الخطابي . بيان إعجاز القرآن . ص ٣٣ س ٨

(٤) ابن القيم . بدائع الفوائد . ج ٤ ص ٢٠٤ س ٦ + الجرجاني . التعريفات :

ص ١٧٢

سواء أكان وضعاً أم محتملاً له ، ولذلك كان الأمر في اللغة أدق فعند الاحتكام يكون الأمر الأول سهلاً يسيراً قريب المثال أما الثاني فهو الصعب العسير بعيد المرام ليس إلى التماسه دنو ، والحكم على الأول بما يحكم به على الثاني تحمیل للأمر لما لا يحتمل ، والحكم على الثاني بما يحكم به على الأول خطأ عظیم^(١) .

ولذا كان في النظام اللغوي ما لا يحتمل لغير معناه وهو النص وضعاً أو اطراداً وهذا لا يدخله مجاز ولا تأويل^(٢) ، وما لا يصح حمله على غير ظاهره إذ اللفظ منصرف إلى الحقيقة باعتبار الظاهر بما هو الكلام الذي يظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة ويكون محتملاً للتأويل والتخصيص^(٣) وهو الراجح إن لم تقم الدلائل وإن قامت فهو المرجوح « غير الظاهر » ويكون التأويل أو التفويض^(٤) وهو ما لا ينبغي فهمه على ظاهره ، فإن لم يكن ثمة رجحان فهو المجمل الذي يتوقف فيه الذهن لأن المفهومين على السوية وهو الذي لا يفسر ولا يقول . ومنه كان ما لا يجوز الكلام فيه . . ومن ثم كان التفسير أعم من التأويل .

وهناك ما يعين على ذلك من قرائن لفظية بما هي موانع مصاحبة لما أريد صرفه عن ظاهره ويصعب الأمر إذا لم توجد هذه القرائن اللفظية ولكن توجد القرائن العقلية مرجعها إلى المجتمع الذي صاغ الإنسان قبل أن يصوغ ألفاظه . والذي خرج منه التعبير في عدومه ، والبيئة الخاصة التي أرسلته ، ثم قائله وما حوله من تجربة ومعرفة وخصائص وملابسات

(١) انظر عبد القاهر . دلائل الإعجاز ص ٢٣٦ س ٧ وما بعده

(٢) الرازي : أساس التقديس : ص ٢١٩ س ٢ + ابن القيم : بدائع الفوائد : ج

١ ص ١٥ س ٣

(٣) الجرجاني التعريفات : ص ١٢٤

(٤) الرازي : أساس التقديس : ص ٢٢٢ س ١٠

يكتسب بها المعنى صورة غاية في الخصوصية هي التي دفعت بنا للقول بضرورة درس معجم كل جهة بما هي دلائل وبما هي تفرقة بين اللغة من حيث إرادتها وبين الدلالة بالنسبة للسامع فهم أم لم يفهم .

بيد أن المعايير تتفاوت تبعا لطبيعة الموضوع ، فالديني يصل بين النص في دلالة لغة وإرادة الشارع باعتبار اللغة وسيلة الدليل . ذلك لأن الدلالة على المعنى التبعية لا دلالة لها على حكم شرعي زائد ألبتة في المجال الديني ^(١) . أما الأديب ، فاللغة عنده وسيلة الخلق الأدبي ولذا فهو يصل بين النص وبين هذه المعاني الثانية . .

وهي الدلالات الثانية — التي تتخذ معارض في الاستعارة والتشبيه والكناية بما هي طرائق متلوثة وتراكيب مختلفة وسبل متباينة في وضوح الدلالة تعبيرا عن المعنى الواحد دون اللفظ والعبارة ^(٢) .

وهي الدلالات الثانية — التي تتلمس . في الكلام من حيث دلالاته على غير ما وضع له دون أن تكون هناك مزية في أنفس المعاني لكن في طريق إثباتها وتقريرها ^(٣) .

ومن وجوه هذه المعاني التي يحتملها الكلام . ومن العلاقة التي نجد لها بين الدلالة الأصيلة والدلالة التابعة ، أو المعنى ومعنى المعنى تنشأ مشكلات هذه الأمة التي تناط بما يطلق عليه المجاز .

(١) الشاطبي : الموافقات : ج ٢ ص ١٠٣

(٢) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ١٣٦ س ١٣ + ص ٣٦١ س ٢ ، الجرجاني

التعريفات : ص ١٣٦ س ٥ من أسفل ، القزويني : متن التلخيص : ص ٤٨

(٣) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٥٢ + ص ٢٠٢ س ١٤ + ص ٣٤٣

س ٢ + ص ٢٠٧ س ١٣ + الجرجاني : التعريفات : ص ١٦٤ + انقسطلا في

إرشاد الساري ج ٩ ص ٣٩٩ + ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : ص ٧٥ +

عبد الجبار : تنزيه القرآن عن المطاعن : المكتبة الجمالية الأزهرية : ١٣٢٩ =

ص ٤٠٤ .

البَابُ الْأَوَّلُ
المَجَازِي فِي مَعَايِيرِ الْفِكْرِ

الفصل الأول

ماهية التجوُّز

كيف لا تكون مادة الكلمة شائعة الاستعمال لديهم وهم الذين عرفوا الصحراء ومنازلها والمهامه ومفازاتها ، وهي التي وسمتهم بميسمها فكان تطاحنهم وتنازعهم بالغ الأثر ينتجعون إذا ما المطر عز ، ويصطرون إذا ما النخوة استثيرت ، فكان نهارهم أياما مشهورة وحروبا مسعورة أسرفوا في الحديث عنها اسرافها في التشكيل بهم والنيل منهم ، فهم ينتصرون فيفخرون ويدون ، أو يظلمون فيعاملون — ولم يكن العربي بالذي يلين إذا خوشين — وهم ينهزمون فيفخرون ^(١) أو يلجأون فيثأرون — ولم يكن العربي بالذي يستلان منه مغز — وكان ليلهم بالحياة مفعما من نار توقد إلى ظباء تُشوى وضيء يرتقب في الاستقرار ، ومن سفر على الراحلة تحمله في الرضا والغضب راضية بدينه هذا ، وتنال منه حديثا

(١) الحمامي : فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ج ١ ص ٩٦ — مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ١٩٥٥ م .

+ هم يضربون الكباش أبرق بيضه علي وجهه من الداء سباب

انظر المفضليات : الأحنس بن شهاب النظي — جاهلي قديم — ص ٢٠٧ ،

ص ١٠٠ من الدلائل ص ١٠

يقصر أو يطول - وهي التي قاسمته أموره وشاركته هدمه وهي بعد
وسيلته التي يصل بها ، فلم يكن هناك شيء في بيئته طبع له طواعيتها حلاً
وارتخالا يبدأ بها جسرة ليصل بها ساهمة « فلم يكن غريباً مع ذلك كله
أن تملأ الناقة شعر العربي ولغته » (١) .

ولم يكن بد لقاطع الصحراء ، وسالك البيد أن يتوحد إلى الذين يمر
بهم من القبائل ينال جوارهم ليجد إنفاذا وأسراراً يعيث وسط الطريق ..
ضاق أرازقهم وقلت مطالبهم ، فكثرت رحلاتهم يتامسون غناء فيما
نزل بهم هرباً من ضيق إلى فرج ومن حزن إلى سهل ومن شدة إلى رخاء ومن
عسر إلى يسر ومن قيد إلى اتساع ، واتسعت لغتهم وعاء ، وتلوذت أساليبهم
معبرة عن مخزون العقول ، كاشفة عن مكنون النفوس هرباً من ألم واقع
إلى أمل مثال ، وكان لهم منها ما جعلها مناط الإعجاز ومظنة التحدي .

وعلى هدى من قطع الشيء ووسطه تدور المعاني على اختلافها (٢) فنجد
الإنفاذ والإجازة (٣) وما قيل للطريق مجاز إلا لأنه مكان يجوزه الناس عند
الانتقال من أحد جانبيه إلى الآخر (٤) وإجازة الماء إعطاؤه لما به

(١) د . محمد حسين : أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين :
ص ٥١ س ٤ من أسفل

(٢) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة : تحقيق عبد السلام هارون : ص ٤٩٤ +
الصاحبي : ص ١٦٨ س ٢ + ابن منظور : لسان العرب ط أولى : ج ٧ ص
١٩١ + المعجم الوسيط : ج ١ ص ١٤٧ + الزغشري : أساس البلاغة : تحقيق
الأستاذ عبد الرحيم محمود ط أولى : ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م ص ٦٩

(٣) الأعشى : الديوان : قصيدة ٣٣ . بيت ٥٠ ص ٢٥٩ س ١٢

(٤) انظر الأعشى : الديوان : القصيدة ٤٥ ص ٣٠٥ بيت ٢ س ٥ + ديوان امرئ
القيس : القصيدة الأولى : ص ١٥ . البيت ٢٨ س ١ + ابن منظور : لسان =

من سبب أخذ طريق ، وعليه صك المسافر ، والجائزة ، وذو المجاز لأن
إجازة الحاج كانت فيه ^(١) .

ومن الراوية الأخرى نجد ربطا من الراغب إذ جاز الشيء كأنه لزم
جوز الطريق وعليه كانت الجوزاء لأنه يعترض وسط السماء أو لياض
الوسط أو الكواكب الثلاثة التي في وسطها ، ^(٢) وعليه الترخيص والتسهيل
والتيشير بما هي وسط بين الشدة واليسر أو ما إلى ذلك من معان .

ثم استعمل المجاز فيما يشبه الطريق من الأمور التي تتخذ وسيلة إلى
بعض الأغراض فقالوا جعل محمد ذلك الأمر مجازا إلى حاجته أي اتخذ
وسيلة إلى قضائها مع شيء من هذا الوسط ، ثم استعملت هذه الكلمة في
العلوم لمعان خاصة سواء أكان هذا الاستخدام استعمالا في غير ما وضعت
له بعامة أم لونا من ألوان التخصيص ، وتساءلوا بعد هذا هل هو مفعول
بمعنى فاعل أو مفعول ؟

وقصاراه أن لفظ المجاز مشترك لفظي بين ثلاثة معان : يستعمل بمعنى
زمان وقع فيه الحدث فيكون اسم زمان ، ولم يقل به أحد ، أو يستعمل
بمعنى الحدث الذي هو الجواز فيكون مصدرا ميميا بمعنى الجواز أي الانتقال
من حال إلى غيرها مبالغة في جوازه عن مكانه الأصلي حتى كأنه عين الجواز

== العرب : ج ٧ ص ١٩١ + ابن فارس : مقاييس اللغة : ج ١ ص ٤٩٤ +
اللغة : ج ١ ص ٤٩٤ ، ابن فارس : الصحاحي : ص ٩١ س ٢ من أسفل .

(١) انظر : الطبري : جامع البيان : ج ٤ ص ١٢٢ + الحارث بن حلزة الشكري
المعلقة السابعة : ص ١٨٠ س ٤

(٢) الراغب : المفردات : ص ١٤٥ + المفضليات : المخيل السعدي : القصيدة ٢١ ص
١١٦ البيت ٢٢ + الأضعميات : كعب بن سعد الغنوي القصيدة ١٩ ص ٣٧ بيت

١٧ س ٤

حيث نصبت له قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له ^(١) وقال به صاحب الأسرار ^(٢) .

وبمعنى مكان وقع فيه الحدث أي مفعول بمعنى فاعل من جاز إذا تعدى كالمولى بمعنى الوالى ، سمي به لأنه متعدد من محل الحقيقة إلى محل المجاز أي معبر وطريق من جاز المكان لا بمعنى تجاوزه بل بمعنى سلكه وسار فيسه ووقع جوازه فيه فهو يجاز فيه كالمعاج والمزار لأن اللفظ المجازي محمل الجواز ^(٣) .

فاذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بالمجاز على أنهم جازوا به موضعه الأصلي . أو جاز هو مكانه لأنه ليس بموضع أصلى لهذا اللفظ ولكنه مجازه ومتعدد يقع فيه . واستظهر ذلك كثيرون ^(٣) مما هو سار في تعريفاتهم للبيان بما هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة.

والذي ينص عليه لدينا أن هذا المعنى الأصلي من الطريق والوسط أو وسط الطريق ظل قائماً في استعمالات اللفظ دلالة ، لغة واصطلاحاً ^(٤) .

ولننظر رصداً

(١) عبد القاهر : أسرار البلاغة : ص ٣٩٨ س ٨ + الصبان : رسالة في علم البيان ص ٧١

(٢) الجرجاني : التعريفات : ص ١٧٨ + النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب : السفر السابع . ص ٣٧ + المغربي . مواهب الفتاح . ج ٤ ص ٢١ س ٦

(٣) انظر : محمد محمد الإنياي : حاشية علي رسالة الصبان في علم البيان : ص ٧١

(٤) انظر : الرضي : تلخيص البيان ، ص ٣٢٦ س ٧ + المنوفي . الوجود ص ١٣٢ ص ٤ + ١٧٨ س ٥ + ص ٢٥٠ س ٢

ليس من اللازم أن نجد اللفظ عند الحديث عن المجاز فقد يكون الحديث قائماً والمصطلح لم ينشأ بعد ، أو لم تستخدمه طائفة ، أو استقر في بيئة ولم يستقر في أخرى « فإن الشيء قد يوجد قبل اسمه الخاص وجد تحت اسم آخر أو وجد ولم تكن هناك الحاجة لتسميته كما قرروا صدد لفظ التصوف » (١)

وقد كان التعبير عن الأساليب المجازية لدى سيبويه بلفظ الانساع (٢) ، ويعدّ منه قول الله تعالى : « بل مكر الليل والنهار » ٢٣ ك ٣٤ فالليل والنهار لا يمتكران ولكن المكر فيهما (٣) . وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به : اجتمعت أهل اليمامة ، لأنه يقول في كلامه اجتمعت اليمامة ، يعنى أهل اليمامة ، فأنت الفعل في اللفظ إذ جعله في اللفظ اليمامة ، فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سعة الكلام (٤) . ويتحدث عن باب «يحذف منه الفعل لكثرتة في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل» (٥) ونجده يعقد باب ما يكون فيه المصدر حينئذ لسعة الكلام والاختصار (٦) وباب ما ينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام أولم

(١) د . عبد الحليم محمود : الفيلسوف المسلم رينيه جيرو - مطبعة لجنة البيان العربي ، ص ١٠٥ س ١

(٢) سيبويه : الكتاب - طبعة هارون - ج ١ ص ٩٨ س الأخير ، ص ١٦٠ س ٧ ص ١٧٦ ص ٢ ، ١١ ، ص ١٧٧ س ٧ ، ص ١٨١ س ٧ ، ص ٢٢٠ س ٦ ص ٢٩٢ س ٩ . ص ٣٩٠ س ٢ ، ص ٤١٠ س ١ . ص ٤١٥ س ٩ ، ص ٣٣٦ س ٢ من أسفل . + طبعة باريس انظر ص ٢٠٧ س ٧

(٣) المصدر السابق : ص ١٧٦ س ٦

(٤) المصدر السابق : ص ٥٣ س ٣ وما بعده

(٥) المصدر السابق : ص ٢٨٠ س ١

(٦) المصدر السابق : ص ٢٢٢ س ٩

يكن فيه على إضمار الفعل المتروك إظهاره، لأنه يصير في الإخبار والاستفهام بدلا من اللفظ بالفعل ، كما كان الحذر بدلا من احذر في الأمر ثم ذكر قول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فلئما هي إقبال وإدبار

فجعلها الإقبال والإدبار ، فجاز على سعة الكلام ، كقولك نهارك صائم وليلك قائم ^(١) .

ويلاحظ لدى سيبويه أيضاً اقتران السعة بالإيجاز والاختصار ^(٢) فيتحدث عن باب « استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام ، والإيجاز والاختصار » ^(٣) وعد منه قوله تعالى جده « وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها » ٨٢ ك يوسف ١٢ فيقول « إنما يريد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الأهل لو كان هاهنا ^(٤) » وجعل من مسوغات الحذف كثرة الاستعمال ^(٥) .

وظفق النحاة يتحدثون باستفاضة عن هذا الموضع بدءا من حذف

(١) سيبويه : الكتاب (هارون) ج ١ ص ٢٣٦ + ٣٣٧ وانظر ص ١٦٠ س ٧٤٦ + الزمخشري : الكشاف : ج ١ ص ١٠٠ + المغربي : مواهب الفتاح : ج ١ ص ٢٤٠ من ١

(٢) سيبويه : الكتاب : ج ١ ص ٢١١ س ٣ + ص ٢١٩ س ٧ + ص ٢٢ س ٩ + ص ٢٢٩ من الأخير + ص ٣٣٧ س ٧

(٣) المصدر السابق : ص ٢١١ س ٣

(٤) المصدر السابق : ص ٢١٢ س ٣

(٥) نفسه : ص ٢٢٤ س ١١ ، ص ٢٧٥ ص ١٣ + ص ٢٨٠ س ١ + ص ٢٨١ س ٤

المضاف إلى حذف أداة النداء ^(١) .

وتقرر لدى العرب أن « الحذف ضرب من الاتساع » ^(٢) وهو لون من ألوان امتناع الكلام على ظاهره ^(٣) .

فهو مجاز يتحدث عنه وإن لم يذكر اللفظ ، كما كان إدراكهم للفرق بين الروي والقافية وإن لم يعرفوا المصطلح ^(٤) .

ونجد استخدام هذه الكلمة على يد أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ٢١٠ هـ الذي ألف كتابه ١٨٨ هـ بما هو كشف عن معاني الألفاظ في مواضعها من النص القرآني ، وعرض الطرائق التي استنمها القرآن في تعبيره إذ يقصد بها الوجه الذي يخرج عليه الكلام ، وما يحسن أن يقال في تفسيره وقد « سئل في مجلس الفضل بن الربيع ١٨٨ هـ بغداد ، من إبراهيم بن إسماعيل الكاتب من كتاب الوزير — عن قوله تعالى : « إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلوعها كأنه رؤوس الشياطين » ٦٥ لك الصافات ٣٧ ، وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف فقلت : إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

(١) ابن هشام : معنى اللبيب : ط عيسى البابي الحلبي وبهامشه حاشية الأمير : ج ٢ ص ١٦٤ وما بعدها .

(٢) ابن منظور : لسان العرب : ج ٥ ص ١١٦ س ٣

(٣) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة : ص ٤٦٢ + ٤٦٣

(٤) انظر : رد بنت الشاطيء في مجلة الأدب : العدد السادس — نوفمبر ١٩٥٩ السنة الرابعة علي طه ابراهيم في تاريخ النقد الأدبي — مقال : « خطأ منهجي في دراستهم للنقد الجاهلي » ص ٣٤٦ عمود ١

أبقتلني والمشرقي مضاجعسي ومسنونة زرق كأنياب أغوال^(١)

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أو عذبوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسن السائل ، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه ، فلما رجعت إلى البصرة ، عملت كتابي الذي سميته المجاز^(٢) .

وذلك ما عناه وعاناه في كتابه « المجاز في غريب القرآن » إذ يستعمل في تفسيره عبارات تكاد معانيها تتقارب نحو مجازه كذا ، وتفسيره كذا ، ومعناه كذا ، وغريبه وتقديره وتأويله ، فالرحمن مجازه ذو الرحمة والرحيم مجازه الراحم إلى غير ذلك^(٣) .

هو تفسير يبين وجوه المعنى والإعراب بما هو شرح لغوي مع استشهاد وتأکید بما هو تدليل على المذهب النحوي يسوغه كثرة الشواهد وتعددتها .

ولعل هذا يكشف ما لدى « مجازات القرآن » لقطرب النحوي ٢٠٦هـ ، وما لدى « مجاز القرآن » لأبي زكريا الفراء ٢٠٧هـ مما يوضحه أيضاً

(١) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٩١ س ١٥ + القزويني : متن التلخيص

ص ٤٩ + ابن منظور : لسان العرب : ١٣٠١ هـ - ج ٧ ص ٤١٨ س ٧

(٢) ياقوت : معجم الأدباء : ج ٩ ص ١٥٨ س ١٣

(٣) د . محمد فؤاد سزكين : كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة : ص ١٨ من المقدمة

٣ من أسفل + ص ٥١ من الكتاب . + حفني محمد شرف : تقديم وتحقيق بديع القرآن لابن أبي الأصبغ المصري ٥٨٥ - ٦٥٤ هـ - مكتبة نهضة مصر بالجيزة - ط أولى ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م ص ٤٥ س ٣ من أسفل .

ما بمعاني القرآن وهما كتابان لم يصلأ إلينا^(١) .

غاية الأمر أن أبا عبيدة ومن لف لفة تحدث عن المجاز طريقاً سلكه القرآن في التعبير وهو المعنى العام للمجاز ، وجاء الجاحظ ليحدث عن المجاز ، وكان لديه لمحات صدد قوله تعالى : « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه » إذ يقول فكثير هذا الكلام حتى صار التيمم هو المسح نفسه ، وكذلك عاداتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت صحبتهم وملابستهم له^(٢) . وهي إشارة إلى هذا النوع من المجاز المنقول وتردد لديه اللفظ بمعنى طريق بعبارات مختلفة نحو « هذا كلام مجاز ، قائم » « وهذا الكلام مجازه عند الناس سهل » ، ومجاز هذا الكلام قائم^(٣) .

ثم يأتي ابن قتيبة ليقرر أن « للعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول وماآخذه » بيد أنه أكثر تحديداً إذ يردف « ففيها الاستعارة والتشثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكنابة والإيضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع والجميع خطاب الواحد والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص

(١) العاملي : السيد محسن الأمين الحسيني : أعيان الشيعة : الطبعة الأولى ط ابن زيدون دمشق : ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥ م ج ١ ص ٢٠٩ + د . أحمد مكي الأنصاري : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة - ط المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ص ١٩٨ س ٤ .

(٢) الجاحظ : الحيوان : ج ١ ص ٣٣٢ س ١٠ + ابن فارس : الصحابي : ص ٦٣

(٣) الجاحظ : الحيوان : ج ١ ص ٣٤١ س ٢ + صورة هذا نقلها الثعالبي : فقه اللغة : ص ٥٤٣ + د . شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ : ص ٥٦ س ٥ + ابن تيمية : رسالة الإيمان ط السعادة ١٣٢٥ هـ - ص ٣٤

لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص» ^(١) وكان لديه العلامات التي يعرف بها التجوز مثل أن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار ^(٢).

ولعل ما ضاع من كتب نحو « مجاز الكلام وتصاريفه » الذي عقده أبو العباس أحمد بن يحيى ثعالب ٢٠٠ - ٢٩١ هـ ^(٣)

ثم يأتي ابن رشيق ٤٦٣ هـ فيعرض للكلمة ويذكر لها معنى عام هو « طريق القول ومأخذة » ثم يقرر أنه « صار التشبيه والاستعارة وغيرها من محاسن الكلام داخلة تحت اسم المجاز » ، ثم يكشف عن أن هذه الكلمة نقلت بعد إلى معنى أخص فقال : « إلا أنهم خصوا به أعني اسم المجاز بابا بعينه وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب » ^(٤)

وهو ما جرى بعد ذلك مما هو إطلاق على اللفظ الذي ينقله المتكلم من معنى وضع له اللفظ إلى معنى بينه وبين ذلك المعنى مناسبة أي علاقة بقرينة تحسنه أو تقبحه ^(٥) ، والعلاقة إما لمشابهة وهو مبنى الاستعارة وإما لغير مشابهة وذلك مبنى المجاز المرسل ^(٦).

ولما جاء عبد القاهر أكد ذلك مصححا في التعريف كلمة نقل اللفظ

-
- (١) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : ص ١٥ + ١٦
 - (٢) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : ص ٨٢ س ٣
 - (٣) السيوطي : المزهرة : ج ١ ص ٣٩٢ س ٢ من أسفل
 - (٤) ابن رشيق : العمدة : ج ١ ص ٢٣٦ وما بعدها
 - (٥) الجرجاني : التعريفات : ص ١٨٠
 - (٦) السبكي : عروس الأفراح : ج ٤ ص ٣٢ + المغربي : مواهب الفتاح : ج ٤

ص ٤٥

وأراد إلى معنى اللفظ ^(١) لأن النقل إنما هو خروج عن معناه الأصلي فلا يكون مقصودا ^(٢) ولكن المسألة مسألة ادعاء معنى لانتقل لفظ ^(٣) وهو كحل وسط بين القائلين بالمتواضع والمستعمل وهو الأشعري .

وخرج لنا بمسألة المجاز الحكمي وهو المجاز في الإثبات ويسمى المجاز العقلي بما هو تصرف في أمر عقلي لأن التجوز ليس في نفس الكلمة ، وإنما حيث يوجد اللفظ في الحقيقة وهي مسألة لها اعتبارها الديني — متصلة بأحوال الإسناد الخبري فلا شأن لنا بها ^(٤) .

وهنا نرى أنه لزاما بيان طريق آخر كان قوامه مدرستان، الأولى أهل السنة والأخرى المعتزلة، وكان لهما أثرهما في توجيه حياة الأمة الإسلامية.. واتسم منهج أهل السنة بالوقوف عند الظاهر وإن كانوا لا يأخذون به ، والأخرى ارتضت مبادئها عرفت بالأصول الخمسة حملوا عليها كل نص وفسروه وفقها تحقيقا لها ، وانتقل ذلك من العقديين إلى اللغويين فأهل السنة يقولون بالتوقيف ويقللون من التجوز كما نجد ذلك لدى ابن فارس ^(٥) .

ونجد المعتزلة تسرف في هذا التأويل ونرى صورة حية له لدى ابن

(١) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٢٨٠ س ٣ + ص ٢٨١ س ٤ + ص ٣٣٣

(٢) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٣٣٤ س ٨

(٣) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٣٣٥ س ٤

(٤) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٢٣٠ س ٥ + ٢٣٣ س ٦ + الجرجاني : التعريفات : ص ١٩٧

(٥) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة : ص ٤٩٤ + الصاحبي : ص ١٦٨ + ٥ س ٤

جني في مواضيع متفرقة من الخصائص ، وحملت لنا هذه المدرسة مصطلحين جديدين هما التمثيل والتخييل كانت آثارهما لدى الشريف الرضي ٣٥٩ هـ - ٤٠٦ هـ في تلخيص البيان .

وقد تضمن إشارات لكتابين آخرين يكشفان عما أخذ الرجل به نفسه هما : حقائق التأويل ^(١) والكتاب الكبير ^(٢) وأسرف في التعويل على المعتزلة مستخدما المجاز والاتساع ^(٣) .

ويبلغ هذا مداه عند تناوله لقول الله تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت ؟ وتقول هل من مزيد ؟ » حاملا إياها على إسقاط المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه على شاكلة قوله (واسأل القرية) ثم يسرف إسرافا حين يجعل (هل) في الآية بمعنى لا من مزيد في ، والسياق حاكم .

ولم نجد توضيحا يكشف ما يعنونه بالتمثيل والتخييل سوى أن هذا : التمثيل يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير ^(٤) .

والتخييل يقصد به تصوير المعاني في القلب ^(٥) .

- (١) الرضي : تلخيص البيان : ص ١٢٣ س ٧ + ص ١٣٥ س ١ من أسفل
 (٢) الرضي : تلخيص البيان : ص ١٢٣ س ٢ من أسفل + ١٤٣ س ٢ من أسفل +
 ١٥٢ س ٥ + ٢٠٢ س ٤ + ٣٣٣ س ٣ من أسفل + ٣٤٠ س ٢ من أسفل +
 ٣٦٠ س ٩
 (٣) الرضي : تلخيص البيان : ص ١٢٧ ص ٥ + ص ٢١٩ س ٤ + ٢٢٤ س ١
 من أسفل + ٣١٦ س ٤ + ص ٣٠٤
 (٤) الزنجشري : الكشف : ج ٢ ص ١٨٨
 (٥) الزنجشري : الكشف : ج ١ ص ٤٥ س ٢٢ + الجرجاني : التعريفات : ص ٣٤
 س ١٧

لذلك كان من التمثيل والتخييل قوله تعالى « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا » (١) ١٧٣ لك الأعراف ٧ وقد تعقبه ابن المنير ٦٨٣ هـ في الانتصاف رادا عليه الأفكار المسبقة في كثير من المطان (٢).

ولم يقولوا بالوهم أو التوهم لأن الصورة والمادة لا وجود لها في واقع. والذي يعني اللغوي هذا الاتساع الذي يأتي به المجاز اللغوي أي المجاز في اللفظة أو المرسل (٣).

ومن هنا يمكن القول إن حديثهم من زاوية أخرى عن « التشبيه والاستعارة والتمثيل والكناية والمجاز هو حديثنا اليوم عن الخيال وعن الصورة الشعرية » (٤)

الخيال بما هو قوة تحدث توازنا في التعبير ونعني به الخيال الثانوي The Secondary عند كولردج وهو الشعرى عند العقاد (٥).

(١) الزنجشري : الكشف : ج ١ ص ٣٥٧ س ٦

(٢) ابن المنير : الانتصاف : ج ١ ص ٢٩ س ٥

(٣) الزنجشري : الكشف : ج ١ ص ٣٤ + ابن الأثير : المثل السائر : ص ١١١
١٤٢

(٤) مصطفى عبد اللطيف السحري : من النقد الأدبي من خلال تجاربي : مطبعة لجنة البيان العربي : يونيو ١٩٦٢ ص ٥٩ س ١ ونقلها من د. عز الدين اسماعيل : النقد الجمال عند العرب : ص ٢٢٩

(٥) د. العشماوي : قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ص ٥٥ ، عبد الحى دياب : عباس العقاد ناقدا : الدار القومية للطباعة والنشر : ١٣٨٥ - ١٩٦٥ ص ٤٨٤ + د. أحمد كمال زكي : النقد الأدبي : أصوله واتجاهاته : ص ٦١ مصطفى بدوي كولردج ص ١٥٨ : الخيال ونقله تشارلز مقسما إياه إلى ست.

و بعدا فما الأسباب التي تدفع التجوز بما هي مقاصد فيها الكشف عن طبيعة الأسلوب التجوزي بما هو معين على تصويره وكاشف عن ماهيته؟

إن المعاني قائمة لاسيل لنا إلى معرفتها إلا بالتعبير عنها وما مطالعنا لها إلا تحديد وتشذيب يتغاضى فيه عن قدرٍ ما منها إذ إن هناك كثيرا منها لا يستطيع المتلفظ أن يضمناها عبارته ، ويختلف هذا المدى تبعاً لعوامل شتى يحكمها ما ينسب للمجتمع والبيئة والطائفة والكاتب وعباراته في مظان أخرى و كل ذلك يضاف إليه ما حوله من قرائن حاكمة . .

ولذلك فإن التعبير المجازي يعجب به لما فيه من تلوين للأفكار وتوليد للصور ، وبعث للإيحاء بما هو ملائم لطبيعة المعاني .

وقد يكون من لم يستطع أن يعبر عن ذات نفسه أكثر استغراقا في تجربته فلم يستطع عنها إبانة ولم يتحكم فيها لفظا ، وكان هذا الأسلوب المجازي مرحلة وسط بين التحديد حيث ينال من جلال المعنى ، وبين الإحجام حيث يعز اللفظ المعبر فهو أقرب إلى الفكر طبيعة وألصق به تعبيرا بما هو معادل (١) .

ولذلك نجد التجوز في « كل تعبير يلبس الحقائق المجردة ، مساعدة للتصور الذهني » (٢) وإنه لفي مكتنتنا أن نعد من الأسباب في نشأة المصطلحات المتغيرات التي يواقعها المجتمع أنها تستلزم سمة لغوية جديدة وفاء بمطالب الحياة بما هو طبيعي فيها وما هو ذا الأعشى ٧ هـ يبدل بأسماء النوق التي ساقتها إليه الغارة أسماء أخرى جديدة :

(١) د . فائق مكي : إليوت ص ٢٩ وما بعدها

(٢) المتونى : الوجود : ص ١٣٣ س + ص ١٧٨ س + ص ٢٥٠ س ١

تدر على غير أسمائها مطرفة بعد إتلادها (من المتقارب)

والأسماء بعد ليست يسيرة ولا مما يلقي فيها القول على عواهنه مع
ضميمة أنها من خفايا الطبيعة التي قد تتأني على البحث العلمي التجريبي .

ولقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يقولوا للنبيه « راعينسا » في
موضعين ذلك إذ يقول : « لا تقولوا راعينا وقولوا انظرونا واسمعوا » ١٠٤ م
البقرة ٢ « ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرونا لكان خيراً لهم »
٤٦ م النساء ٤ ويعلق أبو جعفر الطبري ٣١٠ هـ قائلا « إنها كلمة كرهها
الله لهم أن يقولوها للنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذي ذكر عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تقولوا للعنب الكرم ، ولكن قولوا الحيلة
ولا تقولوا : عبدي ولكن قولوا : فتاي » ، وما أشبه ذلك من الكلمتين
اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد في كلام العرب ، فتأتي الكراهة
أو النهي باستعمال أحدهما واختيار الأخرى عليها في المخاطبات » (٢) .

ويبرز سؤال عن مغزى النهي الخاص بتسمية العنب الذي أشار إليه
الطبري وهو معزوٌ لحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « لا تسموا العنب الكرم فإنما الكرم الرجل المسلم » فيما يورده صاحب
اللسان ضمن نقول عن الأزهري والزمخشري ثم يثبت أنه يقال للكرم
الحفنة والحيلة والزرجون (٣) ، ولعله من المحتمل أن يكون « المراد أن تسميته
بهذا مع اتخاذ الحمر المحرّم منه وصف بالكرم والخير والمنافع لأصل هذا

(١) الأعشى - الديوان - تحقيق : د . محمد حسين : ج١ ، ١١١ - القصيدة ٨ البيت

٥٢ س ٨

(٢) الطبري - جامع البيان - ج ٢ ص ٦٣

(٣) ابن منظور - اللسان - ج ١ ص ١٧٤ س ٥ من أسفل

الشراب الخبيث المحرم وذلك ذريعة إلى مدح ما حرم الله وتبيح النفوس عليه . . ولذا فالأولى أن لا يسمى شجر العنب كرماً ^(١) .

وجرى الاستخدام على لسان عمر رضي الله عنه إذ يسأل رجلاً من أهل الطائف : الحيلة خير أم النخالة ؟ فيد أن صاحب التنبيه ضبطها بضم الحاء وتسكين الباء منفرداً بهذا ^(٢) . ونص ابن الأثير على فتح الحاء والباء وربما سكنت « الأصل أو القضيبي من شجر الأعناب » ، أما الحيلة بالضم وسكون الباء فهي ثمر السمر يشبه اللوبياء وقيل هو ثمر العضاة ^(٣)

ومن ثم فإن الشيء الواحد قد يلقب بأكثر من اسم يحمله يدل على ذلك تطورات لاحقة وصفات لابسته ويشير إلى أحوال تعاورته واهتمامات تداولته أو ظروف تنازعه ، فالأسد أخرجا خمسين ومائة اسم بل هناك من جمع خمسمائة اسم ، وللمحبة مائتين ، وللدواهي ما يزيد على أربعمائة وللحجر سبعين اسماً ^(٤) .

أيا ما كان الأمر فلكل منها جهتها التي تتوخي معها تسمية الأشياء ولذلك قد تكون الجهة ظاهرة لنا أو غير ظاهرة مما يكشف منه جانباً الجاحظ إذ يقول : « وإنما سمي شوال شوالاً لأن النوق شالت بأذنانها فيه فإن قال قائل قد يتفق أن يكون شوال في وقت لا تتسول الناقة بذنبها فيه فلم بقي هذا الاسم عليه . وقد ينتقل ماله لزم عنه ؟ قيل له : إنما جعل هذا الاسم

(١) ابن القيم : زاد المعاد : ج ٢ ص ٩ س ٤

(٢) البكري : التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه : ص ٩٥ س ١٠

(٣) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر : ج ١ ص ١٩٨ س ١٥

(٤) السيوطي : المزهرة - ج ١ ص ٣٢٥

له سمة حيث اتفق أن شالت النوق بأذناها فيه ، فبقي عليه كالسمة ، وكذلك رمضان إنما سمي لرمض الماء فيه وهو في شدة الحر فبقي عليه في البرد وكذلك ربيع إنما سمي لرعيهم الربيع فيه ، وإن كان قد يتفق هذا الاسم في وقت البرد والحر (١) .

ثم إن لكل اسم بدا ظرفه ومناسبته . ولكل اسم بيئته وزمنه ، ومعناه ودلالته ومن ثم يرى الفقهاء أن لهذه التسمية قيمتها في تحديد خصائصها الشيء أو ما تغير منه فالخمر مثلاً إذا ما تخللت صارت جلالاً لإطلاق اسم الخل عليها .

وكان من ذلك هاتيك الألفاظ التي حظر الشارع استعمال مدلولاتها أو أعضاها غيرها فلقد « كان في الجاهلية يقال الذي يأخذه الرئيس إذا غزا بالجيش المربع وهو ربع الغنمة ولم يسمع مربع إلا في الربع دون غيره من الخمس وما بعده والصفايا أشياء كان يصطفونها الرئيس لنفسه من خيار ما يغنم ، والنشيط ما أصابه الجيش في طريقه قبل أن يصل إلى مقصده وكان للرئيس النقيعة أيضاً وهو بعير ينحره قبل القسمة فيطعمه الناس (٢) ، والفضول وهي ما فضل من القسمة مما لا يمكن قسمه على الغزاة كفرس ونحوه ، ويعطى لفارس الغارة أيضاً وهذا ما أرسله عبد الله بن عتبة الضبي :

لك المربع فينا والصفايا وحكمك والنشيط والفضول (٣)

وعوضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة التي هي توحيد محض وتوكل

(١) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ١٦٩

(٢) الحلبي : إنسان العيون : ج ٢ ص ١٩٧ س ٢

(٣) ابن العربي : أحكام القرآن : ج ١ ص ٣٥٣

خالص وكلاهما استكناه المجهول ، وعن السفاح بالنكاح وكلاهما معاشرة ، وعن أنعموا صباحا بالسلام وكلاهما تحية ينص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أتاه عمير بن وهب فدنا منه ، « قال عمير : أنعموا صباحا - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة » (١)

وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير كثيرا من الأسماء بلدانا من يثرب إلى المدينة ، وأناسا من صحابته ، هذا زيد الخيل بن مهلهل يأتيه فيسأله صلى الله عليه وسلم : ومن أنت ؟ قال : أنا زيد الخيل بن مهلهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت زيد الخير (٢) وأم المؤمنين برة في غزوة بنى المصطلق إلى جويرية (٣) ، والمنبعث من الصحابة كان اسمه مضطجعا فغيره النبي ﷺ (٤) .

وقيل إن أبا العباس سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الساعدي الأنصاري كان اسمه حزننا فسماه ﷺ سهلا (٥) ، وفي غزوة الخندق كان من جملة من يعمل في الخندق جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا دميما قبيح الوجه صالحا من أصحاب الصفوة وهو الذي تمثل به الشيطان

(١) الخليلي : إنسان العيون : ج ٢ ص ٥٨ س ١٧

(٢) الأصفهاني - الأغاني - المجلد ١٦ - ص ٩٣ س ٣ من أسفل + ابن دريس : الاشتقاق : ج ٢ ص ٣٩٥ ش ٩

(٣) ابن حنبل : المسند : ج ٤ ص ٩٧ س ٢ ، ص ٣٣٣ س ٧ + الخليلي : إنسان العيون : ج ٢ ص ٢٩٥ س ١٤ + السيوطي : إسما المبتأ : ص ٤٩

(٤) الفيروز ابادي : القاموس المحيط ج ١ ص ١٦٢ س ٩

(٥) الصنعاني : سبل السلام - ج ٢ ص ٤٥ س ١٦

يوم أحد وقال : إن محمداً قد قتل ^(١) فغير ﷺ اسمه وسماه عمرا ^(٢) وفي غزوة الحديبية حديث عن ناجية بن جندب وكان اسمه ذكوان فغير رسول الله ﷺ اسمه وسماه ناجية لما أنه نجا من قريش ^(٣) .

ومن غير صحابته إذ يمنع تسمية أبي جهل بأبي الحكم ^(٤) ، وأبو لب واسمه عبد العزى لم يصرح باسمه فيما يراه السيوطي لأنه حرام شرعاً وتبيل للإشارة إليه أنه جهنمي ^(٥) .

ويبدو أن ذلك قد استقر في نفوس المسلمين وبات متوقفاً منه صلى الله عليه وسلم ، وليس أدل على ذلك مما يرويه البخاري من أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل : أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه . قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى . قال : فأأي شهر هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : أليس بذي الحجة ؟ ^(٦)

وهذا التغير يحمل اعتبارات منها : هذا التحديد للشيء ، وامتلاك هذا الشيء ، وخلع صبغة النقلة اللغوية الجديدة مترجمة الدين الجديد في في اصطلاح جديد ، وارتباط هذا الاسم بمسماه ارتباطاً كاشفاً عن شيء ما المسمى لأنه « لما كانت الأسماء قوالب المعاني ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب وأن لا يكون معها بمنزلة الأجنبية المحض الذي لا تعلق له بها فإن حكمة الحكيم

(١) الحلبي : إنسان العيون : ج ٢ ص ٢٣٩ س ٢٧

(٢) المصدر السابق - ج ٢ ص ٣٣١ س ١٨

(٣) الحلبي : إنسان العيون - ج ٣ ص ١١

(٤) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد - ج ٢ ص ٩ س ٦ من أسفل

(٥) السيوطي : معترك الأقران : القسم الأول : ص ٥١٢

(٦) البخاري : كتاب العلم .

تأبى ذلك والواقع يشهد بخلافه بل للأسماء تأثير في المسميات والمسميات
تأثر عن أسمائها في الحسن والقبح » (١) .

ومن ثم فإن لهذه الأسماء أصداء تنعكس على الإنسان وعلى المجتمع
إذ قد يقدح في الحسن قبح اسمه ، ويزيد في مهابة الرجل فخامة اسمه ،
ولهذا تكنى البحري بأبي عبادة وكان يكنى أبا الحسن ، وشهد رجل
عند شريح وكان الرجل يكنى أبا الكويفر ، فردّ شهادته ولم يسأل عنه ،
وسمع عمر بن عبد العزيز رحمه الله رجلا يكتى أبا العمرين فقال : لو
كان عاقلا لكفاه أحدهما . وأتي ظالم بن سراق عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ليستعمله فردّه ، وقال : أنت تظلم وأبوك يسرق ؟ وظالم هذا
جدّ المهلب بن أبي صفرة وهذه جملة كافية » (٢) .

وعلى هدي من هذه الاعتبارات لم يكن هناك ما يدعو لهذا الذي دعا
إليه حسن التهامي من تغيير اسم الحجر الأسود إلى الحجر الأسعد وذلك
لأمور تخص منها : عدم المعرفة بالمدلول اللغوي لدى العرب ، وأن هذا
الاسم ارتباط منا كارتباطنا بهذا التقبيل الذي أعلن عمر بن الخطاب وأنها
الأشياء غير المعقولة المعنى فلا مجال لتحكيم العقل فيها ، فضلا عن أن
ظروفنا الراهنة تجعلنا أكثر ما نكون تمسكا بهذا المنقول الماضي موصولا
بحياتنا الحاضرة .

وفي مجال الأسماء نرى ما كان لدينا اليوم من تجميع لأسمائنا كما هو
ماثل في الأعلام . والمسألة قد ارتبطت بمجالات عقلية بعيدة الغور ، ولعل

(١) ابن القيم - زاد المعاد - ج ٢ ص ٥

(٢) أبو هلال : الصنائع : ص ١٥٢ س ١٢

هذا كله من الدوافع التي دفعت ابن دريد ٢٢١ هـ إلى أن يفرد كتابا لاشتقاق الأسماء فيما ينص عليه أنه « كانت الأميون من العرب الذين نسخ الله عز وجل بدينه الذي اختصهم به النحل ، وحتم بملكهم الدنيا إلى انقضاء الأجل ، وهدهم لأفضل الملل في جاهليتهم الجهلاء وضلالتهم العمياء لهم مذاهب في أسماء أبنائهم وعبيدهم وأتلاذهم فاستشنع قوم إما جهلا وإما تجاهلا تسميتهم كلبا و كلبيا وأكلبا وخنزيرا وقردا وما أشبه ذلك مما لم يستقصى ذكره فطعنوا من حيث لا يجب الطعن وعابوا من حيث لا يستبط عيب ^(١) ، وأخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني قال : قيل للعتبي : ما بال العرب سمت أبنائها بالأسماء المستشعنة ، وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة ؟ فقال : لأنها سمت أبنائها لأعدادها وسمت عبيدها لأنفسها ، وقد أجاب العتبي بجملة كافية ، ثم أردف ولكنها محتاجة إلى شرح يوضحها ^(٢) ومن ثم رأي محقق الكتاب أنه « ولاريب أن ابن دريد في هذا إنما تدفعه الغيرة العربية أن يرد على الشعوبية ونحوهم بعض مطاعنهم على العرب ^(٣) وهي صورة لها اعتباراتها كل آن .

وإذا كان ما قررنا يحمل معنى تجدد الحياة ونمائها بتجدد المصطلح مواكبة لها واستلزاما للغة الجديدة تتخلص فيها كلماتها في بعض الدلالات وتخلع دلالات جديدة على كلمات آخر ، فعلينا أن نلمح لاتصال ذلك بما نحن فيه ، فتجد من يدينون بالإسلام حديثا يدخلونه باسم جديد دال على النقلة فمثلا : « رينيه جينو » تسمى باسم الشيخ عبد الواحد يحيى ^(٤) ،

(١) ابن دريد : الاشتقاق ص ٣ س ٦

(٢) المصدر السابق : ص ٤ س ١٢ + انظر الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية : ط الرحمانية ص ٥٤٨ + ٥٤٩ + الألوسي : بلوغ الأرب : ج ٣ ص ١٩٣

(٣) عبد السلام هارون : مقدمة الاشتقاق : ص ٣١

(٤) د . عبد الحليم محمود : الفيلسوف المسلم : ص ٢٣ س ٧

و « شميرينو » تسمى باسم عبد الحق ^(١) « والدكتور جو هانز ليهمان » قسيس الكنيسة الكاثوليكية في كوالالمبور باسم « الدكتور يحيى عبد الرحمن » ^(٢) .

ثم تجددت هذه التغييرات التي حدثت عند مجيء الثورة في الرتب العسكرية والوزارات من المعارف إلى التربية والتعليم ، وأسماء الجامعات من فؤاد إلى القاهرة ومن فاروق إلى الإسكندرية ومن إبراهيم إلى عين شمس ، واسم الدولة من المملكة المصرية إلى جمهورية مصر فالجمهورية العربية المتحدة فالجمهورية مصر العربية ومن ديوان الموظفين إلى الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة .

واستحدثت معان جديدة مثل المد الثوري والتجربة الرائدة ومجتمع نصف في المائة ، والمعادلة الصعبة وقوى الشعب العاملة ، والحياد الإيجابي والتغيير الجذري والميثاق والنقد الذاتي والبناء ثم الجبهة الداخلية والوحدة الوطنية والتسيب ودولة المؤسسات والحوار المفتوح وثورة التصحيح وورقة العمل والتغييرات ..

وشهد هذا المعهد جدلاً حول تسمية الدراسات الإسلامية ثم ما كان من حديث طال حول مصطلح « المسند والمسنود إليه » ، وها هو ذا الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شؤون الأزهر يطالب جمعيات القرآن ألا تسمى نفسها جمعيات المحافظة على القرآن وإنما جمعيات تحفيظ القرآن ^(٣) .

ومن الأسباب في نشأة التجوُّز ، التعليم الذي يدفع للجنوح إلى التعقيد والتفتين وهو أمر يدعو لنشأة مصطلحات جديدة ، وهذا ما سطره بشر بن المعتمر « والنحاة خلقوا لنا مصطلحات جديدة لم يكن العرب بها عهد

المعتمر

(١) المرجع السابق : ص ٢٢ س ٢

(٢) جريدة الأهرام : الخميس ١٢ من ربيع الآخر ١٣٩٥ هـ - ٢٤ من أبريل ١٩٧٥

(٣) جريدة الجمهورية : الجمعة ٦ من أبريل ١٩٧٣ ص ٥

لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو . وكذلك أصحاب الحساب قد اجتمعوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم ^(١) وبين أيدينا ما لدى علماء الحديث رصدا لكل الدلالات قاصيها ودانيها بما هو ميسر التصور واستحضار المراد ، لوفا من ألوان التقريب والشرح يجيز ما قد يكون فيها من تداخل ولهذا حينما سئل الخليل ١٧٠ هـ عن أسباب التسمية لعروضه اسما اسما فعمل لها ، لحظ ابن رشيق فيما نقله ما بينها من تداخل ، ولكنه علل ذلك بأن الخليل « إنما أراد بكثرة الألقاب الشرح والتقريب » ^(٢)

وهذا يقال في كل ما وسيلته التلقين فيما يتصل بهذه اللغة ، ويعنى بدراسته لأنه يمثل طورا من أطوارها .

بيد أنه قد ينشأ المصطلح تغطية لتفاهة فكرة أو ضحالة علم مواراة لعجز تحصيل ، ففي حالات التدهور وركود المجتمع تظهر هذي الآثار واسمة اللغة بميسمها فنجد هذه الاصطلاحات تعاليا إذ يقول أبو حاتم سهل بن محمد ٢٥٠ هـ فيما يرويه أبو الطيب عبد الواحد بن علي ٣٥١ هـ : « وإنما هم أحدهم إذا سبق إلى العلم أن يسيّر اسما يخترعه لينسب إليه فيسمي الجر خفضا ، والظارف الصفة ، ويسمون حروف الجر حروف الصفات ، والعطف النسق ، ومفاعيل في العروض فعولان ونحو هذا من التخليط ، قال اللغوي : والأمر في زماننا هذا أصلحك الله على أضعاف ما عرف أبو حاتم » ^(٣)

(١) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ١٤٠ س ٤

(٢) ابن رشيق : العمدة : ج ١ ص ١١٥ س ٣ من أسفل

(٣) الخليلي : مراتب النحويين : ١٠٢

وهو تكثّر حمل ابن رشيق ٤٦٣ هـ على التبرم مما جدّ من مصطلح واستحدث من لقب فيما يقرره صدد حديثه عن باب السرقات وماشاكلها « وقد أتى الخاني ٣٨٨ هـ في حلية المحاضرة بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت كالاصطراف والاجتلاب والانتحال — والاهتدام والإغارة والمرافدة والاستلحاق وكأها قريب من قريب قد استعمل بعضها في مكان بعض . . » (١)

والرغبة في هذا يكشف عنها ابن المعتز ٢٩٦ هـ كأنه يقرر ما حدث بعده إذ يقول : « ولعل بعض من قصر عن سبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته ، فيسمى فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به . » (٢) ثم تمضي الأيام ليأتي الآمدي ٣٧٠ هـ منكرا على قدامة تصرفه فيما توقعه ابن المعتز نفسه إذ إن المطابق لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر في كتابه المؤلف في نقد الشعر المتكافئ وسمى ضربا منه المجانس المطابق ، وما علمت أن أحدا فعل هذا غير أبي فرج فإنه وإن كان هذا اللقب يصح « لموافقته معنى الملقبات . وكانت الألفاظ غير محظورة ، فإنني لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها إذ قد سبقوه إلى اللقب وكفوه المئونة . وقد رأيت قوما من البغداديين يسمون هذا النوع المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة إذا تكررت » (٣) .

ثم يأتي ابن سنان ٤٦٦ هـ ليورد ما أنكره الآمدي ذاهبا إلى ما قد ذهب

(١) ابن رشيق : العمدة : ج ٢ ص ٢٦٥ س ٦

(٢) ابن المعتز : البديع : ص ١٨ س ١

(٣) الآمدي : الموازنة : ص ٢٥٧ س ٦ + انظر : ابن المعتز : البديع : ص ٧٤

+ قدامة : نقد الشعر : ص ١٥٣ س ٩ + العسكري : الصناعتين : ص ٣٠٧

إليه مقررا ذلك بقوله : « والصواب ما قاله أبو لقاسم » (١) .

وذلك قد يكون مدعاة للإيهام بأن بينها تغييرا للدلالة كل منها على ما يدل عليه الآخر ووجدناهم ينصون على ذلك كلما تسنى فيما يقرره عبد القاهر ٤٧١ هـ صدد الحديث عن قول القائل « بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » (٢) وذكر أبو أحمد - الحسن بن عبد الله بن سعيد ٣٨٣ هـ - العسكري - وهو أستاذ أبي هلال وخاله - « أن هذا النحو من الكلام يسمى المماثلة ، وهذه التسمية توهم أنه شيء غير المراد بالمثل والتمثيل وليس الأمر كذلك » (٣) .

ولذلك تراه حينما حاول استبدال مصطلح بآخر متحرجا غاية التحرج كاشفا عن استخدامه السابق فيقول : « المعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير » (٤)

ونجد أصداء هذا لدى المحدثين فيما انتهى إليه أمين الخولي ١٩٦٦ في كتابه « فن القول » وهو بصدد الحديث عن البلاغة بما قرره « فتكون البلاغة في تعريفنا هي فنية القول ووصل إلى ضرورة تسمية البلاغة فن القول *Arta de dire* وقرر أن هذا مترجم عن كتاب الأسلوب

(١) الخفاجي : سر الفصاحة : ص ١٨٥ س ١١ ، وانظر ص ١٨٩

(٢) قاله يزيد بن الوليد .

(٣) الجرجاني : أسرار البلاغة : ص ١٢٦ س ٨ وانظر ابن الأثير : ص ١٥٠

(٤) الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص ٣٨٩ س ١٥ ، وانظر : الجاحظ : الحيوان ج

١ ص ٤٥

الإيطالي La Stilela Italiano للباريني ^(١) إذ قرر أن تعليم الكتابة الفنية يسمى البلاغة كما يسمى كذلك فن القول ^(٢) ومع وجود التسميتين لديهم فضل الجديد واشتد في نهاية كتابه على من يحاول أن يتحدث عن هذا المصطلح ^(٣) .

وهذا الإحساس نراه كافياً ، « وليست العبرة بأن تسمى الأشياء بل العبرة بأن نغير أسلوب فهمها » ^(٤) ولذلك أبدى هذا المحدث دهشته إذ « الموقف القديم هو هو الموقف الحديث كل الفرق في استعمال المصطلحات » ^(٥)

وإن جرى قلم آخرين بالمصطلح ^(٦) إلا أن المصطلح القديم ما زالت له الصدارة .

ومن الأسباب في نشأة التجويز سرية الأمور وقد عرفها العرب وهي المراسلات الشفوية التي تعني الجهر في اللفظ العربي واللحن أيضاً بالإشارة ونعرج على كتبهم نستأديها صحة ما نذهب إليه فنجد ابن رشيق في حديثه عن الإشارة ينص على أن « من الإشارات اللحن وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه » وإن كان على غير وجهه قال الله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول) ٣٠ م محمد ٤٧ وإلى هذا ذهب الخدّاق في تفسير قول الشاعر :

(١) أمين الخولي . فن القول هامش ص ٤٠

(٢) المرجع السابق : ص ٤٢ س ٦

(٣) أمين الخولي . فن القول . ص ١٧٨ وما بعدها

(٤) د . مصطفى ناصف . نظرية المعنى في النقد العربي . ص ٩٤ س ٥

(٥) المرجع السابق . ص ٩٥ س ٤ من أسفل

(٦) د . عز الدين إسماعيل : الأوس الجمالية في النقد العربي : ص ٢٤٦

منطق صائب وتلحن أحيسا فإوخير الحديث ما كان لحنا^(١)

وهي المحاجة: « ويسميه الناس في وقتنا هذا المحاجة لدلالة الحجة عليه »^(٢)

وتروى لنا كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما علم في غزوة الخندق نقض بن قريظة العهد أرسل سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج وأرسل معهما من أرسل قائلا لهم :

« انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فإن كان حقنا فألحنوا لي لحنا أعرفه دون القوم أي ورؤا وكنوا في كلامكم بما لا ينهمه القوم » قال الحلبي : « أي لثلا يحصل لهم الوهن والضعف وإلا فاجهروا بذلك بين الناس . . فإن اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ومنه قول القائل وخير الحديث ما كان لحنا »^(٣)

وهي رموز وإشارات لا تعلق لها بالخط والكتابة ينص عليها القلقشندي « وهي التي يعبر عنها أهل المعاني والبيان بالاستعارة بالكناية » بالنون بعد الكاف « وقد يعبر عنها بالوحي والإشارة »^(٤)

هي صرف اللفظ عن ظاهره ، واستخدامه في غير ما وضع له . .
ولأن هذا اللون قد تتعلق به أمور لو كشف عنها لتغيرت أحوال

(١) قاله : مالك بن أسماء بن خارجة - أموي -

(٢) ابن رشيقي : العمدة : ج ١ ص ٢٧٦

(٣) الحلبي : إنسان العيون : ج ٢ ص ٣٣٧ س ١٠

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٩ ص ٢٤٩ وانظر ص ٢٥١

فلذلك « لا نجد لهذه الكتابة ولا كتبها ذكراً في المصنفات اللغوية والتاريخية ولعل ذلك لاحتفاظ الدول بشأنها وتكتم أمرها والضمن بها على غير أهلها وعدها سرّاً من الأسرار حتى ذهبت بذهاب أهلها ولم يبق منها إلا ماتعثر به عرضاً في صفحات التاريخ » (١)

ومما هو متصل بهذا التكتم السحر بطلاسمه ودلالاته الخاصة وهو عامل من عوامل نشأة المصطلح لكن قد تنفك الجهات فتختلط التعبيرات وتتجرد الكلمات إمعاناً في هذا التخفي ومظهره من مظاهر التملك مما له ميدان تجده في ظاهر مفتعل أداءه تسير ووسيلة تنكر لدى المعتزلة خوفاً من السلطات المناوئة لمعتقدهم أو لدى الصوفية ضناً بأفكارهم (٢) أو ما يترجمه البوني ٦٢٢ هـ بقوله « ولا يمكن لتصريح بأكثر من هذا الموضع » ، مع ضمنية ما به من طلسم (٣) .

وما اللغة سوى لون من ألوان السيطرة على الكون بمحاولة اكتناهاه وتحديد معالمه توافقاً أو تخالفاً مسيطرة أو مناوئة تعابشا أو تجافيا ، فتصير المصطلحات وترسل الألقاب بما هي عالم لغوي نوعي .

ومن الأسباب في نشأة التجوّز الترجمات (٤) وهو أمر يدعو إلى التخصيص أو التعميم إلى غير ذلك من الطرائق (٥)

(١) أمين الحولي : الجندية والسلام واقع ومثال - طبعة دار المعرفة ١٩٦٠ ص ٧٩

(٢) ابن خلدون : المقدمة : ص ٣٧٥ س ٦ من أسفل

(٣) أحمد بن علي : شمس المعارف ولطائف العوارف : طبعة محمد علي صبيح وأولاده

انظر ج ١ ص ٣ س ٢١ + ج ٤ ص ١٠٠ س ٤ + ص ١٠٤ س ١٩

(٤) أولمان : دور الكلمة في اللغة : ص ٢٠٣ س ١٤ + محمد المبارك : فقه اللغة

وخصائص العربية . دار الفكر العربي - الطبعة الثالثة - ١٩٦٨ ص ٢١٦ س ٥

(٥) انظر : د . مندور : النقد المنهجي : ص ٦٣ س ٢ من أسفل + ص ٦٤

وجملة الأمر أن المعاني لا تتغير صورها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز ، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة ولكن يشار إلى معانٍ أخرى ^(١) وانتقال المعاني من محيط إلى محيط هو المصطلح عليه بالمجاز ^(٢) وبه تكون اللغة قادرة بأن تفي بأغراض أهلها المتلاعين بها . . لكن ليس هذا المجاز مطلقاً وإنما له قوانين بما هي علاقات وقرائن .

-
- (١) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٢٠٤ س ٣ من أسفل + السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٤٠٠ .
(٢) المغربي : مواهب الفتحاح : ج ٤ ص ١٣ + د ابراهيم أنيس : دلالة الألفاظ : ص ١٥٥

الفصل الثاني

قوانين التجوّر

جهات التجوّر هي التي تحدّد علاقات استعمال الكلمة في غير ما وضعت له ، أو هي قوانين تبدل معاني الألفاظ بما هي أنواع المجاز لم يكن بدّ فيها من رباط أو علاقة تحقق الارتباط ، هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه ، سميت بذلك لأنّها تتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول فينتقل الذهن من الأول للثاني (١) .

هي صلة بين الأصل وفرعه ، خيط دقيق يعلله ابن الأثير صدد حديثه عن الاستعارة بقوله :

« وإنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً ، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر

(١) التفّازاني : مختصر السعد علي تلخيص المفتاح : ج ٤ ص ٤٤

إذ لا يعرفه حتى يستعير منه ، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر ^(١) .

ونوعيات هذه العلة هي التي ينظمها قولنا جهات التجوز وكانت لهم تقسيمات أسرفوا في تعدادها ، وغلوا في تصنيفها غلوا يضني سابرها فمن هذه الجهات ما جعل الشيء بسبب المشاركة في خاصية كقولهم للفرس بحر وللشجاع أسد ^(٢) وهي اشتراك في صفة ظاهرة في محل الحقيقة ، أو أن يكون محل التجوز مشابها محل الحقيقة في شكله وصورته كإطلاق اسم الإنسان على المصور على الخائط ^(٣) ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه ومنه قوله تعالى « إني أراني أعصر خمرا » ٣٦ ك يوسف ١٢ وهو المسمى أيضاً اعتبار ما سيكون ^(٤) وتسمية العنب خدرا سمّاها الرازي فيما أثر عنه بالتجوز بلفظ السبب عن المسبب ثم قرر أن الأسباب أربعة : القابل ومنه سأل الوادي ، والصوري ومنه اليد إنها قدرة ، والفاعل ومنه نزل السحاب أي المطر ، والغائي ومنه تسميتهم العنب خمرا ^(٥) .

(٢) ابن الأثير : المثل السائر : ص ١٤٠ ، ١٤١ وانظر الشوكاني : إرشاد

الفحول : ص ٢٣ س ٢٢ + الآمدى : الموازنة : ج ١ ص ٢٥٥

وانظر : العسكري الصنائع : ص ٢٧١ س ٦

(٢) الفرّالي : المستصفي : ج ١ ص ٣٤١ + ابن الأثير : المثل السائر : ص ١٤٣

+ السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٥٩

(٣) الآمدى : الإحكام : ج ١ ص ٣٩

(٤) الآمدى : الإحكام : ج ١ ص ٣٩

(٥) ابن الأثير : المثل السائر : ص ١٤٤ + الرازي : أساس التقديس : ص ١٤٠

س ١ + ص ١٥٣ س ٤ وانظر : بهاء الدين السبكي : عروس الأفراح : ج ٤

ص ٢٩ + ابن جني : الخصائص : ج ٣ ص ١٧٣ + الزنجشيري : الكشف :

ج ١ ص ٢٦٦ + ٢٧١

ومنها تسمية الشيء باسم فرعه نحو الرطب تمر وهو يحمل على قول العنب خمر ، ومنها تسمية الشيء باسم أصله ومنه الآدمي مضغة ومنه قول الله تعالى : « وآتوا اليتامي أموالهم » ٢ م النساء ٤ سموا يتامسي بعد البلوغ بدليل تسليمهم أموالهم ، ويسمى أيضاً اعتبار ما كان .

ومنها تسمية الشيء باعتبار دواعيه مثل تسميتهم الاعتقاد قولاً ، ومنها تسمية الشيء باسم مجاوره كقولهم للمزادة راوية وإنما الراوية التي وضعت في الأصل للبعير الحامل المزادة - وهي سقاء من ثلاثة جلود تجمع أطرافها طلباً لتحملها كثرة الماء - فاستعملها في المزادة مجازاً ^(١) ومنه قولهم : « جرى النهر والميزاب » ^(٢) ومنها تسمية الشيء باسم جزئه ومنه قوله تعالى « فتحرير رقبة مؤمنة » ٩٢ م النساء ٤ وقولهم : أبعد الله وجهه وإنما يراد سائر الجسد وشرطوا في هذه العلاقة استلزام انتفاء الجزء انتفاء الكل عرفاً كالرأس والرقبة بخلاف الظفر والأذن واليد للإنسان أو يكون للجزء مزيد اختصاص بالمعنى المطلوب من الكل المسمى باسم الجزء كالعين في الجاسوس واليد في الشيء المعطى ^(٣) ومنها تسمية الشيء باسم ضده كقولهم للأسود والأبيض جون وكان لابن الأثير رد على ما نقله عن الغزالي معقبا « ولا شك أن الغزالي نظر إلى أن - الضدين لا يجتمعان في اسم واحد كما أنهما لا يجتمعان في محل واحد فإن قيل لا نسلم أن اللفظ المشترك حقيقة بالوضع

(١) المغربي : مواهب الفتح : ج ٤ ص ٣٣ + ابن فارس : الصحاحي : ص ٦٣ ،

السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٠

(٢) الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٣٩

(٣) الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٣٩ + ابن فارس : الصحاحي : ص ١١٢ + السبكي :

عروس الأفراح : ج ٤ ص ٤٣ ، السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٤٢ ،

الإنابابي : حاشية على رسالة الصبان : ص ٧٥

في المعنيين . معاً لأن ذلك يخل بفائدة الوضع الذي هو البيان وإنما هو حقيقة بالوضع في أحد معنييه مجاز في الآخر فليس مما تقرر ^(١) ولنا في هذا عود ^(٢) لكن للرازي علاقة المضادة كالسيئة للجزاء فيما رواه السيوطي ^(٣) واعتبر السبكي هذا من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب ^(٤) وقد يسمى مجاز المقابلة ويلزم فيها تقدم الكلمة الحقيقية لكن قد تتقدم مثل « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » ٥٤ م آل عمران ٣ وقد تتأخر مثل « يد الله فوق أيديهم » ١٠ م الفتح ٤٨ وضعف هذي التسمية السبكي لأنها مخالفة لاصطلاح الناس مع ضمنية أنها مردودة بقول الله تعالى : (أفأمنوا مكر الله) ٩٩ ك الأعراف ٧ ^(٥) ولذا فالمشكلة بالإطلاق أجدر .

ومنها تسمية الشيء باسم مكانه كقولهم المطر سماء ومنها تسمية الشيء باسم فعله كتسميتهم الخمر مسكر وسماء الرازي اسم الفعل على القسوة كقولنا الخمر في الدن أنها مسكر ^(٦) ومنها تسمية الشيء باسم كله كقولك في جواب ما فعل زيد ؟ القيام ، ومنه قوله تعالى : « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت » ١٩ م البقرة ٢ ، ومنها العموم كاستعمال الفرس في مطلق الدابة والخصوص كاستعمال الدابة في الفرس ^(٧) ومنها الآلية ومنه قول الله تعالى . « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » ٨٤ ك الشعراء ٢٦ أي ذكرنا صادقاً وثناء حسناً ، ومنها البدلية نحو قول الله تعالى :

(١) ابن الأثير : المثل السائر : ص ١٣٧ وما بعدها

(٢) انظر حديثنا عن الأضداد في هذا البحث .

(٣) السيوطي : المزهري : ص ٣٥٩

(٤) السبكي : عروس الأفراح : ج ٤ ص ٣٨ + س ٤٣

(٥) المرجع السابق : ج ٤ ص ٤٤

(٦) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٠

(٧) ابن فارس : الصحابي : ص ١٧٨ ، ١٧٩

« فإذا قضيتُم الصلاة فاذكروا الله » ١٠٣ م النساء ٤ أي أدبتموها ومنها المبدلية نحو قولهم : أكلت دما أي دبة ^(١) ومنها التعلق الاشتقافي إذ نقول هذا خلق الله أي مخاوقه وسماه الرازي اسم المتعلق على المتعلق به ^(٢) ومنها الإطلاق والتقييد ، ومنها الحالية كقوله تعالى : « ففي رحمة الله هم فيها خالدون » ومنها المحلية نحو « فليدع ناديه » ومنها تسمية الشيء باسم حكمه كقوله تعالى : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » ٥٠ م الأحزاب ٣٣ ، سمي النكاح هبة ومنها اللازمة نحو إطلاق الشمس وإرادة الضوء ، ومنها الملزومية نحو إطلاق الضوء وإرادة الشمس ، ومنها ما يسمى بالمجاز العرفي وهو إطلاق الحقيقة على ما هجر عرفا كالدابة للحمار ^(٣) ومنها الزيادة في الكلام لغير فائدة كقوله تعالى : « فيما رحمة من الله لنت لهم » ١٥٩ م آل عمران ٣ ، وذكر صاحب المستصفي قوله تعالى : « ليس كمثل شيء » إذ الكاف وضعت للإفادة فإذا استعملت على وجه لا يفيد كان ذلك على خلاف الوضع ^(٤) ولم ير فريق ذا صوابا لأن المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له في أصل اللغة وإن كان ثمت تداخل إذ إن ما شاع لدى النحاة إنما هو مصطلح خاص يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل إذ لو وضعت لكان لها اسم آخر هو الكافة ولذلك فهي دلالة على التفعيض لأمر النعمة التي لان بها الرسول لهم ^(٥) ومنها النقصان الذي لا يبطل التفهيم وهو نوعان : أولهما حذف الموصوف وإقامة الصفة ومنه قوله تعالى « ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا » ١٢٢ م النساء ٤ أي

(١) انبكي : عروس الأفراح : ج ٤ ص ٤٤ + الزمخشري : الكشاف : ج ١ ص ٨٤

(٢) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٠

(٣) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٤) الغزالي : المستصفي : ج ١ ص ٣٤٢

(٥) عبد القاهر : أسرار البلاغة ص ٤٦٠ وما بعدها + ابن الأثير : المثل السائر :

شخصاً بريئاً إذ الصفة لازمة للموصوف ، وثانيها حذف المضاف وإقامة المضاف إليه ومنه قوله تعالى : « وأسأل القرية » أي أهل القرية إذ هو دل بالمسكون على الساكن وقرر ذلك الوجه في المستصفي بأن هذا النقصان اعتدته العرب فهو توسع وتجاوز^(١).

والزيادة والنقصان لون واحد جعلهما الرازي علاقة واحدة^(٢).

ويسمى هذا اللون مجاز الإعراب لتغير الإعراب بالزيادة والحذف وهو لا يعم كل زيادة ونقص بل يختص بما تغير به الإعراب ، والسدي يسمى بالمجاز في ذلك ذات الكلمات وذلك لمشابتها بالمجاز المعرف في نقل كل من إعراب هو أصل إلى غيره واستعماله فيه مثل المجاز من معنى إلى آخر أي أن المجاز الكلمة المعربة لا نفس إعرابها وهو المختار^(٣).

ولأن هذا أمر غير محدد نجم أمران : اختلاف الاستشهاد على العلاقة وتقريرهم لاحتمال العلاقات الشاهد الواحد^(٤) وكان ما بهذه الأقسام من تداخل ولنضرب مثالا دالا على ذلك في قوله تعالى : « وأسأل القرية » إذ أوردها الجرجاني صاحب التعريفات تحت مصطلح خاص هو المقتضي الذي عرفه بأنه ما لا صحة له إلا بإدراج شيء آخر ضرورة صحة كلامه بجعل غير المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق كقول الله تعالى « وأسأل القرية » أي أهل القرية^(٥) ، وأوردها صاحب الإحكام في دلالة الاقتضاء إذ لا بد من

(١) الغزالي : المستصفي . ج ١ ص ٣٤٢ + ابن الأثير المثل السائر . ص ١٣٩ +

السيوطي . المزهر . ج ١ ص ٣٦٠

(٢) السيوطي . المزهر . ج ١ ص ٣٦٠

(٣) المغربي مواهب الفتاح . ج ٤ ص ٢٣٤

(٤) السبكي : عروس الأنفراح . ج ٤ ص ٤٥ + الجرجاني : أسرار البلاغة ص ٤٤١

(٥) الجرجاني : التعريفات : ص ١٩٦

إضمامار هل القرية ألصحة الملفوظ به عقلا بما هو تدليل على ما قرره صاحب التعريفات (١) .

ثم نجدها قد وردت باعتبار علاقة المحلية لدى كثير كمن نقل عنهم السيوطي في الإتيان (٢) وأوردها صاحب المستصفي تحت عنوان النقصان الذي لا يبطل به المعنى أو الذي لا يبطل التفهيم (٣) بما هو من نوع حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وقرره النحويون في باب الحذف (٤) . وذهب إليه الرماني والدسوقي والرازي وعرض له عبد القاهر (٥) .

وهذا يدفع بسؤال : ما جهة اعتبار العلاقة ؟

أهو وصف المعنى المنقول عنه الذي هو الحقيقي أو المنقول إليه الذي هو المراد أو كلا الأمرين ؟

التحقيق وصف المنقول عنه (٦) .

وهذه العلاقات كلها اجتهدادية تقوم على غرض المتكلم (٧) ، وقد

(١) الآمدي : الإحكام . ج ٣ ص ٩١ + عبد القاهر . دلائل الإعجاز ص ٥٣ س ١

(٢) السيوطي : الإتيان في علوم القرآن . مطبعة حجازي بالقاهرة ج ٢ ص ٣٧ س

٢٧

(٣) الغزالي : المستصفي ج ١ ص ٣٤٢ + ابن الأثير . المثل السائر ص ١٣

(٤) انظر : ابن هشام . مغني اللبيب . طبعة البابي الحلبي . ج ٢ ص ١٦٥ س ٢

(٥) الرماني : النكت في إعجاز القرآن . ص ٧٠ س ٧ + الدسوقي : حاشية على السعد

ج ٤ ص ٣٨ + الرازي : أساس التقديس : ص ١٢٩ س ١ عبد القاهر : أسرار

البلاغة : ص ٤٥٧ س ١٥

(٦) الدسوقي : حاشية على السعد : ج ٤ ص ٣٤

(٧) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة : ص ٤٦٢

قرر الرازي أن جهات المجاز يحضرنا منها اثنا عشر وجهاً^(١) ، وقد تصل عند فريق إلى أربعين علاقة^(٢) ، ومن ثم ردّها الآمدي إلى المشابهة وما يثول إليه والمجاورة^(٣) ، وردّها ابن الأثير إلى التوسع في الكلام تصرفاً في اللغة والتشبيه والاستعارة إذ يرى أن « التقسيم لا يوضح في شيء من الأشياء إلا إذا اختص كل قسم من الأقسام بصفة لا يختص بها غيره وإلا كان التقسيم لغوا لا فائدة فيه »^(٤).

ولعل هذا المنزع هو الذي دفع المحدثين إلى الحديث عنها بما هي درس لغوي على المستوى الدلالي فكان حصرهم لها في أنواع كالنقل والتفسير الانحطاطي والمتسامي ، وذلك إما بتخصيص المعنى أو تعميمه أو نحو المعاني المتضادة^(٥).

لكن أهمية هذا كله إنما تكمن في أن الحديث عن العلاقات إنما هو حديث عن إمكان التجوز بما هو تصرف ..

وهذه العلاقة هي التي يكون بها الانتقال من الملزوم إلى اللازم وعليه مبنى المجاز^(٦) ويكون بها هذا الاتصال للمعنى المستعمل فيه بالموضوع له

(١) السيوطي : المزهرة : ج ١ ص ٣٥٩ وما بعدها .

(٢) الشوكاني : إرشاد الفحول : ص ٢٤ س ١٢ .

(٣) الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٤٨ وما بعدها .

(٤) ابن الأثير : المثل السائر : ص ١٣٨ .

(٥) أولمان : دور الكلمة في اللغة : ص ١٦١ وما بعدها + د . إبراهيم أنيس دلالة

الألفاظ : من ١٤٨ إلى ١٥٥ + د السمران : علم اللغة : ص ٣٨٨ + ٣٩٧ +

٤٠١ ، محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية : ص ١٢١ وما بعدها ، د

مراد كامل : دلالة الألفاظ العربية وتطورها : (محاضرات معهد الدراسات العربية

العالية) ١٩٦٣ م - ص ٢٥ .

(٦) السبكي : عروس الأفراح : ج ٤ ص ٤٣ ، الدسوقي : حاشية على السعد : ج

٤ ص ٤٣

ارتباطا بين المراد والموضوع له ^(١) ارتباطا بين الكلمات كما ان الاشتقاق رباط بين الصيغ ، وإخراجا للارتجال حيث لا علاقة ^(٢) والغلط لسانا أو الصياغة والاستعمال ، هي قيد المستخدم واحتياج المتجاوز لها أيا كان شرعا أو عرفا أو اصطلاحا ^(٣) ينفي النقل عن السابقين ^(٤) .

وما هذا التقصي سوى درس لأساليب جدّت تثبت هذا الإمكان وعدم الاقتصار على المستعمل لأن المعتبر من هذه العلاقة نوعها لا شخصها ^(٥) أي دون البحث عن اللفظ بعينه ، وما فعله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٤٦٧ - ٣٥٨ هـ وقد كان معزّي المذهب مجاهرا بذلك ^(٦) إنما أراد به إلى التنبيه على جانب عظيم من أساليب البلغاء وتصرفاتهم في المعاني ليقترن بها وإلا فما اختصاص امرئ القيس بقيد الأوابد ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمي الوطيس ^(٧) ومات حتف أنفه ^(٨) ووصف الفرس

(١) الشوكاني : إرشاد الفحول : ص ٢٣ س ١٢ + الصبان : رسالة في علم البيان ص ٨٠ + ٨١ ، الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٤٨ + مجلة مجمع اللغة العربية ج ١ محمد الخضر حسين : (١٣٧٨ هـ) ص ٢٩١ مقال « المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة » ، ج ١١ ص ٢١١ - د . محمد يوسف موسى « في المصطلحات الإسلامية »

(٢) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٨

(٣) الجرجاني : الترميمات : ص ٢٠٩ س ٦ من أسفل + الغزالي : المستصفى : ج

١ ص ٣٢٦

(٤) الصبان : رسالة في علم البيان : ج ١ ص ٧١

(٥) ابن عبد الشكور : مسلم الثبوت : ج ١ ص ٢٠٣ س ٢

(٥) ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٩ ص ١٢٦ س ١ من أسفل

(٦) ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٩ ص ١٢٦ س ١ من أسفل

(٧) ابن رشيق : العمد : ج ١ ص ٣٢١ + ابن الأثير : المثل السائر : ص ٢٥

(٨) الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية (ط الرحمانية) ص ٢٠٨ س ٧ + د. شوقي ضيف

الفن ومذاهبه في النثر العربي ط أولى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٥

هـ - ١٩٤٦ م ص ١٧ س ١٥

بالبحر (١) وحديثهم عن النيران (٢) ؟

بيد أن تعريفاتهم حملت إثباتا ونقيا فيما عرض له الآمدي شارحنا اصطلاحاتهم فمن اعتمد كون المجاز وضعيا قال في حدّه : « هو اللفظ المتواضع على استعماله في غير ما وضع له أولا في اللغة لما بينهما من التعلق ومن لم يعتقد كونه وضعيا أبقي الحد وأبدل المتواضع عليه بالمستعمل وعلى هذا فلا يخفى حدّ التجوز عن الحقيقة العرفية والشرعية (٣) » .

ومن ثمّ كان حديثهم عن : هل المسألة كفاية العلاقة أو اعتبار النقل فإن ثبت مانع مع وجود العلاقة فليس معنى ذلك ضرورة النقل ، وإنما المانع من قبل أهل اللغة ، والتخلف لمانع لا يقدح في تمامية المقتضي (٤) وهو مرادهم بضرورة اعتبار ملاحظة العلاقة إذ وجودها لا يكفي (٥) .

ومن ثمّ وجد ما ليس بمجاز ولا حقيقة مما تكشف عنه تعريفات القوم في المجاز فما لم يستعمل قصدا سواء وضع كزبد قبل استعماله أم لم يوضع كديز ، أو ما استعمل لا عن قصد وهو غلط اللسان (٦) ، وأسماء

(١) الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ط الرحمانية ص ٢٤٠ س ١٠

(٢) الجاحظ : الحيوان : ج ٤ ص ٣٤٩ + ٣٩٤ + ٤٦١ + ٤٦٣ ، ٤٦٦ ،

٤٧٠ + ٤٧٣ + ٤٧٤ + ٤٧٦ + ٤٧٩ + ٤٨١ + ٤٨٣ + ٤٨٤ + ٤٨٦

٤٨٦ + ٤٨٧ + ٤٨٨ + ٤٨٩ + ٤٩١ + ج ٥ ص ٦ + ٣٤ + ٦٥ + ٦٦ ،

٦٩ + ٩٠ + ٩٤ + ٩٦ + ٩٧ + ١٠٧ + ١٠٩ + ٢٠ + ١٢٣ + ١٣٣ ،

ص ١٣٤ + ١٤٨ + النويري : نهاية الأرب : ج ١ ص ١١٤

(٣) الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٣٨ + ٣٩

(٤) الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٧١ + عبد الجبار : المغني : ج ٥ ص ١٨٨ .

وما بعدها .

(٥) المغربي : مواهب الفتاح : ص ٢٥

(٦) الصبان : رسالة في علم البيان : ص ٧٥

الأعلام لأن مستعملها لم يستعملها فيما وضعه أهل اللغة له أولا ولا في غيره ، والألفاظ الموضوعية قبل الاستخدام ، وكل وضع ابتدائي^(١) .

وما لا يدخله المجاز كأسماء التي لا أعم منها ولا أبعد كالمعلوم والمجهول والمدلول والمذكور إذ لا شيء إلا وهو حقيقة فيه فكيف يكون مجازا عن شيء ؟

وأسماء الأعلام ويقصد بها الأعلام المتجددة دون الموضوعية بوضع أهل اللغة فإنها حقائق لغوية كأسماء الأجناس^(٢) ، وهي وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات إلا إذا كان ما للصفات علما فإنه مجاز كالأسود بن الحرث^(٣) ومن هنا كان قولهم ليس ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز بهذا الاعتبار ، ولأنها لم تنقل بعلاقة فلا مجاز فيها^(٤) .

أما الشق الثاني من القوانين فهو القرائن .

(١) الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٤٦ + ٤٧

(٢) السيوطي : المزهر ج ١ ص ٣٦٧

(٣) الغزالي : المستصفي : ج ١ ص ٣٤٤ + ابن الأثير : المثل السائر : ص ٢٥

، النويري : نهاية الأرب : ج ١ ص ٣٨ + السيوطي : المزهر : ج ١ ص

٣٦١

(٤) السيوطي : المزهر : ج ١ ص ٦٣٠

القَرَائِن

لأريب في أن المتصدّي للفكر العربي — وهو الذي تساعدت القرائن عليه ، وترافدت الهمم إليه — يجد عسرا في تناول أي جانب من جوانب الدرس فما إن يبدأ موضوعا حتى يجد نفسه مكدود الذهن مشّت الخاطر مضطرب الرؤية قد أخذته الدهش والتوى عليه الكلام ، تخطيط به غوامض أقرب إلى المعتميات ، لا يدري لنفسه منها مخرجا ، ولا إلى اكتناهاها من سبيل ، ويحاول تسويغا تارة وترجيحا يشوبه التظنن تارة وتكافأ لديسه الأذلة ثالثة .

وما ذاك إلا لأن ما يصل إلينا ليس موضوعا ، ولكنه معالجة موضوع أو إحساس به وتصور له ، والنسبة بينهما هي البذور الملقاة تموت زهراتها في وقت لتزهر في وقت آخر وهي التي يهيم بها أناس ويعشقونها يبتدأ يصدف عنها آخرون ويمقتونها ، وكيفما كان الأمر فهي رؤية قد نفهمها أو لا نفهمها قد نفهمها فهما بالغاً فننفع بها ونهش لها ونفيد منها أو قريبا مما أريد لها فيكون توصيلا إذ نجدما لأجله كانت ، أو مغايرا لما أريد لها فيكون رأي ، لم يكن لنا إليه من سبيل لو لم نتعرف على ما قيل ، وقد يستبهم أمرها نتمرد عليها أو نرفضها ، أو توحي لنا بشيء آخر مما يعرف بتداعي المعاني ، وقد لا يكون هناك شيء من ذلك بما هو هدف فيكون الفن للفن أو ما إلى ذلك مما يروج به العصر .

لكن من المقطوع به أن هناك خدمة من التأليف ضربا الذكر صفحا

عمّا يكون فيه من أغراض حقيقية أو محتملة أو متوهمة ، فقد تكون معالجة الموضوع غاية دينية أو هدفا سياسيا أو مرمى آخر ، وقد لا يكون شيئا من ذلك وإنما استجابة لدافع لم يبد لنا فلم يسهل علينا تعليله أو رده إلى أسبابه الأولى إذ هي ضاربة بأطناب في العلاقات الاجتماعية متشعبة ، ولما قد يكون من عنوان ليس فيه أي دليل على ما أدرج تحته .

ومن ثم فإننا حين نقرأ في كتب التفسير مثلا نجد أنها تختلف فيما بينها في التركيز على جانب دون آخر ، ولكنها متفقة في أنها تعليمية ، أما التفسير بالمعنى الاصطلاحي فما نكاد نجد له ذكرا ، ودليلنا على هذا أن هناك إحالات على الفقه في كثير من المظان ، أما هي ففيها النحو والصرف والبلاغة والقصص وأسباب النزول والمنطق وما إلى ذلك مما هو صناعي ، هي تطبيقات العلوم المحافظة والتي تخدم التفسير ولكنها شيء آخر غير التفسير .

وطبيعة الدرس تحمل الاختلافات ، « فليس لك بدّ إذن من أن تفرق بين نوعين من أنواع المعرفة أحدهما يأتي من المشاهد المباشرة ويتأكد بالتجربة المتكررة ، والآخر يأتي من طريق النقل والرواية » ^(١) وهذه الروايات مسرفة في المفارقات لأنه ليس إلى تجريدها من سبيل لذا فهي : « لا تصل إليك خالصة من كل شائبة ، مبرأة من كل أثر لؤلؤاء الذين تناقلوها ، والظروف التي أحاطت بهم حين تناقلوها ، ولحظوظهم المختلفة من الدقة في النقل والصدق في الرواية ومن حسن الفهم وصواب الحكم وبراعة التصوير والتعبير » ^(٢) .

(١) د . طه حسين : مقدمة فصول مختارة من كتب التاريخ - طه حسين - عبد السلام هارون - على البجاوي - إبراهيم الإبياري - مطبعة محمد عاطف ١٣٧٥

١٩٥٥ م ج ١ ص ٣ من أسفل .
(٢) د . طه حسين : مقدمة فصول مختارة من كتب التاريخ : ج ١ ص ١٤

واللفظة ليست واحدة تحمل معنى غفلا لصت عليه المعاجم ، أو هي محدودة بمعان فيها تلتبس معنى واحدا منها أو أكثر في أسلوب ما وفسق تركيب معين لدى كاتب أو آخر ، ولكنها مواضع لها تاريخ ، وأصوات لها ظروف فهناك كثير من العوامل المتداخلة ، تعطي الكلمة في وقت ما تسلبه إياها في آخر ، فالحياة متطورة واللغة مواكبة لها متفاعلة معها تتطور بتطورها لتشاكل أسلوبها فلا يكون التجاني ولا النفور ، والزمن بالدلالة يتباعد والخرق يتسع فلم يكن بد من فروق كان من أسبابها تغير البيئات بما حوته من أجناس تباينت وثقافات تعددت تتصل بكل الأصول والملايسات التي أتاحت للغة وهي عميقة الجذور مترامية الأطراف عريقة الاستخدام قوية منذ معرفتنا بها وهو عهد غير بعيد ، يتشكل فيها التعبير ويتلون بما اعتوره من ظروف وخلع عليه من ملايسات بما هو ماضي المتلايين بها والمستعملين لها وسبب الاختلاف في المفهوم اللغوي وما يترتب عليه .

إذن فلم يكن بد من تحديد أسس وركائز لفهم الدرس اللغوي وتوجيهه ولقد بين الغزالي ٥٠٥ هـ في الفصل الذي عقده عن طريق فهم المراد من الخطاب أنه « إن كان نصا لا يحتمل كنى معرفة اللغة ، وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ ، والقرينة إما لفظ مكشوف كقوله تعالى : « وآتوا حقه يوم حصاده » ١٤١ م الأنعام ٦ ، والحق هو العشر ، وإما إحالة على دليل العقل كقوله تعالى : « والسموات مطويات بيمينه » ٦٧ ك الزمر ٣٩ ، وقوله عليه السلام : « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » ، وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحر كات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين يختص بدر كها المشاهد لها فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة أو من قرائن ذلك الجنس أو من جنس آخر حتى توجب علما ضروريا بفهم المراد ، أو توجب ظنا ، وكل ما ليس عبارة موضوعة

في اللغة ففتعين فيه القرائن (١)

وعليتنا أن نتلمس هذي القرائن بما هي أمور تشير إلى المطلوب (٢) ثم بما هي محسنات أو مقبحات (٣) متهددين بما قالوه وما ينبني عليه بعدا من حديث ..

أردنا بها ضوابط ترد إليها ماها ، وتنفي عنها ما ليس منها .

فجل هذي الكتب حوى ما قاله الأساتذة للتلامذة ، وقد يكون غرض التأليف فيها بعيدا : فهي أمال تملئ يورد طرفا منها حاجي خليفة (٤) حملت العنوان صنع أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحنفي ١٨٣ هـ في الفقه ، وابن الحاجب ٦٧٢ هـ في التفسير والنحو ، وابن حجر ٨٥٢ هـ في الحديث أم حملت ما يوحى بذلك مثل مجالس ثعلب ونوادر أبي زيد أم لم تحمله لكن ثمت إشارات تنص على ذلك (٥) قد يملئها صاحبها مرة أو أكثر فلقد كان ابن دريد ٣٢١ هـ قد أملأ الجهمرة في فارس ثم أملأها بالبصرة وبغداد من حفظه قيل فلذلك قلما تتفق النسخ وتراها كثيرة الزيادة والنقصان (٦).

وحملت لنا الآثار أساليب تنم عن ذلك نحو ما ينص عليه سيبويه غير مرة من أن هذا تمثيل ولم يتكلم به (٧) مثل وإذا نصبت زيدا لقيت

(١) الغزالي : المستصفى : ج ١ - الفصل السادس ص ٣٣٩ س ٤

(٢) الجرجاني : التعريفات : ص ١٥٢

(٣) ابن رشيقي : العمد : ج ١ ص ٢٤١

(٤) حاجي خليفة : انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

(٥) ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٨ ص ٢٩ س ١ من أسفل + ص ٤٢ س ٤

(٦) المصدر السابق : ج ١٨ ص ١٣١ س ٢ من أسفل

(٧) سيبويه : الكتاب : ج ١ ص ٢٢ س ١٤ ، ص ٨٣ س ١٤ ، ص ٣٥٣

س ٥ ص ٣٧٤ س ٨ ، ص ٣٧٦ س ٣

أخاه ، فكأنه قال : لا بست زيدا لقيت أخاه وهذا تمثيل ولا يتكلم به ^(١) .
ولديهم ما يدخله النحويون للتعلم ^(٢) إلى غير ذلك ومنه هذا الباب «الإخبار
بالذي والألف واللام» وضعه النحويون للتدريب في الأحكام النحوية كما
وضع التصريفيون مسائل التمرين في القواعد التصريفية ^(٣) . ومسائل
التصريف التي يضعها النحويون للرياضة ولضرب من تمكين المقاييس في
النفوس ^(٤) وقد أشاروا إلى «حاحيت حيحاء» مما مثل به في كتب التصريف
ولم يفسر ^(٥) .

وهي روايات لم يخطها واحد منهم بل هناك المجازون يروون وكان
جَلّ اعتمادهم في مدارسهم على التلقي والمشافهة ، وكانت الحافظة عندهم
المرجع الأول وعليها المعوّل ، وقالوا : «مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها» ^(٦)
بل كانوا في معرض الذم يقولون : «هل هو إلا لحانة صحفي» ^(٧) لمن
يأخذ الصحف من المشايخ ومن هنا كانت كلمة التصحيف ، وما الكتب
المدونة الأولى إلا مجموعات من روايات تتوالى في صفوف من الشهود .
ويكفي أن ترجع إلى كتاب الأغاني الذي يبلغ واحد وعشرين مجلدا ضخما
فستره مجاميع هائلة من الأسانيد فمع كل شعر وكل خبر السند الشاهد
على صحتهما وصدقهما ، بقدر ما استطاع أبو الفرج أن يؤدي الأمانة
العلمية في ذلك . ومثل صنيعه صنيع القالي في كتابه الأمالي ، فالرواية
والمشافهة دائماً أساس في كل ما يدون العالم في اللغة أو على الأقل أساس

(١) المصدر السابق : ج ١ ص ٨٣ س ١٤

(٢) السيوطي : جمع الهوامع : ج ٢ ص ٢١٧ س ٤

(٣) الصبان : حاشية على الأشموني : ج ٤ ص ٥٣

(٤) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٢٤

(٥) الفيروز ابادي : المحيط ج ١ ص ٢١٩ ص ٦ من أسفل

(٦) الجاحظ : البيان : ج ١ ص ١٥٩ س ٨

(٧) ابن منظور : لسان العرب : مادة صحف

في أكثر ما يؤلف ويصنف ^(١) سواء في ذلك أصرحوا أم لم يصرحوا والقرطبي ينه على ذلك . « وشرطي في هذا الكتاب لإضافة الأقوال إلى قائلها والأحاديث إلى مصنفها فإنه يقال : من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله ، وكثيرا ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهما ، لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث ، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائرا لا يعرف الصحيح من السقيم ، ومعرفة ذلك علم جسيم ، فلا يقبل منه الاحتجاج به ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من أخرجه من الأئمة الأعلام ، والثقات المشاهير من علماء الإسلام » ^(٢).

وهو لون من الاعتبار على هدي منه يكون التصور الدقيق ثم الحكم بما هو فرع ولذلك فمن المقرر أن هذه الرواية ليست « من آثار التبدّي أو من مظاهر حياتها ولكنها التخرج في أدق صوره وأوثق طرائقه لاتناقض بين هذا الاتجاه وبين إقبالهم فيما بعد على الحضارة البشرية يدرسونها ويكشفون عن محاسنها ، ويقدرّون آثارها القوية في توسيع أفق المعرفة والبصر بحياة المجتمع رجاء التشريع له بما يكفل لحياته الاستقرار ويجنبها الاضطراب ويطيها من عوارض الفساد » ^(٣).

بيد أن هذه الرواية قد تضطرب مما رمي به الشعر الجاهلي لدى طه حسين ، ومن لف لفه ، بل كانت هناك عوامل الوضع بغية لإرضاء صاحب يد ، أو نيل حظوة وهي أمور استقرت استقرار أهلها لتكون من المسلمات لدى دارسي الأدب ، بالإضافة إلى تكاذيب الإعراب ^(٤) وما كان من

(١) د . شوقي ضيف : البحث الأدبي : ص ٢١٧ س ١

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - طبعة الشعب كتاب (١) ص ٣ س ٣

(٣) د . السيد أحمد خليل : الليث بن سعد : ص ٤٤ س ٦

(٤) المبرد : الكامل : ج ٢ ص ١٢٣ س ١ من أسفل ، ص ١٤٦ - ١٤٩

النساخ على اختلاف أقدارهم والمنسوخ أيا كان أمره دال على وعي الناسخ بما هي نقول ينقلها النقلة وفق ما يفهمون فينسخون .. وقد يزيدون أو ينقصون .. وقد يبتدئون فينسخون ، وعزو كثير من المسائل لمن اشتهر أمر شائع دفع إلى القول بتهلhel النسب للملابسات الطريفة التي أسمى بها إلينا بعض هندي الكتب ونلمس ذلك صدد الحديث عن الكتب التي نالت حظا من الشيوع كالعين للخليل بن أحمد ١٧٥ هـ فيما نجد طرفا منه لدى السيوطي فيما يسوقه من نقول وروايات متضاربة ^(١) وكالإمامة والسياسة المنسوب لابن قتبية ٢٧٦ هـ ، وكتاب تنبيه الملوك والمكايid المنسوب للجاحظ ٢٥٥ هـ ^(٢) وما قيل في كتاب الأمّ الشافعي مما انبههم أمره على زكي مبارك فألف كتيباً شرع يدفع فيه نسبة هذا الكتاب للإمام ورد عليه دفعه السيد أحمد خليل ^(٣) .

ولعل ابن سلام ٢٣٢ هـ أسبق من انتبه لهذه الفكرة فكان كتابه تحقيقا للنصوص ، وإذا كانت العرب قد اهتمت بالنسب اهتماما بالغ الدقة فطفقوا يولونه عناية تفننوا فيها تفريعا وتفصيلا وتبويبا عدا الإنسان إلى الخيل وكان لهم في ذلك أعلام فنحن بنسبة النص أولى مما يعين على تفهم الدرس وينفي عنه التظن والحدس .

وتبلغ المسألة ذروتها في الشعر إذ قد ينسب البيت لأكثر من واحد في غير مصدر : مثل قول الشاعر :

-
- (١) السيوطي : المازهر في اللغة وأنواعها من ص ٧٦ ص ٥ من أسفل إلى ص ٨٨ .
 (٢) عبد السلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها . ص ٣ .
 (٣) د . السيد أحمد خليل : تراث الإنسانية : المجلد التاسع : ٢٠ - ص ١٤٣-١٤٤

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشرّ بالشرّ عند الله مثلاًن^(١)

والحديث عذ يتداخل سندا ومتنا . . فهو إسنادا يعزى لحسان بن ثابت تارة ولعبد الله بن حسان أو عبد الرحمن بن ثابت تارة ويروى لكعب بن مالك الأنصاري ثالثة . أما متنا فقد تحدثوا فيه عن إشكال إذ حذف الفاء من جواب الشرط ضرورة أي فالله يشكرها ، وأن هذا غير جائز وليس بالقياس لأن الحروف فيما يرويه ابن جني في الحديث الذي عقده عن زيادة الحروف وعن حذفها إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً . واختصار المختصر إجحاف به ، وما قالوه في الحذف قالوه في الزيادة^(٢) ، والعرب كرهت كثرة الزوائد^(٣) . بيد أن المبرد نفى ذلك ، وزعم أن البيت صحفـه الرواة وأصله من يفعل الخير فالرحمن يشكره ، وشذذ ابن يعيش ويرى محمي الدين أن الجواز أقرب إلى الصواب^(٤) .

وقد ينسب البيت الواحد لأكثر من واحد في المصدر الواحد، وهنا يعول ابن هشام على تغيير الرواة رادا على المبرد ٢٨٥ هـ مما نقله البغدادي « أن الرواة عن الفرزدق وغيره من الشعراء قد تغير البيت على لغتها وترويه

(١) تخريج البيت : من البسيط : انظر : أبو زيد : النوادر : ص ٣١ + العيني : شرح الشواهد : ج ٤ ص ٢٠ - الشاهد ٨٥٠ + السيوطي : جمع الهوامع : ج ٢ ص ٦٠ س ١١ ، الفراء : : معاني القرآن : ج ١ ص ٤٧٦ ، ابن هشام : المغني ط محمي الدين : ج ١ ص ٥٦ الشاهد ٨١ - س ١١

(٢) ابن جني : الخصائص : ج ٢ ص ٢٨١ س ٣ + البغدادي : الحزاة : ج ٣ ص ٦٤٥

(٣) الديوطي : جمع الهوامع : ص ١ ن ٧٦

(٤) ابن يعيش : شرح الفصل : ج ٢ ص ٢١٤ س ٩ ، محمي الدين : الفیصل بشرح المفصل : ص ٢١٥ .

على مذاهبها ، مما يوافق لغة الشاعر ويخالفها ولذلك كثرت الروايات في البيت الواحد ، ألا ترى أن سيوييه قد يستشهد ببيت واحد لوجوة شتى ، وإنما ذلك على حسب ما غيرته الرواة بلغاتها لأن لغة الراوي من العرب شاهد ، كما أن قول الشاعر شاهد إذا كانا فصيحين فمن ذلك ما أنشده سيوييه :

بدا لي أني لست مدرك ماضي ولا سابق شيئاً إذا كان جائئاً (١)

ورواه أيضاً : « ولا سابقاً » في موضع آخر ، وكذلك الأعور الشني :

فليس بآتيك منهيتهما ولا قاصر عنك مأمورها (٢)

بالرفع والجر وهذا كثير جداً (٣) .

بيد أن كلام ابن هشام إن جاز تسويغاً لرواية البيت في المصدر الواحد أكثر من مرة استشهداً فما هو بمسوخ لتغير النسبة لقائله في المصدر الواحد .

ولذلك سجل صاحب التنبيه على القائل أنه نسب شعراً لليلي الأخيلية

(١) تخريج البيت : قاله زهير بن أبي سلمى . نسبه سيوييه في ج ١ ص ١٢٥ س ٢ ولصرمة الأنصارى : في ج ١ ص ٣٠٦ س ٥ (هارون) + انظر السيوطي : الأشباه والنظائر :

(٢) سيوييه : الكتاب : ط هارون - ج ١ ص ٦٣ ، ٦٤ + ابن رشيق : العمدة : ج ١ ص ١٤٥ تردد النسبة إلى عمر بن الخطاب أو الأعور الشني + ابن عبدربه العقد الفريد : ج ٣ ص ٢٠٢ نسبة لمحمد بن حازم .

(٣) ابن هشام : مغني اللبيب - ط محيي الدين - ص ٢٩٦ ، ٢٨٨ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٥٥١ ، ٦٨٧ - رقم الشاهدة ١٣ ج ١ + البغدادي : الخزائن : ط السلفية : ج ١ ص ١٠٠

— وهو لها بلا اختلاف — بيد أن القالي نسي ذلك ونسبه ثانية لزينب بنت فروة ^(١).

وهي إجابات عن أسئلة تطرح تسوغ هذا التفكك الفاشي ، وتكشف عن مدى ما تفتقده فلا نجده . وقد تكون الإجابة ميدانية ، فلقد «حكي عن عضد الدولة — أحد أمراء بني بويه ٣٧٢ هـ — وقد سأل أبا علي الفارسي — الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ٣٧٧ هـ — وهما في الميدان عن نصب المستثنى في الواجب فقال : انتصب لأن التقدير فيه أستثنى زيدا ، فقال له عضد الدولة : « وهلا قدرت : امتنع زيد فرفعت ؟ » . فقال له أبو علي : هذا الذي ذكرته لك جواب ميداني ، وإذا رجعت ذكرت لك الجواب الصحيح » ^(٢) ولذلك فإن الفقهاء تحدثوا عن شرائط الفتيا في الطريق إذا لم يشغله عن الفهم ولا يجوز فيما يكون غامضا ^(٣).

ومن ثم فإن طبيعة المضمون تقتضي التعرف على أسس قد استقرت أو ملاسبات قد استشرت . فشئت ما يشيع في المجتمع ويقف إزاءه الناس تعلقا أو تجنبا شأن الشيعة والحوارج ، ثم هذي الظواهر التي تعم ويؤخذ فيها بالظنة كالزندقة التي من أجلها يقتل صالح بن عبد القادوس ببغداد ١٦٠ هـ ، ويروح ضحيتها على يد المهدي أبو معاذ بشار ٩٤ — ١٦٧ هـ ^(٤).

(١) البكري : التنبيه : ص ٩١ س ٩

(٢) الأنباري : الملح : ص ١٢٩ س ٨ + ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٣٧ الحموي : ثمرات الأوراق : ص ٨٨

(٣) القسطلاني : إرشاد الساري : ج ١٢ ، ص ١٣٣ ، ١٣

(٤) المبرد : الكامل : ج ٣ ص ١٠٥ + ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٣ ص

وهناك ترخص فيما لا يمس العقيدة صنيع الامام أحمد في إجازته الرواية بالمعنى بشرائط ، وقد عرفوا الحديث الضعيف بأنه « الذي يتسامح بروايته في الفضائل ^(١) » ، وقد نقل السيوطي عن الحافظ ابن حجر في كتابه : القول المتسدد في الذب عن مسند أحمد واصفاً مثل هذا بقوله : « فإن هذه الأحاديث ليس فيها شيء من أحاديث الأحكام في الحلال والحرام فالتساهل في إيرادها شائع . قال : وقد ثبت عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة أنهم قالوا : إذا روينا في الحلال والحرام شددنا وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا » ^(٢) ولذلك كان تقريرهم أن « الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب » ^(٣) .

وتكثر الروايات وتعدد الطرائق لأن « هذه الأحاديث يشد بعضها بعضاً لأن الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه أفاده ذلك قوة كما تقرر في علوم الحديث ^(٤) » وهذا يكشف لنا جانباً مما أراد بعض الحفاظ بتمولم : « لو لم نكتب الحديث من ستين وجهالما عقلنا ، وذلك لأن الطرق يزيد بعضها على بعض في ألفاظ المتن وتارة في الإسناد فكشف من الطريق المزيدة ما خفي في الطريق الناقصة والله أعلم » ^(٥)

وهذا يفسر لنا أيضاً طبيعة إرسال الأعداد الهائلة في الروايات ...

(١) السيوطي : التعميم والمئة : ص ٢ س ٥ + السيوطي : المقامة السندية ص ٥ س ١٥

(٢) السيوطي : نشر العلمين المنيفين . ص ١٧

(٣) السيوطي : الدرج المنيفة : ص ٧ س ٢

(٤) السيوطي : السبل الجلية : ص ٥ س ٢ من أسفل + السيوطي : مسالك الخنفا :

ص ١٣ س ٢ + المقامة السندية : ص ٦ س ١٥

(٥) السيوطي : إنباه الأذكياء ص ١٦ س ١٤

وهناك الإسرائيلية والقصص بل إن الفرق في طرائق درسها كل منها
يدرس ما يعين لمذهبه على المذاهب الأخرى يوضحه ما بين المدرس
السني والشيعة من تغاير . .

ثم ما كان بعد من وضع الحديث والإغراق فيه بل إن المبرد يحدثنا
عن أن « المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ويضعف من
من أمر الخوارج »^(١).

والعلماء يعاصر بعضهم بعضاً . وللمعاصرة سلطانها ومن ثم أصلوا أن
كلام الأقران في بعضهم لا يقدر ، واحتكاك المسلمين بغيرهم دعا إلى
البحث عن الأدلة العقلية فكان الجدل دائراً والمناظرة قائمة وقد يناقش
الإنسان غيره فيما لا يعتقده فيكون كلامه غير دال على اعتقاده ، وقرروا
أن المناظر لا مذهب له فيما نص عليه السبكي « الإنسان قد يناظر غيره
فيما لا يعتقده »^(٢) وأبو العلاء المعري ٤٤٥ هـ سبيل الحديث عما قد يدل
من أبيات المتنبي على تأله :

تغرب لا مستعظما غير نفسه ولا قابلا إلا لخالفه حكما^(٣)

بأنه « وإذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبغي عن اعتقاد الإنسان^(٤) .
وصدد الكلام عن عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن ٢٣٦ هـ يؤكد
« ولعل كثيراً ممن شهر بهذه الجهالات تكون طوبته إقامة الشريعة والإرتاع
برياضها المريعة ، فإن اللسان طماع ، وله بالفنن إسماع »^(٥)

(١) المبرد : الكامل : ج ٣ ص ١٧٦ ص ١٤

(٢) السبكي : طبقات الشافعية : ج ٢ ص ١٦٠ ص ١٠

(٣) ديوان المتنبي : ج ٤ ص ١٠٧

(٤) أبو العلاء : رسالة الغفران تحقيق د . عائشة عبد الرحمن : ص ٤١١ ص ٨

(٥) المصدر السابق : ص ٤٣٨ ص ٨ ، ٤٣٩

وأيا ما كان الأمر فإن هذه تيارات اجتماعية ، وإن الكلام بعمامة والشعر
بخاصة لا يصور الأفراد في حقيقتها إنما هو تصوير لتيارات المجتمع ، ومن
ثم فإن التعرف على ما عرفه القدماء بالمقاصد شيء ضروري لأي حديث ،
وكشف لنا الباحث ٢٥٥ هـ. عن شيء من ذا إذ يروي : « قلت لأبي
الحسن الأنخشي : أنت أعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة
كلها ؟ فكان من جملة رده عليه : « إنما كانت غايي المنالة فأنا أضع
بعضها هذا الوضع المفهوم ، لتدعوهم حلالة ما فهموا إلى التماس فهم
مالم يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب
ذهبت » (١).

هذه قرآن ، وأسباب تأويل صوارف يتسق القول في بيانها إذا ما
تحدثنا تطبيقاً . .

تقرر أنه على الإنسان أن يسأل بما يقع الجواب منه موقعا لائقا وذا
ما يسمونه أسلوب الحكيم وجههم القرآن إليه ولقنهم عما سواه ، فلقد
سألوا عن الأهله وسمى منهم معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم (٢) وما أرادوا
إلى معرفة منفعتها وإنما كانوا يودون لو عرفوا لم يبدوا دقيقا كالخيط ثم
يمتلىء شيئاً فشيئاً حتى يصير بدرا ثم يعود كالعرجون القديم وقدر القرآن
بأنها « مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن
البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » ١٨٩م
البقرة ٢ ، ويستدل الشاطبي بأن تنمة الآية بيان وتعليل (٣).

وهذا الرجل يسأل النبي صلى الله عليه وسلم : « متى الساعة ؟؟ قال :
وماذا أعددت لها ؟ (٤)

(١) الجاحظ : الحيوان : ج ١ ص ٩١ من الأخير ، ص ٩٢ س ٤
(٢) السيوطي . معترك الأقران : القسم الأول : ص ١٠١
(٣) الشاطبي : الموافقات : ج ١ ص ٤٥ + الزمخشري : الكشاف : ج ١ ص ٩١
(٤) القسطلاني : إرشاد الساري ج ٧ ص ٣٤٨ + الحلي : إنسان العيون ج ٢ ص
١١٦ وما بعدها

وفحصا للآيات القرآنية التي تضمنت أسئلة القوم ثم طريقة الرد التي اتبعت تكشف عن شيء هام فقد ورد :

- ١ - « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج »
١٨٩ م البقرة ٢
- ٢ - « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فيللو الدين » ٢١٥ م البقرة ٢
- ٣ - « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » ٢١٧ م البقرة ٢
- ٤ - « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير »
٢١٩ م البقرة ٢
- ٥ - « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ٢١٩ م البقرة ٢
- ٦ - « ويسألونك عن اليتامي قل لإصلاح لهم خير » ٢٢٠ م البقرة ٢
- ٧ - « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى » ٢٢٢ م البقرة ٢
- ٨ - « يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات »
٤ م المائدة ٥
- ٩ - « يسألونك عن الساعة أيا نمرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ».
- ١٠ - « يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ١٨٧ م الأعراف ٧

١١ - « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ١ م
الأنفال ٨

١٢ - « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » ٨٥ ك
الإسراء ١٧

١٣ - « ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه
ذكر » ٨٣ م الكهف ١٨

١٤ - « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا »
١٠٥ ك طه ٢٠

١٥ - « يسألونك عن الساعة أيا نمرساها » ٤٢ ك النازعات
٧٩، وسمى منهم حمل بن قشير وشمويل بن زيد^(١).

وتجد الردود قد صدرت بكلمة « قل » ولم تكن جل هذي الإجابات
سوى صرف لها ، ورد على ما كان ينبغي أن يكون وما كلمة « قل » سوى
كشف عن حكم القرآن على هذه الأسئلة كما ونوعا . ولذلك حينما كان
السؤال في موضعه ويحتاج للإجابة حقا فيما يمس طبيعة الإنسان عبادا والصلة
بينه وبين الله ربا تغير عرض السؤال ولون الرد جميعا ذلك قوله :

« وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان
فليستجبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » ١٨٦ م البقرة ٢

لم يكن عرض السؤال بهذا الفعل المضارع المصدر وإنما كان بالفعل
الماضي الدال على أصالة السؤال وتمكنه من النفس البشرية الدال على المطالبة
بتحديد التصور البشري العاجز بما هو عبودية .

(١) السيوطي : معترك الآثاران : القسم الأول : ص ٥٠٦ س ٥

ولم يكن الرد بقل إذ النفس متشوفة إلى المعرفة الحقة ، وإذ هو إلغاء لتلك الوساطة ، وكشف عن أن الصلة مباشرة بين العبد وربّه بما هو معبود وغنى يهرع إليه ويتوكل عليه وأنه ساعته تكون المناجاة والمناداة سواء.

أما الأسئلة التي من النوع الأول فقد وجدنا أوامر بالحد منها « يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدل لكم تسؤكم » ١٠١ م المائدة ٥ ، والرسول يبين أن كثيرا من هذه الأسئلة فيه من طلب التحديد ما قد يستتبع من التضيق على السائلين مالا تحمد عقباه ، واستشهد بتجربة دينية سابقة « دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ^(١) وعقب مسرة بأنه لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، بل كانت هناك مواطن أمر فيها المؤمنين بالامتناع عن الحديث : « إذا ذكر القدر فأمسكوا » ، وحذر من « لو » فإن عاقبتها وخيمة ، وكانت سبيل الصحابة ما يترجمه مسلك الشيخين من جمع القرآن . ^(٢)

وما نجده لدى علي بن أبي طالب رادا على سائل سألّه عن معضلة بقوله : « سل تفقها ولا تسأل تعنتا فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وإن العالم المتعنت شبيه بالجاهل » ^(٣)

ولم يقف ذلك عند حد السؤال والإغراق في الاستفسار وإنما جاوزه لكل ما يصدر عنه الإنسان لغة إذ ورد كثير مما يؤمر به من التحفظ في الكلام ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان

(١) القسطلاني : إرشاد الساري : ج ١٢ ص ٢٣٤

(٢) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن كتاب (١) الشعب ص ٤٣

(٣) علي بن أبي طالب : نهج البلاغة : طبعة الشعب كتاب ٦ ص ٤٠٢ رقم ٣١٨

الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه» (١).

وإن للكلام وقعا إذ «رُبَّ قول أنفذ من صول» (٢) حذر منه صلى الله عليه وسلم حينما خاضت الألسن في سكران حدّ مانعا لإياهم منه بقوله «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكيم» ويبدو أن هذا في حاجة إلى مراس، فكان نصه فيما يخالف من اللسان: «من وقاه الله شرّائنين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجله ما بين لحييه وما بين رجله ما بين لحييه» (٣).

ومضى الخلف على طريق السلف احتياطا وحذرا بالغني الدقة من امتناع عن التفسير إذ إنه إعلام بمراد المتكلم وإعراض عن الفتيا وبعاد عن التأليف والإمام مالك يضع الموطأ في أربعين سنة أعدادا نحو من عشرة آلاف حديث أو أربعة آلاف حديث أو أكثر في رواية فلم يزل ينظر فيه يخلصها عاما عاما بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين (٤) إلى أن وصل إلى ما هو عليه بين أيدينا ألف حديث ونيف حتى إنه لو قدر لمالك أن ينسأ في أجله لكان للموطأ حديث آخر غير ما نحن فيه ، وهي دقة كانت تسمية الكتاب - وهو نتاج مرويات أهل المدينة - آية من آياتها ، كاشفة عند

(١) السيوطي : تنوير الحوالك : ج ٣ ص ١٤٩

(٢) على بن أبي طالب : نهج البلاغة : كتاب ٦ ص ٤١٧ رقم ٣٩٢

(٣) السيوطي . تنوير الحوالك . ج ٣ ص ١٥٠ + القسطلاني . إرشاد الساري : ج ١١ ص ١١٣ - ما بعدها + انظر الجاحظ . البيان والتبيين : ص ١٩٤ من الجزء الأول + القشيري : الرسالة القشيرية . ط ٧٣ ص ٩٦ وما بعدها .

(٤) السيوطي : تنوير الحوالك : ج ١ ص ٦

الباحث عن هذا الإجماع معلنة عن هذه المواطأة ، وهو لون من الحرص محمود ظهر في مناحي الدرس وليس أدل على ذلك من محاولة النحاة صون الكتاب على ما أسرفوا في تأصيله من أصول وأمعنوا في تقعيده من قواعد،

ومن هنا كان للتحرج بعامية والسكوت بخاصة دلالة التي لا يعني الكلام غناءها . إذا كان من المقرر ألا ينسب لساكت قول لكن السكوت في معرض الحاجة بيان ، « والأجسام الخرس الصامتة ، ناطقة من جهة الدلالة ومعربة من جهة صحة الشهادة » ^(١) هي وسائل بيان :

إن وقف الشاذية بين « سامعة سامعة » وبين « غرامك غرامك » إنما هو بيان لا تمكن العبارة منه ، والوقف في القرآن أفعمت بالحديث عنه كتب القراءات ويمكن أن يقال في بعض ما قيل إنه من الضرورات صدد بيت امرئ القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغسل ^(٢)

وتحدث الأصوليون عن السكوت دلالة فذكروا أن «موضوع القياس طلب أحكام الفروع المسكوت عنها من الأصول المنصوصة بالعلل المستنبطة من معانيها ليلحق كل فرع بأصله » ^(٣) وإن كانت دلالاته غير لفظية بيد أنها تلحق باللفظية في ثبوت الأحكام بها ، وقسموها أقساما منها مايلزم

(١) الجاحظ : الحيوان . ط هارون . ج ١ ص ٣٤ ص ٣

(٢) ابن رشيقي : العملة : ج ٢ ص ٢٦٠ س ٨ + ابن فارس . . الصحابي ص ١٥ س ٦

(٣) الشوكاني . إرشاد الفحول : ص ١٩٩ س ١

عند مذكور مسكوت عنه كما في قوله تعالى: « فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث » ١١ م النساء ٤ - .

فإنه يلزم من ذلك أن يكون نصيب الأب الثلثين وهو مسكوت عنه ومنها دلالة حال الساكت الذي وظيفته البيان كدلالة سكوت النبي صلى الله عليه وسلم على جواز ما يحصل أمامه وهو ما يعرف بالتقرير ومنه سكوت البكر بما هو إيدان وإعلام ، ومنها عَدُّ سكوت الساكت كالنطق تماما لدفع التغيرير مثلا كدلالة سكوت الولي أو الوصي عند تصرف المحجور عليه - على رضاه بهذا التصرف دفعا للتغيرير بمن يعاملونه ومنها دلالة السكوت على تمييز العدد المتعارف حذفه كقولهم مائة ودرهم أي مائة درهم (١).

والسكوت من الله تعالى ليس عن نسيان أو إهمال وإنما هو مراد (٢) ؛ وعلى هذا قال المحدثون « بأن العقود التي تتطلبها مباشرة الأعمال المصرفية يمكن استحداثها طالما لا تتعارض مع الأصول والقواعد الشرعية » (٣) وكان تقسيمهم التحريم لما هو وسائل ولما هو مقاصد .

غاية الأمر أن هذا السكوت ليس هملا وإنما هو أمر مراد ولذلك أجازوا سكوت العالم عند جواب السائل والمستفتى إذا كانت المسألة لا تعرف أو كانت مما لا حاجة بالناس إليها أو كانت مما يخشى منها الفتنة أو سوء التأويل (٤).

(١) الفرائي . المستصفى . ج ٢ ص ١٩١ ؛ الآمدي الإحكام . ج ٢ ص ٩٤

(٢) انظر ص ٢٦ من هذا البحث

(٣) د . غريب الجمال : المصارف والأعمال المصرفية في الشريعة الإسلامية والقانون

ص ٣٠٤

(٤) القسطلاني . إرشاد الساري . ج ١٢ ص ١٣٤

لاغرو أن يكون استقرار هذا المبدأ ، وتمكن هذه القرينة سببا في حل مشكلات . . لقد روى لنا صاحب طبقات الشافعية أنه « كان من الأسباب في رفع الفتنة أن الواثق آتني بشيخ مقيد :

فقال له ابن أبي دواد : ياشيخ ما تقول في القرآن ؟ أمخلوق هو ؟

فقال له الشيخ : لم تنصفني المسألة ، أنا أسالك قبل الجواب هذا الذي تقوله يا ابن أبي دواد من خلق القرآن شيء علمه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أو جهلوه ؟

قال : بل علموه .

فقال : فهل دعوا إليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا ؟

قال : بل سكتوا .

قال : فهلا وسعك ما وسعهم من السكوت ؟ (١)

ولذلك رأى ابن الجوزي ٥٩٧ هـ السكوت عن ضرب من التفسير وإن كان اللفظ محتملا له (٢) ، وامتنع عن إثبات كثير من تفسيرات الصوفية المخالفة للحقيقة (٣) . قررا : « ولقد هممت أن أثبت منه ها هنا كثيرا فرأيت أن الزمان يضيع في كتابه شيء بين الكفر والخطأ والهديان » (٤)

(١) السبكي : طبقات الشافعية : ص ٥٥ ص ٣

(٢) ابن الجوزي . نقد العلم والعلماء . ص ٨٨ ص ٢

(٣) طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة . ج ٢ ص ٨٨ ص ١٣ + ص ٩٢ ص ١٨

(٤) ابن الجوزي : نقد العلم والعلماء : ص ٣٣٢ ص ٢ من أسفل

وقرر السيوطي أن « هذا وأمثاله إرشاد من هؤلاء الأئمة وتعليم لنا أن نسكت عن التلفظ بمثل ذلك تأديبا . ولهذا سكّث في مثل هذا الكتاب في سائر المؤلفات التي ألفتها في هذه المسألة عن التصريح بحكاية قول الفرقة الرابعة ^(١) » .

ومن ثمّ كان السكوت غرضا يسعي إليه . ويقصد الدلالات يجد فيها العلماء حديثا ، ويعولون عليه للناس تصريفا ^(٢) ويتخذ منها الأدباء منطلقا ويختلفون فيه تصويرا .

ونجد فيه تفسير لما قد يكون هناك من طمس أو إضراب عن بعض الكلام في العلوم المتحدث فيها . وهذا ما فات ابن هشام ٧٦١ هـ الذي عقد كتابه شذور الذهب لغرض « تدريب الطالب » وتعريفه السلوك إلى أمثال هذه المطالب ^(٣) النحوية ، ومن ثمّ فما كان أغناه وأغنانا عن هذه النقول التي رواها عن أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ٧٢٨ هـ وغيره إذ إن جاز لكليهما في معرض الجدل فما يجوز له متقولاً على عائشة أو عثمان رضي الله عنهما ^(٤) .

وفات القرطبي ٦٧١ هـ والخافظ ابن كثير ٧٧٤ هـ فطفقا يوردان أخبارا في تفسير قراءة نافع قوله تعالى : « ولا تسأل عن أصحاب الجحيم »

(١) السيوطي : الدرر المنيفة : ص ١٨ س ٣

(٢) الصنعاني : سبل السلام : ج ١ ص ١٥٧ س ٣ ، المغربي : مواهب الفناح :

٤ ص ٢٦٩ ص ٦ ، الرازي : أساس التقديس : ص ١٨٣ س ٢

(٣) ابن هشام : شرح شذور الذهب ص ١٠

(٤) المرجع السابق : ص ٥٠ ، ٥١

١١٩ م البقرة ٢ جزأ على النهي أقل ما يقال فيها إن صاحبها حاطباً
ليل (١).

وفات الحموي ٨٢٧ هـ في ثمرات الأوراق (٢).

وفات طه حسين ١٢٩٣ هـ نقلاً عن طبقات ابن سعد ما سطره في
كتابه على هامش السيرة (٣) إذ إن هذا لو كان من الحقائق ما جاز نقله ،
فليست كل الحقائق تقال (٤) ولا نرmi أحداً بضعف الأمانة ولكن نقول
بضعف الدراية (٥).

ولهذا دعا محمد مصطفى الشاطر في رسالته « الرد على مشروع ترجمة
القرآن الكريم » إلى حذف تفسير بعض فصوص الأنبياء لما فيه من خطأ (٦).

وندعو معه إلى ضرورة صيحة عثمانية إنجازاً لتفسير إمام يتنزه عن
غفلة المخلصين بله دس الكائدين ويتجافى عن تكرار المسرفين بله افتراء
المفترين تلطفاً بعقول شبيهة عليهم الدنيا مقبلة ، وترفقاً بعواطف شبيهة
عنهم الحياة مدبرة .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - طبعة دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م - ٢ ص
٩٢ + ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : طبعة عيسى البابي الحلبي : ١ ص
١٦٢ + السيوطي : مسالك الخلفاء : ص ٤٠ س ٩ .

(٢) الحموي : ثمرات الأوراق : انظر مثلاً ص ٢٠

(٣) د . طه حسين : على هامش السيرة : طبعة دار المعارف بمصر ج ١ ص ١٩٣

(٤) الصنعاني . سبل السلام . ج ٢ ص ٢٠ س ١١

(٥) ابن جني . الخصائص . ج ١ ص ٧٣

(٦) انظر : محمد فريد وجدي : كتاب الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن

إلى اللغات الأجنبية ط أولى ١٩٣٦ ط المعاهد ص ٤٢

ولعله لهذا السبب حذف الإمام محمد عبده كلامه عن موضوع خلق القرآن معللاً ذلك بأنه جرى على طريق السلف^(١) ، وكان هذا ما جرى عليه عبد الحليم محمود في كتابه « في رحاب الكون » إذ يقرر : « ولا يلزمنا مناقشة شيء من تلك المنكرات والمحذورات » ملتزماً بالعرف الديني والحو القرآني مما يحدده الاعتبار^(٢) .

قرينة أخرى تتبعها . . إن المتصدي للنصوص ليدرك أنه يعاني ما يعاني إزاء الشرح ويتفنن في تخير الألفاظ وانتقاء التعبيرات مستعيناً على ذلك بغير اللفظ أحياناً ، ومهما بذل فإن الشرح غير المشروح ، والتفسير غير المفسر إذ لا ريب في أن هناك ما وراء الشرح مما لا يسعفنا ما قيّد من معان معجمية لمفرداته أو يحيط بإيراد إشعاعاته الألفاظ الكاشفة ولا الإشارات المكملة لا بما إليه أراد القائل بل بما قد يكون مراده أيضاً . فيظل إحساسه إلى جانب هذا بأنه ما زال هناك ما يعتلج في الصدر منه شيء مما لا يستطيع عنه إبانة شأن القراء (١٤٤ هـ - ٢٠٧ هـ) إنه يقرر : « أموت وفي نفسي من حتى شيء »^(٤) .

ذلك هو غصص الطعام وشرق الماء وشجا الحلق الذي يمكن أن نسميه بالحسن اللغوي وما إشارة أبي معاذ بشار ١٦٧ هـ إلا الدالة على ذلك حين قال :

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبركير

(١) د . أحمد الشرباصي : كتاب الهلال العدد ١٦٢ - سبتمبر ١٦٢ الأئمة الأربعة ص ٢٢٤

(٢) د . عبد الحليم محمود . في رحاب الكون . دار الإسلام للطباعة ١٩٧٣ : ص ٣٥٣ .
س ١٢ + ص ١٥٩ س ١٣ + ص ٣١٢

(٣) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٣٤١ س ٢ من أسفل + ص ٣٢٧ س ١٣

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب : ج ٢ ص ١٩ س ٦ من أسفل .

ويعترض عليه معترض إذ لم يكن هناك عطف بالواو أو الفاء، وهي أمور ربط تناط بالنقلة الجديدة التي اتسمت بالحضارة التي من شأنها البسط والتفصيل ، ولغتها تميل إلى هذا البسط ، لكن الحس العربي أملى عليه أن يخرجها كما أرسلها مجملاً ، ذلك بقوله : « إنما بنيتها أعرابية وحشية ، فقلت إن ذاك النجاح في التبكير كما تقول الأعراب البدويون ، ولو قلت : بكرا فالنجاح ، كان هذا من كلام المولدين ، ولا يشبه ذاك الكلام ، ولا يدخل في معنى القصيدة ، فقام (خلف) فقبل بين عينيه^(١) ، وهو أمر قعده البلاغيون واستحسنوه إذ إن الجملة الثانية هي في مقام العلة من الأولى وهو موضع الفصل عندهم مع تأكيدها ، وقد ورد بهذا الأسلوب القرآني : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » (٥٣ لك يوسف ١٢) ، فإن جملة « إن النفس تقع من الأولى موقع العلة وهو ضرب يقتضي تأكيد الحكم^(٢) .

ونجد أيضاً مقارنات الطبري ٣١٠ هـ^(٣) لتأويلات قول الله تعالى « أو لامستم النساء » (٤٣ م النساء ٤ + ٦ م المائدة ٥) ذاهبا إلى ما ذهب إليه ابن عباس إذ يقول :

« غلب فريق الموالي وأصاب العرب : هو الجماع ، ولكن الله يعف

(١) عبد القاهر : دلائل الاعجاز . ص ٢١١

(٢) عبد القاهر : دلائل الاعجاز : ص ٢٤٣ س ٥ + « السيد أحمد خليل : التجدد بين الدين والأدب مطبعة روياع اسكندرية ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ س ٦ من أسفل ، البلاغة العربية أصلها وأصولها : بيروت ١٩٦٩ : ص ٤٦ س ١٠ ، ص ٩١ ٩٢ + اللغة بين الأدب والتشريع : ص ٦٢ س ١٣ + د . شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ص ١٨٠ س ١٥

(٣) الطبري : جامع البيان : ج ٨ ص ٣٨٩ ، ٣٩٩

ويكنى « (١) وإليه ذهب الطبري (٢) وكان من أسباب الكناية أن الله كريم يكنى ما شاء، وإن الرفث هو الجماع (٣)، إذن ثمت حسن وتصور بما هو عرض كاشف عما بين العرب والمولى من الفروق في هذا التصور وذلك الحسن نجده واضحاً في التشريع الإسلامي أيضاً فأبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠هـ) مولى، ومالك (٩٠ - ١٢٩هـ) والشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ) وابن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) عرب، ولكل من هذين العنصرين طريقته الخاصة في فهم النص واستنباط الحكم منه والإبانة عن مقاصده وتعليل أحكامه، وتحديد أنواع المصلحة التي ينبغي أن يتجراها المشرع، وقد أدرك القدماء الفرق بين هذين الاتجاهين فسموا الأولين وهم المولى أهل الرأي وسموا الآخرين أهل السنة (٤)

ولفظ الجاحظ ما هو أصل بما هو تقدير لطبيعة العربي من لمحة وإشارة إذ سجل :

« وأرى الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب . أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف . وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم . جعله مبسوطة وزاد في الكلام » (٥)

(١) الطبري : جامع البيان : ج ٨ ص ٣٩٠ س ٣

(٢) الطبري : جامع البيان : ج ٨ ص ٣٩٩ + المبرد : الكامل : ج ٢ ص ٢١٠ س ٩ + العسكري : الصناعتين : ص ٣٦٨ س ٥ + الشعالي : فقه اللغة الرحمانية ص ٥٩٣

(٣) السيوطي : معترك الأقربان : القسم الأول : ص ٢٨٧

(٤) د . السيد أحمد خليل : في التشريع الإسلامي : دار المعارف بمصر ١٩٦٧ ص ٧٥ س ٩

(٥) الجاحظ : الحيوان : ص ٩٤ س ٥

وهي قسمة لها أبعادها من حيث التخيير والتناول . فكلم من العرب ألّف في ظاهرة- إلى جوار ما ألّف- كتبنا من جانب العجم تقييدا وتقينا واختصاراً تكشف عن جانب الحس والطبع الذي عول عليه (عمارة بن عقيل) فيما يحكيه صاحب الأغاني إذ أنشد عمارة قصيدة له فيها «الأرياح والأمطار ، فقال أبو حاتم - سهل بن محمد - السجستان (٢٥٠ هـ) هذا لا يجوز ، إنما هو الأرواح فقال : لقد جذبني إليها طبعي ، فقال أبو حاتم : قد اعترضه على فقال : أما تسمع قولهم : رياح ؟ فقال له أبو حاتم : حاتم : هذا خلاف ذلك . قال : صدقت ورجع ^(١) .

وعماره الذي قيل فيه : « ختمت الفصاحة في شعراء المحدثين بعمارة بن عقيل » ^(٢) لم يكن يدري أنه بعبارة راجعا إلى طبعه صادرا عنه ، يؤصل أصلا أخذه المحدثون اليوم ليقعدوا ما تراجع عنه : إذ يعد انجذاب الطبع الذي تناسوه واستعاضوه عنه بكلمة التوهم ، عاملا من عوامل نمو اللغة . وتكاثر مشتقاتها ، مما دفع عبد القادر المغربي فكتب الشواهد على قاعدة توهم أصالة حرف مستصدرا من مجمع اللغة العربية قرارا بتأصيل التوهم ^(٣) .

وهو في الدرس العربي شائع إذ في النحو مثلا نجد لونا من ألوان العطف اصطلاحوا على تسميته في غير القرآن بالعطف على التوهم . وفي القرآن بالعطف على المعنى . ومن شواهد قرآنا قوله تعالى : « إنه من يتقسي ويصبر » (٩٠ ك يوسف ١٢) وقوله تعالى « فأصدق وأكن من الصالحين » (١٠ م المنافقين ٦٣) وشعرا :

-
- (١) الأصفهاني : الأغاني : المجلد ٢٠ ص ٤٤٢ ؛ س ٥
(٢) أبو الفرج : الأغاني : المجلد ٢٠ ص ٤٣٦ س ٧
(٣) عبد القادر المغربي : مجلة مجمع اللغة العربية : ج ٧ ص ٣٦١

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا بين غرابها^(١)

بل إن كثيرا من الموضوعات التي شغلت علماء العرب كان الحسن فيها مرجعهم بعد طويل جدل ، وهذا هو سبيلهم صدد الإعجاز السني نعلمه، وهو قائم له وجوده المحسن في عدم المقدرة على الاتيان لا بمثله بل بشيء منه، لكن كيفية الإعجاز ، لا نستطيع إلى التعبير عنها سبيلا ، وعدم الاستطاعة هو الإعجاز ، إذ لو كان واضح التصور ، محدد المعالم ، ملموس الأبعاد ، لصار في المتناول ، وما كانت هذي التصنيف المتغيرة ، ذلك المجهول المدرك الذي لا يسعف التعبير على تبيانها ، وليس إلى اكتناها من سبيل ، عجزنا يصوره وحسنا يقدره .

(١) قاله الأخوص الرياحي يهجو بني يربوع انظر :

البغدادى : خزائن الأدب - هارون : ج ٤ ص ١١٧ س ٩ ، ص ١٥٨ س ٤ من أسفل

البكري : التنبيه : ص ١٠٠ س ٦

الخضري : على ابن عقيل : ج ٢ ص ١٤ س ١١

الزجاج : إعراب القرآن : القسم الثاني من ص ٦١٦ إلى ص ٦٢٩

سيبويه : الكتاب : هارون - ج ١ ص ١٦٥ س ٥ ، ص ٣٠٦ س ٨

السيوطى : جمع الموامع : ج ٢ ص ١٤٢ ، ص ١٤٧

الصبان : حاشية على الأشموني : ج ٢ ص ١٥٨ + ج ١ ص ٢٥٠ س ١٧

ابن منظور : اللسان : بولاق ١٣٣ - ج ١٥ ص ٢٠٧ س ٧

الأمير : حاشية على شرح الشذور : طبعة عيسى البابي الحلبي : ص ٢٣ س ١

ابن هشام : شرح شذور الذهب : ط محيى الدين : ص ٦٣ س ١٤

ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٢ ص ١٦٤ + ١٦٥

وهذا ليس بدعا، كثير منا يرى (التلفاز) ويستمتع به إذ يجلس إليه، لكنه لا يعرف كيفية عمله إذ أن هذا شيء آخر يكون فيه التفاوت، والله سبحانه وتعالى موجود في كل زمان ومكان، وبالنسبة إلى كل منا أقرب من جبل الوريد، وكلنا يؤمن بهذا تماما عقيدةً راسخة، أما كقيمتها فليس لزما علينا أن نرهق هذا العقل ونكده بذلك، فليس مما يفيد العقيدة في شيء، وها هو ذا زكريا عليه السلام يورد انقطاع الأسباب بينه وبين الولد داعيا الله أن يمنّ عليه به، ولم يضره أنه لم يعرف كقيمت ذلك، فلما أن جاءه ما سألت تطلع قائلا :

« قال ربّ أني يكون لي غلام وقد بلغنني الكبر » ٤٠ م آل عمران ٣

« قال ربّ أني يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا » ٨ ك مريم ١٩

ولم يرد الله تعالى تبيان ذلك سوى أن قال : « كذلك قال ربك هو علىّ هين ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » ٩ ك مريم ١٩

ومن ثم قال ابن خلدون (٨٠٨ هـ) هذا هو الإعجاز الذي تقتصر الأفهام عن دركه. وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي، وحصول ملكته. فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه، فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاما في ذلك، لأنهم فرسان الكلام وجهابذته : والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحّه (١)

ولعل هذا ما دفع الخطابي ٣٨٨ هـ الحديث عن وجه آخر من وجوه

(١) ابن خلدون : المقدمة : ص ٥٩ ، وانظر عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص

الإعجاز وذلك صنيعة في القلوب لدى السماع وتأثيره في النفوس مستشهدا بقصة إسلام عمر بن الخطاب مقدما ذلك بقوله : « قلت في إعجاز القرآن وجهها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس فإنك لاتسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال » (١)

ومن المرويات المتداولة ما سجله ابن رشيقي ٤٦٣ هـ صدد الحديث عما يعين على الشعر وعمله وشحذ القرينة له : « ولما أرادت قریش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضأن ، والحلوة إلى أن بلغوا مجهودهم . فلما سمعوا قول الله عز وجل : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين » ٤٤ ك هـ سود ١١ يشوا مما طمعوا فيه ، وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق » (٢)

وبوساطة الحسن لفت عبد القاهر ٤٧١ هـ إلى مكان الاستعارة في العمل الأدبي وبتين خطرهما وأهميتها كما أشار إلى طبيعة تربيها . وأنها تقوم عليه لأعلى التحليل والتركيب بالقدر الذي عاناه البلاغيون المتأخرون . فقد ذكر أنها لا تنحل وضرب لذلك أمثلة منها بيت لبید :

وغداة ربح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها (٣)

(١) الخطابي : بيان إعجاز القرآن . ص ٦٤ س ٥

(٢) ابن رشيقي . العمدة . ج ١ ص ١٨٥ س ٩ + ص ٢٢٤ س ٣ ، الشريف الرضي

مجاز القرآن : ص ١٦١ س ١١ ، عبد القاهر . دلائل الإعجاز : ص ٣٦ ،

٣٧ + التويري نهاية الأرب : ج ٧ ص ١٧٥ + ابن الأثير : المثل السائر :

ص ٥٧

(٣) من الكامل : ابن المعتز : ص ٢٣

وقول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله^(١)

وما ذهب إليه يكاد يتفق وما رمى إليه هربرت ريد إذ يقرر : « إن الاستعارة هي الطريق المضاد ، وهي مركبة من وحدات من الملاحظة تؤلف صورة أخاذة ، بمعنى أنها تعبر عن فكرة مركبة لا بطريق التحليل أو التجريد بل بطريق الإحساس المباشر بالعلاقات الموضوعية بين الأشياء^(٢) ، وما لنا نذهب بعيدا ونحن لا نستطيع بيان قولهم : (صوت دافىء) .»

وإن ضاعت بعض معالم هذا الحس الذي تعددت مصطلحاته من طبع وحس ووهم وسليقة وذوق^(٣) بيد أنه في مكتنتنا دفع مناقشتهم لكثير من المسائل التي أثاروها تناولا وصياغة ، أعلاها ما كان لدى الفرق وأدناها ما ارتآه ابن رشيق من ضرورة بقاء الاستعارة كما هي على ظاهرها دون تأويل مما هو لدى ابن الأثير^(٤) .

ونخلص من هذا إلى تقدير أن الحس يرفض هذي التعبيرات التي يمثل بها تعليما مما عرض له سيبويه ، أو التفسير الصناعي فيما تشير إليه نقول القسطلاني^(٥) .

(١) من الطويل : ابن المعتز : البديع : ص ٢٦ + الآمدي : الموازنة : ص ١٧ س ١٣ + ص ٢٣٥ س ١ + ابن رشيق : العمدة ج ١ ص ٢٣٩ + عبد القاهر : الدلائل : ص ٤٥٣ س ١٤

(٢) Herbert Read. p 127

(٣) د . السمران : علم اللغة : ص ٢١٠ + د . سهر القلماوي : العالم بين دفتي كتاب ص ٤٨ ص ٢ من أسفل .

(٤) ابن رشيق : العمدة ج ١ ص ١٣٨ + ابن الأثير : المثل السائر : ص ٣٤٦ س

(٥) القسطلاني . إرشاد الساري . ج ٩ ص ٥ د س ١٣ قولك جئت على قدر موعد ، التفسير

المعنوي جئت موافقا ، التفسير الصناعي : جئت مستقرا أو كائنا

وهذه القرائن — بما هي الشق الثاني من قوانين التجوز — مانعة من إرادة الموضوع له ^(١) وبها تكون الدلالة على الظاهر ردا على من زعم إيهام المجاز الكذب ، ^(٢) هي الصحة للفهم ، محددة غرض المتكلم ^(٣) . ونجد في هذا تحديدا لمعاني ألفاظ اللبس والإيهام بما هو إخفاء أن المراد غير الحقيقة ، والتمريئة بها البيان بأن المراد غير الحقيقة ، ولذا فإن استعمال المجاز بدونها لا يجوز ^(٤) .

لكن هذي القرائن منها ما يكون مقارنا ومنها ما لا يكون ، فقلوله صلى الله عليه وسلم « أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا » جاءت القرينة بعدا بما هي أعظممكن نعمة ^(٥) مما قد يكون جمعا بين الحقيقة والمجاز للعبارة على فترات . وأجمل الأصوليون ذلك بقولهم إن القرينة شرطها الملاحظة وإن لم تكن مقارنة ، فمتى لوحظت تحقق شرط المجاز ^(٦) ومن ثم فلا جمع كما يتبادر .

-
- (١) الانبائي : حاشية على رسالة الصبان في علم البيان : ص ٨١
 - (٢) الآمدي . الأحكام . ص ٦٥
 - (٣) الانبائي . حاشية . ص ٨١ + السبكي : عرائس الأفراح : ج ٤ ص ٦٨ + المغربي . مواهب الفتاح . ج ٤ ص ٢٥١ ص ١
 - (٤) الأنصاري : فواتح الرحموت بشرح . سلم الثبوت : ج ١ ص ٢١١ ص ١٢
 - (٥) الصنعاني . سبل السلام . ج ١ ص ١٤٦ ص ١٠
 - (٦) الانبائي . حاشية على رسالة الصبان . ص ٧٤

الفصل الثالث

نوعية الدلالة

المجاز علامات وأمارات ومعايير بما هي طرق إثبات التجوز حرص القوم على تسجيلها ضبطاً للظاهرة وكانت هذه العلامات نوعين :

أحدهما : النقل عن أهل اللغة وذلك بأن يقفنا أهلها على أنه مجاز ومستعمل في غير ما وضع له كما وقفونا في استعمال الأسد للشجاع دون الأبحر والحمار للبلبد دون صحيح الجسم فكان النزول على مقتضاها وهو التنصيص لدى الرازي ^(١) وهو الوضع اللغوي أو العرف اللغوي ، فإذا كثر الاستعمال المجازي صار حقيقة عرفية ينسب بها الأصل مثل النسيء المعروف ثم كثر حتى صار العشب ندى ، والوغي هو اختلاط الأصوات في الحرب ثم كثرت وصارت الحرب وغي . . ومن ثم كان في أحكامهم تعويل على الشهرة والذبوع والاعتماد في العرف ^(٢) ، ذلك أن مسألة

(١) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٢٦٣ + الشوكاني : إرشاد الفحول : ص ٢١٠

(٢) الآمدي : الموازنة : ج ١ ص ٢٦١ س ٨ + ابن سنان : سر الفصاحة : ص

١٢٨ ص ١٤ + الرازي : أساس التقديس : ص ١٦٠ س ٢ ، ١٧٠ ص ٤

١٧٧ ص ١١

تقسيم المدلول إلى ما هو حقيقة يراد بها أداء الفكرة أداء يسيرا يصل إلى
الذهن عن أقرب طريق وأقصر سبيل وإلى مجاز يلاحق تغير المعاني واختلافها
ويساير ألوان ما يتخترع وضروبه وبقي بمطالب الفكر من الارتقاء والتدرج
معه تعتمد أساسا على التطور الزمني للغة وحتى ذلك اللفظ المجاز لا يظل
مجازا على طول الزمن وإنما يتعرض له أن يكون حقيقة متعارفا عليها في
بيئة من البيئات أو لهجة من اللهجات ، ومتى استقر في البيئة مدلوله وتحدد
معناه عاد إلى ما كان عليه أولا من تسمية بالحقيقة مقيدة بعرف هذه البيئة
وتواضعها. ^(١) « والبحث عن تلك المجازات المنسية أمر ليس باليسير » ^(٢).

وللعرف مكانه، هو الذي جعل الإمام الشافعي يتحول من قديم بالعراق
إلى جديد بمصر وهو الكاشف عما أسرف فيه ابن تيمية في عرض مسائل
الطلاق وتشعبها في المسائل والأجوبة ممالة على انقلات المجتمع دلالة أو
على تعدد حاجاته إشارة ، وهذا بين أيدينا فمجتهعنا اليوم لغته دالة عليه
إذ نجد « إنه ولد » إعجابا ، وإذا ما اشتد هذا الإعجاب فهو « حته ولد »
وهو « ابن حرام » دلالة على الذكاء ، و « ابن جنينة » كما كان هناك
عبقري وغيره مما حملته المرويات في مخالفة ظاهر اللفظ معناه كقولهم عند
المدح قاتله الله ما أشعره إذ لا يراد شيء من ذلك ، ومنه هوت أمه وهبلته
وثكلته تعجبا ^(٣).

(١) د . السيد أحمد خليل : دراسات في القرآن : ص ٣١ (من ص ٢٨ س ٨ من
أسفل إلى ص ٦٣ منه نص ما « في اللغة بين الأدب والتشريع » له من ص ١ إلى
ص ٦٠)

(٢) د . إبراهيم أنيس : اللهجات العربية : ص ١٥٥ س ١٦

(٣) ابن فارس : الصحابي : ص ١٦٩ + دخلان : السيرة النبوية والآثار المحمدية
ج ٢ ص ٢٣١ .

وأيا ما كان من أمرها الذي تناوله علماء النفس والاجتماع إنما هي تعبير عن واقع المجتمع والظروف التي يعيشها . . هي ثقافة هذا المجتمع أي أن الكلمات فيما نرى نوافذ تشع ألوان العادات والتقاليد المرتبطة بالمجتمع المتغير دوماً وعلى هدي من هذا التغير تظهر قيم جديدة وتهدر قيم أخرى تتسع أو تضيق : إن « رعي الغنم لم يكن صفة نقص في الزمن الأول ولكن حدث العرف بخلافه ولا يستنكر ذلك . فربَّ حرفة هي نقص في زمان دون زمان وفي بلد دون بلد ويشهد لذلك كلام الفقهاء في الكفاءة في النكاح وفي المروء في الشهادات » ^(١) وقد رووا عن أبي الدرداء ٣٢ هـ « معروف زماننا منكر زمان قد فات ومنكره معروف زمان لم يأت » ^(٢) وهو يناط به أمور تتصل بحياة الأفراد وعند التقاضي يرجع إليه ويعول عليه .

وقد تضمن القانون المدني في مادته الأولى أنه « إذا لم يوجد نص تشريعي حكم القاضي بمقتضى العرف . فإذا لم يوجد ، فمبقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية . . » ^(٣) وكلنا يذكر هذي القضية التي قيلت فيها ألفاظ وما كان من أمر القاضي برفضه للموضوع إذ إن هذي الألفاظ قد شاعت في المجتمع وجرت على الألسن واعتادتها الآذان ، وفقدت ما كانت تدل عليه من قذف أو ما اصطلاح على تسميته بالسلب العلني ^(٤) إذ

(١) السيوطي : تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء ط ١٣١٦٧ هـ - ص ١٨ س ٣ + انظر : القسطلاني : إرشاد الساري : ج ٩ ص ٣٢٧ س ٢

(٢) ابن المعتز : البديع : ص ٧٦ ص ٣

(٣) القانون المدني - مستخرج من الوقائع المصرية العدد ١٠٨ مكرر الصادر في ٢٩ يوليو ١٩٤٨ - المطبعة الاميرية ١٩٤٩ م .

(٤) جريدة الجمهورية الصادرة يوم الخميس ٢ / ٨ / ١٩٧٣ ص ٣

إن « العبارات كلما كثر دورانها على الألسن بدأت مفهوماتها المحددة تنسح وقد تنحرف إلى مدلولات مغايرة من بعض الوجوه لمدلولها القديم»^(١) فهي لا تعني ما كانت تعنيه مما يوضح جانباً من عملية التطهير التي أشار إليها بيري حدّا لهذا الشيوع ولعل ذلك كان دافعا لاقتراح الحركة بالكلمة ثم ما عراها من محاولة تجسيد بالمرسح .

وإذا كان « الفقه تنطبع عليه دائما آثار البيئة لا من حيث الأحكام المنصوصة استنباطا وإنما بما هو طريقة في التطبيق ومنهج في تدبير الأمر ليشتم التواصل بين النصوص وبين الحياة عملا واقعا تتأكد به شخصيتها وتتمكن به ذاتيتها »^(٢) إذا كان ذلك كذلك فإنما الأمر في اللغة أصل وبها أكد ولذلك كان المعقول عليه دوما في الحكم - الكلمة . وها هوذا قائلهم يؤكد ما يجري على الألسنة مما جرت به العادة واستقر عليه العرف^(٣) و « يقال في العرف عين الله عليك معالجة لقوله تعالى (ولتصنع على عيني) »^(٤)

ومن ثم وجدنا تعبير العرف القرآني ومطابقته للاشتقاق اللغوي على تسمية كل ما كان موصوفا بالسّمَوِّ والعلوِّ سماء من قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهورا)^(٥)

وقد قرر المحدثون أنه « لا ريب في أنه إذا كان لقوم عرف وعادة

(١) د . عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي : ص ٣٧٨

(٢) د . السيد أحمد خليل : الليث بن سعد فقيه مصر : ص ١٦٢

(٣) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٢٠٥ من ١ من أسفل

(٤) الرازي : أساس التقديس : ص ١٤٩ من ٤

(٥) المصدر السابق : ص ٣٤ من ٦٠٢ ، ص ٣٥ من ٧ + ص ١٣١ من ٩

فذلك العرف والعادة جزء من قانونهم الطبيعي ونظامهم العام وإن خلا منه القانون المسطور .^(١)

ومن ثم يكون إمكان المواضعة يعملها عبد الجبار بقوله : « لأن كل طائفة استخدمت آلة في صناعة أو وقفت على أمور فيما تتعاطاه من العلم يستحسن وضع أسماء محدثة لها في كل عصر وكل حال ولا يرجع أحد منهم في طلب ذلك الاسم إلى إذن أو شرع متقدم فكيف يصح أن يقال إن ذلك لا يحسن إلا بإذن .^(٢)

والعرف بعد هو الموثق للتجديد فيما يخص اللفظ ابتداء أو تغييراً ، ومن ثم كان حديث الغزالي عن عرفية الألفاظ بالاعتبارين اللذين أسلفنا .

أحدهما : أن يوضع الاسم لمعنى عام ثم يخص عرف الاستعمال من أهل اللغة ذلك الاسم ببعض مسمياتة كاختصاص اسم الدابة بدوات الأربع مع أن الوضع لكل ما يدب . واختصاص المتكلم بالعالم بعلم الكلام مع أن كل قائل ومتلفظ متكلم وكاختصاص اسم الفقيه والمتعلم ببعض العلماء وبعض المتعلمين مع أن الوضع عام قال تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) ٣١ م البقرة ٢ (خلق الإنسان علمه البيان) ٣ م الرحمن ٥٥ ، وقال عز وجل : (فما ل هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) ٧٨ م النساء ٤^(٣)

الاعتبار الثاني : أن يصير الاسم شائعاً في غير ما وضع له أولاً ، بل

(١) محمود تيمور : مشكلات اللغة العربية - الطبعة الأولى ١٩٥٦ - المطبعة النموذجية

ص ٢٩ س ٤

(٢) عبد الجبار : المعنى في أبواب التوحيد والعدل : ج ٥ ص ١٧٥

(٣) الغزالي : المستصفى : ج ١ ص ٣٢٥ + القسطلاني : إرشاد الساري : ج ١٢

ص ٢٥٤ س ١٦

فيما هو مجاز فيه كالعائط المطمئن من الأرض والعذرة البناء الذي يستتر به وتقضى الحاجة من ورائه ، فصار أصل الوضع منسيا ، والمجاز معروفا سابقا إلى الفهم بعرف الاستعمال وذلك بالوضع الأول ^(١) وهو المجاز المنقول .

وهذا كله ليس من صنع فرد وإنما شأن الأمور الاجتماعية تنسب للمجتمع بأسره ولها سمة هذا القسر الاجتماعي ، ليس إلى مخالفتها سبيل .

وبتعبير آخر المجتمع هو المتجاوز وهو المالك لهذا الأمر المبيح له والمانع منه .. ولذلك حينما يحاول الفرد شيئا من ذا يلقي حسابا ليس باليسير ولننظر إلى تطبيقات : لقد نشأت المعتزلة في أواخر عهد بني أمية على أثر انفصال واصل بن عطاء ١٣١ هـ عن حلقة الحسن البصري ١١٠ هـ صدد خلافهم حول مرتكب الكبيرة إذ هو فاسق لدى أهل السنة كافر في معتقد الخوارج . وفي منزلة بين المنزلتين لدي واصل ، وأطلق الحسن البصري مقالته : اعتزلنا واصل فكانت علما على هذه الفرقة .

وإذا كان علم الكلام قد عرف بأسماء علم أصول الدين والفقه الأكبر وعلم النظر والاستدلال ، وعلم التوحيد والصفات ^(٢) بما هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية فإن هذه الأسماء كاشفة عن طبيعة موضوعه . وكان من أهم مآدار من خلاف بين المعتزلة وأهل السنة أن أهل السنة تقرر : أن لله علما حقيقيا لا مجازيا وأن علما

(١) الغزالي : المستصفى : ج ١ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦

(٢) الشوكاني : رسالة التحف في مذاهب أهل السلف : ص ٥٤ س ٢ + الساري : حاشية على شرح الحريدة ص ١٦

غير مخلوق وأن كلام الله قديم لم يزل ، والمعزلة تقدر : أنه علم محدث مخلوق ، وكلام الله صفة فعل لمخلوق ومن ثم نشأت فتنة خلق القرآن .

وأيا ما كان من أمر ابن أبي دواد ٢٤٠ هـ ^(١) فإن اعتزاله عبد الله المأمون ٢١٨ هـ فقد كان في اعتقاده معتزليا شيعيا ^(٢) حدث به أن نقله — إذ « أجمع رأيه على الدعاء إليه وحمل الناس عليه » ^(٣) — إلى مذهب دولة فجمع إلى السلطان — في بغداد — الرأي ، والأغلب أن هذا ملك عليه نفسه إذ أن المقريري ^(٤) يقرر بعدم ذكره له أنه رغم طول مدة خلافته لم يحتج ولو مرة مما له دلالته على مدى انغماسه فيما أخذ به نفسه ، وبلغ من كلفه أن كتب « لمن بعده محرضا على حمل الخلق على القول بخلق القرآن » ^(٥) ووقف أبو عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني ١٦٤ هـ — ٢٤١ هـ — علم المحدثين الذين يقيمون عند المنقول فكانت فتنته في ٢٢٠ هـ ^(٦) بعد تولي أخى المأمون أبي إسحاق محمد المعتصم بالله الخلافة بسنتين ، ويبدو أن المعتصم ٢٢٧ هـ — كان متبرما مما تورط فيه إذ يروي اعترافه : « لولا أنني وجدتلك في يد من كان قبلي ما عرضت لك » ^(٧) وتدور

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى : ج ٢ ص ٣٨ س ٤

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب : ج ٢ ص ٣٩

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى : ج ٢ ص ٣٨

(٤) المقريري : تقي الدين أحمد بن علي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك — تحقيق د . جمال الدين الشيال ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٥٥ م — ص ٤٨ س ١

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى : ج ٢ ص ٤٣ س ١٠

(٦) ابن العماد — شذرات الذهب : ج ٢ ص ٤٥ ، س ٩٦

(٧) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى : ج ٢ ص ٤٦

المناظرات (١) :

« إنا جعلناه قرآنا عربيا » ٣ ك الزخرف ٤٣ فهو مجعول أي مخلوق .
فيرد : « فجعلهم كعصف مأكول » ٥ ك الفيل ١٠٥ أفخلقهم : (٢) ومنهم
من وقف عند لفظ مجعول ورفض لفظ مخلوق مثل ابن البكاء الأكبر (٣) .
ثم قيل : « قل الله خالق كل شيء » ١٦ م الرعد ١٣ ، فيكون الرد :

« تدمر كل شيء بأمر ربها » ٢٥ ك الأحقاف ٤٦ فيقال له :

« ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » ٢ ك الأنبياء ٢١ فيرد :

« ص والقرآن ذي الذكر ١ ك ص ٣٨ . وتلك ليس فيها ألف ولا م (٤) »
وهكذا فإن المسألة في أساسها « بسبب مسألة اللفظ » (٥) وعذب الإمام
ما عذب وهو صائم - « وكان مكثه في السجن مذ أخذ وحمل إلى أن ضرب
وخلّى عنه ثمانية وعشرين شهرا » (٦) من أجل الاصطلاح وبسبب هذا
التجوز الجديد ثم تولاهما بعد ذلك ابتاه أبو جعفر هارون الواثق ٢٣٢ هـ
الذي ينتهي بحكمه العصر العباسي الأول فجعفر المتوكل على الله ٢٤٧ هـ
ودامت بهذا خمسة عشر عاما إذ نسخها المتوكل عام ٢٣٤ هـ :

(١) ابن حنبل : المسند : ج ١ ص ٩٢ + ياقوت : معجم الأدباء : ج ٩ ص ٢١
س

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى : ج ٢ ص ٤٥

(٣) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٤) المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٧

(٥) المصدر السابق : ج ٢ ص ١١٨ س ٩

(٦) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠ س ١٢ + اخموي : ثمرات الأوراق : ص ١٨
وما بعدها .

ولو كان ستمح الزمان بقاء بين الأمام أحمد والمأمون لتغيرت أمور وتبدلت شئون ... إن المأمون عالم محاجج^(١) وما هو بالذي يرسل قولاً كيفما اتفق وإن الامام أحمد لمشهود له وما هو بالذي يحمده لكنه التجوز الذي أرسله المأمون والتمرد من المجتمع بأسره وإن بدا واضحاً لدى الإمام أحمد .

إن القارئ لرسائل المأمون التي سيرها من الرقة مصيفاً لإسحق بن إبراهيم المصعبي حاكم بغداد إقامة تكشف عن الأسباب التي دفعته لاعتناق الرأي ابتداء أو إملاء ثم حمل الناس عليه إزاء « قول النصاري في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذ كان كلمة الله والله عز وجل يقول « إنا جعلناه قرآناً عربياً » ٣ ك الزخرف ٤٣ وتأويل ذلك إنا خلقناه كما قال جل جلاله « وجعل منها زوجها ليسكن إليها ١٨٩ ك الأعراف ٧^(٢) وذلك إيماء إلى قوله تعالى : إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ٤٥ م آل عمران ٣ وقوله تعالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته » ١٧١ م النساء ٤ ..

وارتبطت المسألة بمجال عقدي « وأنه لا توحيد لمن يقر بأن - القرآن مخلوق^(٣) . وما ابن حنبل لما يردده المأمون بمعتقد ولو ناقشه لآزره وارتضاه ولا استطاع الإمام أن يوضح له كيف أنه وقف وقوف المحافظ على النص من هذا المصطلح الجديد وحماية له من المحدثات . وما المأمون لما يعتنقه ابن حنبل برادولو ناقشه لآزره وارتضاه . ولا استطاع أن يكشف له عن الدوافع التي دفعته لهذا التجوز .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٥ ص ٩٢ - ١٠٢

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك : ج ١٠ ص ٢٨٦ ص ٤ من أسفل .

(٣) المصدر السابق : ج ١٠ ص ٢٨٧ ص ٢٩

وفي القرن الرابع ينتهي أمر الحلاج الذي برغم ذبوع صيته اكتشف الغموض بعض جوانبه وأول ما يطالعنا أن له اسمين عرف بهما : الحسين بن منصور بن محمي الحلاج ، والآخر محمد بن أحمد الفارسي (١) وذا له من الدلالة ما يجعل الناظر في الأمر يتشد في خطاه ، ومما يزيد الأمر تعقيدا أن حديثه تنازعه المتصوفة والفقهاء جميعا إذ إنه يتحدث بألفاظ وعبارات « وأخذت عليه كتب ورقاق فيها أشياء مرموزة » (٢) يابهاها الفهم العربي بما تعورف عليه ، وينكرها العرف إذ هو صاحب التجوز لا غير .

لكن أليس من الممكن أن تكون هناك حالات يلفظ فيها الإنسان ألفاظا ترتبط بوجودانيات لا سبيل إلى التحكم فيها ؟ بلى لكن هذا لا يدخل ضمن حديثنا وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته إذ يقول : « وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب ، وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال فهو أخذ أيضاً ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج لأنه تكلم في حضور وهو مالك لحاله والله أعلم » (٣) والفقهاء ذهبوا فيه مذاهب (٤) ذلك أن النية ليست مما نستطيع الحكم به وليس أمامنا سوى هذا الظاهر (٥) ولذلك قرر ابن تيمية « فالحلاج كان من البدعاجة بلا ريب ولكن إذا قيل : هل

(١) عريب بن سعد : الصلاة : ص ٤٥ س ٢١

(٢) المصدر السابق : ص ٥٢

(٣) ابن خلدون : المقدمة : ص ٣٧٦ س ١٠

(٤) ابن الجوزي : نقد العلم والعلماء ص ١٧٣ ، ١٧٤

(٥) انظر ص ٢٨ من هذا البحث

قيل : هل تاب قبل الموت أم لا ؟ قال : الله أعلم . فلا يقول ما ليس به علم ، ولكن ظهر عنه من الأقوال والأعمال ما أوجب كفره وقتله باتفاق المسلمين والله أعلم » (١) .

بيد أن هذا لم يرق أبا العباس المرسى فقرر : « أكره من الفقهاء قولهم بكفر الحلاج ، والحلاج لم يثبت عنه ما يوجب القتل وما نقل عنه يصح تأويله » (٢) وكان أن قتل على يد المقتدر ٣٠٩ هـ

وأياماً كان الأمر فسب كل هذا تجوز بدا أمام المجتمع من فرد .

وإذا كانت بغداد عصر الدولة العباسية قد شهدت مأساة أهل السنة على يد المعتزلة فإن نيسابور عصر الدولة الساجوقية شهدت معركة الكرامية وهم الذين ينسبون إلى محمد بن كرام ٢٥٦ هـ ويذهبون إلى ما تفسده النصوص بظاهرها من تشبيه وتجسيم مع الأشاعرة التي تنسب إلى أبي الحسن الأشعري ٣٢٤ هـ والتي لقيت نفسها بأهل السنة نابعة من المعتزلة إذ إنه تلميذ أبي على الجبائي المعتزلي .

ونلاحظ أن الصدام إنما يعزى إلى المذاهب الاعتقادية ، وقد يختلف الناس فقها ويتحدون اعتقاداً . وقد يختلفون اعتقاداً ويتفقون فقها بيد أنه تختلف الأمر إذ إن معظم الأشاعرة من الشافعية ومن ثم أصاب الشافعية أذى كثير .

(١) ابن تيمية : رسالة في الجواب عن سؤال عن الحلاج هل كان صديقاً أو زنديقاً من ص ١٨٧ - ١٩٩ من جامع الرسائل - المجموعة الأولى : تحقيق د . محمد رشاد سالم : الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ . ص ١٩٩ س ٢ وانظر . عبد الجبار : المغني : ج ١٥ من ص ٢٦٩ لى ص ٢٧٨

(٢) الشعراي : لطائف المنن : ط مصر ١٣٢١ هـ - ج ٢ ص ٨٤

نجد أعلاماً أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك تشهد غزوة مصرعه
مسموماً على يد السلطان محمود بن سبكتكين ٤٠٦ هـ بتأليب الكرامية .

وأبا المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني بناله لقب إمام
الحرّين . . وأبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري يسجن فيمدن
سجن ويصيبهم الذعن ٤٤٥ هـ — على لسان السلطان طغرلبك أول ملوكها
وبسعي وزيره عميد الملك أبي نصر محمد بن منصور الكندري (١) .

وإذا كان المتوكل هو الذي أوقف صراع المعتزلة فإن السلطان ألب
أرسلان — الذي أتى بعد طغرلبك — وبوزيره نظام الملك الحسن بن علي
بن إسحاق (٢) ورسالة القشيري التي أسماها « شكاية أهل السنة بخيانة
ما نالهم من المحنة » يبطل حكم طغرلبك إزاء الأشاعرة .

وأبو الوليد ابن رشد ٥٩٥ هـ الذي حاول أن يوفق بين الشريعة والفلسفة .
وكتبه تمثل الدفاع عن فلاسفة المشرق الذين هاجمهم الغزالي ٥٠٥ هـ وذلك
ماثل في تهافت التهافت . و « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من
الاتصال » و « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة — إنما هو مثال
من هذه الأمثلة التي نعرض لها ولا نريد أن نتكثر بعرض مسائله إنما يحمل
بنا أن نورد ما يقرره بعض الدارسين صدد الحديث عن « التمهيد المنهجي
للرد على المتكلمين » : « فكان الخلاف بين المتكلمين والفلاسفة يسكاد
يقتصر على الاختلاف في التسمية . والغزالي إنما عمد إلى التهويل في تطرقه
لأمر ذلك الخلاف فخيّل للناظر في هذه المسألة أن مذهب الفلاسفة ومذهب

(١) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور : ص ١٥٩

(٢) المراجع السابق : ص ١٨٥ ، ١٨٦

المتكلمين في القدم على طرفي نقيض وما هما كذلك» (١).

والرازي يكشف عن أصول النزاع لدى فرقة من الفرق فيقول «اعلم أن المشهور من قدماء الكرامية إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى إلا أنهم يقولون : لا نريد به كونه تعالى مؤلفاً من الأجزاء ومركباً من الأبعاض بل نريد به كونه تعالى غنياً عن المحل قائماً بالنفس وعلى هذا التقدير فإنه يصير النزاع في أنه تعالى جسم أو لا نزاعاً لفظياً» (٢)

ومن ثم نجد كثيراً من المسائل نص فيها على أن النزاع لفظي بيد أن حدثها تخف إذا ما كانت بين أفراد لا تمس مقدرات المجتمع أو كانت داخل بيئة ما ومن ثم كان تقريرهم أنه لا مشاحة في الأسامي لكن بشرط هام هو بعد الاعتراف بالمعاني (٣).

مجمل القول أن الفرد لا يستطيع أن يقف وحده أو يرسل ما شاء تصرفاً في الناس أو انطلاقاً في التجوز ، ولا يملك سوى الخضوع لهذا العرف (٤).

(١) ماجد فخري : ابن رشد فيلسوف قرطبة - المطبعة الكاثوليكية-بيروت ١٩٦٠ ص ٥٨ .

(٢) الرازي : أساس التقديس : ص ٩٦ من الأخير

(٣) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٦ + انظر : الآمدي - الموازنة ص ١١٨
ص ١٠٧ ، ٣٣١ ص ١٢ + الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٦٣ ، ج ٣ ص ٣٧٥
ص ١٠ + الصبان : حاشية علي شرح الأشموني : ج ١ ص ٥٦ ص ١٩ + عبد
الشكور : مسلم الثبوت : ج ٣ ص ٢١١ + الشوكاني : إرشاد الفحول : ص
٢٢٥ ص ٥ من أسفل + د . السيد أحمد خليل : دراسات في القرآن : ص ١٢٣
ص ٧

(٤) محمد بن سلام الجمحي ٢٣٢ هـ - طبقات الشعراء : ط السادة : نشرة حامد
عجان الحديد ص ٧ + ابن رشيقي : العمدة : ج ١ ص ٩٧ ص ٢١ + أحمد حسن
الباقوري : خواطر وأحاديث : ط دار أخبار اليوم : ص ٩٩

وإنها لأسباب عميقة الجذور ، وأبعاد بعيدة الأغوار تلك التي تدفع إلى تغيير . علم من معالم المجتمع العام ، وإلا فأين العمامة والطربوش غطاء رأس ؟ إنه القسر الاجتماعي بما له .

ولكل مجتمع عرفه بما هو قانون ، ولعل ذلك يتضح بما هو فرق بين المدينة والقرية ، البداوة والحضارة : لكل عرفه الخاص وقانونه الذي به يتميز وإن تجاوز الزمان والمكان . . على هدي منه كان عتاب مالك بن أنس وليث بن سعد (١) .

وتنشأ لغة خاصة بكل مجتمع من هدي المجتمعات مما يمكن تسميته بالمجتمع اللغوي (٢) بما هو فصل عن اللغات الأخرى داخل المجتمع العام وبما هو توحيد لما تحتها . .

فالحرق الشيء الذي أصابته النار في المجتمع اللغوي العام . والورق الذي جاوز النصاب في عملية التصحيح في التربية والتعليم . والشقاوة في العرف العام إذ قيلت للغلام فهو عابث ملائم لسنته محب للعب أو أنه ممتاز وللرجل في عرف خاص قد تنصرف للجنس ، والنظافة للعامل الممتاز والصناعة الرائعة الدقيقة المحكمة . أما للرجل في المجال الحكومي فهو الشخص العف الذي لا تمتد يده إلى مال الدولة .

وهنا نقرر أن اللفظ إذا استخدمته بيئة من البيئات بما هو عرف خاص

(١) الصنعاني : سبل السلام : ج ١ ص ٣٠٠ س ١٣ + ٣٠٢ س ١٥

(٢) د . محمد أحمد أبو الفرج : مقدمة لدراسة فقه اللغة : مطابع النقري بيروت : ط أولى ١٩٦٦ م - س ٨٨ وما بعدها .

فإن صلته بالمجتمع العام بما هو عرف عام ^(١) ، أو عرف الاستعمال وصلته بالاستعمال الحقيقي في عرف اللغة ^(٢) — فإن صلته هي التجوز ، لكن داخل بيئته حقيقة ، فلفظة الغائط هي قضاء الحاجة تخصيصاً من العرف يرفضه ابن الأثير مدعياً أن « هذا شيء ذهب إليه الفقهاء وليس الأمر كما ذهبوا إليه لأنه إن كان إطلاق اللفظ فيه بين عامة الناس من إسكاف وحداد ونجار وخباز ومن جرى مجراهم فهو لا يفهمون من الغائط إلا قضاء الحاجة لأنهم لم يعلموا أصل وضع هذه الكلمة وأنها مطمئن من الأرض ، وأما خاصة الناس الذين يعلمون أصل الوضع فإنهم لا يفهمون عند إطلاق اللفظ إلا الحقيقة لا غير ألا ترى أن هذه اللفظة لما وردت في القرآن الكريم وأريد بها قضاء الحاجة قرنت بألفاظ تدل على ذلك كقوله تعالى : « أوجاء أحسد منكم من الغائط » (٤٣ م النساء ٤ . ٦٠ م المائدة ٥) . ^(٣)

وهو دفع لتخصيص العرف تعبت فيه ابن الأثير . والكلمة داخل مجتمعها ليست في حاجة إلى قرائن لأنها حقيقة ، وخارجها محتاجة إلى هذه القرائن لأنها مجاز ..

ومن الضروري أن نشير إلى أن العرف العام متصرف دون بيئاته التي يحتويها وإلا فمن الذي جعل الاقتصاد كناية عن البخل والاستقصاء كناية عن الجور ^(٤) وآية بيئة خاصة تلك التي أثرت في الظعينة فحولتها من

(١) الصبان : رسالة في علم البيان : ص ٨٦ + السبكي : عروس الأفراح : ج ٤ ص ٢٧ + ٢٨ .

(٢) المغربي : مواهب الفتاح : ج ١ ص ٢٦١

(٣) ابن الأثير : المثل السائر : ص ٢٥

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ٢٦٣

نخاص إلى عام^(١) . وما المجتمع الذي أثر في كلمة العدل^(٢) وكلمة الأخلاق^(٣) :

ثم ننتقل إلى القسم الثاني من المسالك

أما النوع الآخر من المسالك فهو عبارة عن الأمور التي اجتهد فيها العلماء وعدوا منها كثيرا. ومن ثم احتملت اللجاج المذموم إن حقا وإن فرضا لهذا الحصم العنيد الذي لم يكن له وجود غالبا وهو الاستدلال لدى الرازي^(٤) واعتبروا منها صدق النفس في نفس الأمر وفصاها أنه يصح أن يقال لمن يسمّى من الناس حمارا لبلادته أنه ليس بحمار ولا يصح أنه ليس بإنسان^(٥) بيد أن جملة «أحمد أسد» يصح نفيها أما «هو حيوان» فلا يصح نفيها إذ إطلاق الكلي على فردة حقيقة وجملة «محمد عين» يصح نفيها باعتباره ليس بكبير ومن ثم فإن هذا ليس دليلا على المجاز لأنه من المشترك^(٦) الذي نجد فيه «الشمس» ، العيب ، الماء ، الناحية ، الرياء ، النظر ، الميل ، إصابة العين ، الجماعة ، الإنسان الكبير ، المال ، السحاب ، المطر ، الطائر ، شعاع الشمس ، الشيء ، الجلد واليقين ، الذهب ، الدينار ،

(١) ابن منظور : لسان العرب : ط بولاق : ج ١٧ ص ١٤٢ س ٣

(٢) أحمد حسن الباقوري : خواطر وأحاديث : ص ٤٩

(٣) د . طه حسين : رحلة الربيع : طبعة سلسلة اقرأ ٦٩ - دار المعارف بمصر : الطبعة الثانية : ص ١٠٠

(٤) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٣

(٥) الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٤١ + الشوكاني : إرشاد الفحول ص ٢٥ ن

(٦) ابن عبد الشكور : مسالم الثبوت : ١ ص ٢٠٥ س ٤

الباصرة . الميزان . إلى غير ذلك ^(١) حقائق . ولذلك فإن سلب بعض المعاني الحقيقية لا يفيد مجازية المستعمل فيه ^(٢) . ومنها أن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار فنقول أراد الحائط أن يسقط ولا تقول أراد الحائط أن يسقط إرادة شديدة . والله تعالى يقول : « وكلم الله موسى تكليماً » فوكّد بالمصدر معنى الكلام ونفي عنه المجاز وقال : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » فوكّد القول ووكد المعنى بإنمّا ^(٣) . فتقوية الكلام بالتأكيد من علامات الحقيقة ^(٤) . بيد أنهم نصّوا على أن الذي لا يصلح استعماله إلا في المعنى المجازي فقط لم يكن التأكيد رافعا له . ^(٥) ذلك صدد قوله : « ومكروا مكرا ومكرنا مكرا » ٥٠ ك النمل ٢٧ .

ومنها ألا يكون اللفظ مطرداً في مدلوله فيقال « أسأل القرية » لا البساط وإن اطرّد فليس أمارة الحقيقة ^(٦) وهو إقامة المضاف إليه مقام المضاف ^(٧) لكن قد لا يطرد اللفظ ولا يكون مجازاً بل يكون حقيقة في مدلوله إذ المانع من الاطراد غير المجاز إذ هناك موانع أخرى وهي إما شرعية إذ إن

(١) ابن رشيّق : العمدة : ج ١ ص ٢٤٤ س ٣ + أحمد تيمور : من كنوز العرب القاهرة ١٩٦١ - ص ٢٧ + ٢٨ + ٢٩

(٢) ابن عبد الشكور : مسلم الثبوت : ج ١ ص ٢٠٥ س ٦

(٣) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : ص ٨٢ س ٣

(٤) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٤

(٥) القسطلاني : إرشاد الساري : ج ٧ ص ١٥٩ س ١٢ + ج ١٢ ص ٤٠٠ س ٢٢ + ونقله أخضرى ج ١ ص ١٨٧ س ١٤

(٦) ابن عبد الشكور : مسلم الثبوت : ج ١ ص ٢٠٦ س ٧ من أسفل + الآمدي :

الاحكام : ج ١ ص ٤٣ + المعتمد : ص ٣٣ س ٢ + السيوطي : المزهري :

ج ١ ص ٣٦٣ + ٣٦٤ + الشوكاني : إرشاد الفحول : ص ٢٥ ص ١٨

(٧) الآمدي : الموازنة : ص ١٥٣ س ٤ من أسفل

السخني حقيقة في الكرم والفاضل حقيقة في العالم، وهذان المدلولان موجودان في حق الله تعالى لكن لا يقال له سخي ولا فاضل. وإما لغوية إذ القارورة حقيقة في الزجاجة المخصوصة لكونها مقرأ للمائعات وهذا المعنى موجود في الجرّة والكوز ولا يسمى قارورة ذلك أنه إنما ينبغي أن ينتهي في اللغة إلى حيث انتهوا ولا يتعدى إلى غيره فإن اللغة لا يقاس عليها^(١) ومن ثمّ فالمجاز لا يقاس عليه إذ القياس يراد به الاطراد والسماع عدم الاطراد أو الشذوذ والشذوذ لا ينبغي وصف التعبير بالفصاحة والقوة، ومن ذلك إطلاقهم على الجد أبا وابن الابن ابنا^(٢) وإطلاق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً وإن كان مجازاً^(٣).

والحقيقة تطلق على من كان في زمن واضح اللغة وعلى من يأتي بعده^(٤)، ومن ثمّ « ليس يحسن بنا أن نقابل اللفظ باللفظ في كل موضع من الكلام قياساً على مقابلة اللفظ باللفظ في قوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» ٤٠ فك الشوري ٤٢ كما لا يجوز منا أن نحذف المضاف ونقيم المضاف إليه مقامه أبداً اتباعاً لقوله عزّا اسمه « واسأل القرية التي كنا فيها » والمراد أهل القرية حتى نقول ضربت زيدا ونريد غلام زيد، والعلة في الجميع واحدة وهو أن المجاز لا يقاس عليه وإنما يحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه في موضع دون موضع بحسب ما يتفق من فهم المقصود وزوال اللبس والإشكال^(٥) وما يتصل بهذا ما عدّو ومنها أن الحقيقة جارية على العموم

(١) الآمدي : الموازنة : ص ٢٠٢ من ١٢ + الأنباري : اللع : ص ٩٩ من ٢

(٢) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٣ + ٣٦٤ + أحمد تيمور : من كنوز العرب

ص ١٠ من ٤

(٣) السيوطي : مسالك الخلفاء : ص ٢٣ من ٤

(٤) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٤

(٥) ابن سنان : سر الفصاحة : ص ١٢٤ من ١١

في نظائره إذ قولنا عالم لما عني به ذو علم صدق على كل ذي علم ،
 وقوله « واسأل القرية » يصح في بعض الجمادات لإرادة صاحب القرية
 ولا يقال سل البساط والكوز وإن كان قد يقال سل الطفل والربع لقربة
 من المجاز المستعمل^(١) ، ومنها : توقف إطلاقه على إطلاق آخر غيره^(٢)
 نحو قوله « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » ٥٤ م آل عمران ٣
 فالمشكلة مجاز فإنه لا يصح مكر الله ابتداء^(٣) ومنه المخادعة والمجازاة^(٤) ،
 وعليه قول الشاعر :

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحاً

وقول الراعي النميري :

إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا^(٥)
 وقول أبي تمام :

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

فقد قال الآمدي : « فقد عيب وليس بعيب عندي لأنه لما أراد أن
 يقول قد استعذبت ماء بكائي جعل للملام ماء ليقابل ماء بماء وإن لم يكن

(١) الغزالي : المستصفى : ج ١ ص ٣٤٣ س ٣ + ابن الأثير : المثل السائر ، -

ص ٢٥

(٢) الشوكاني : إرشاد الفحول : ص ٢٥ س ٣ من أسفل + الآمدي : الإحكام ج

١ ص ٤٦

(٣) ابن عبد الشكور : مسلم الثبوت : ج ١ ص ١٠٢ س ٨ من أسفل

(٤) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ١٧٥ + ١٧٩

(٥) الآمدي : الموازنة : ص ٢٢١ س ٩ + الحضري : حاشية : ج ٢ ص ٦٧

وانظر لسان العرب : ١٣٠٠ هـ - ج ٣ ص ١١١ س ١١ + ابن العربي : أحكام

القرآن ج ١ ص ٢٣٩

للسلام ماء على الحقيقة كما قال الله عز وجل « وجزاء سيئة سيئة
مثلها »^(١).

ومنها التزام التقييد مثل ظلمة الكفر ونور الإيمان^(٢) أي أنه لا يستعمل
إلا مقيدا ولا يستعمل للمعنى المطلق كئثار الحرب وجناح الذل^(٣).

ومنها امتناع الاشتقاق عليه إذ الأمر إذا استعمل في حقيقة اشتق منه
اسم الأمر ، وإذا استعمل في الشأن مجازا لم يشتق منه أمر والشأن هو
المراد بقوله تعالى « فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد » ٩٧ ك هو
د ١١ ويقول تعالى « فإذا جاء أمرنا » ٢٧ ك المؤمنون ٢٣ .^(٤)

ومنها : أن الحقيقي إذا كان له تعلق بالغير ، فإذا استعمل فيما لا
لا تعلق له به لم يكن له متعلق ، كالقدرة إذا أريد بها الصفة كان لها
مقدور وإن أريد بها المقدور كالنبات الحسن العجيب إذ يقال انظر إلى قدرة
الله تعالى أي إلى عجائب مقدوراته لم يكن له متعلق إذ النبات لا مقدور
له^(٥).

ومنها ألا يتبادر نفسه بل يتبادر غيره لولا القرينة وهو عكس ما

(١) الآمدي : الموازنة : ص ٢١١ س ٤ + السبكي : عروس الأفراح ص ٢٠١
س ٤

(٢) ابن عبد الشكور : مسلم الثبوت : ج ١ ص ٢٠٧ س ١٧

(٣) الشوكاني : إرشاد الفحول : ص ٣٥ س ٢ من أسفل

(٤) الغزالي : المستصفى : ج ١ ص ٣٤٣ + السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٣

(٥) الغزالي المستصفى : ج ١ ص ٣٤٣

يجرى في الحقيقة ^(١) لكن هناك اعتراضان لهما الآمدي إذ إن ماورد لا يطرد في المجاز المنقول حيث إنه يسبق إلى الفهم من اللفظ دون حقيقة ثم إن اللفظ المشترك حقيقة في مدلولاته مع عدم تبادر شيء منها إلى الفهم عند إطلاقه ^(٢) ، ومعالجة ذلك لدى الغزالي ردا على الأول إذ يقرر : « المعنى العرفي كالمعنى الوضعي تردد اللفظ بينهما وليس المجاز كالحقيقي لسكن المجاز إذا صار عرفيا كان الحكم للعرف » ^(٣) فإن هذا المتبادر إذا علم كونه مجازا فهو من القسم الأول من المسالك ، وأما عن الثاني فإنه يسرد بالفرق بين قرينة المجاز وقرينة المشترك لأن قرينة المجاز معينة الدلالة أما قرينة المشترك فمزيلة إبهام .

ومنها : أن تختلف صيغة الجمع على الاسم ، فيعلم أنه مجاز في أحدهما
 إذ الأمر الحقيقي يجمع على أوامر وإذا أريد به الشأن يجمع على أمور ^(٤)
 واتحاد الجمع ليس أماراة الحقيقة ^(٥) وإن كان تعدد الجمع ليس أماراة التجوز في المسمى لجواز أن يكون حقيقة فيه ، وباختلاف الجمع يعلم تعدد المعنى ولا ينعكس ورؤد بأن الجمع للاسم لا للمسمى ^(٦) .

وهي عدة مسالك أوردناها على هذا النسق لأنها خادمة لفكرة واحدة

(١) ابن عبد الشكور : مسلم الثبوت : ج ١ ص ٢٠٦ س ١٤ + السيوطي : المزهري ج ١ ص ٣٦٤ عن الرازي .

(٢) الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٤١ ، ٤٢

(٣) الغزالي : المستصفى : ج ١ ص ٣٥٩ س ٤

(٤) الغزالي : المستصفى : ج ١ ص ١٤٩ + الآمدي : الإحكام : ج ١ ص ٤٣ +

٤٤ + ج ٢ ص ١٩٢ وما بعدها + السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٦٤

(٥) الأنصاري : فواتح الرحموت : ج ١ ص ٢٠٧ س ١٧

وإن تباينت تعبيراتهم لكن اتحدت مناهلهم ، وإن اختلفت بيئاتهم التي ينتمون إليها لكن اتحدت مراميهم التي يهدفون إليها اختلط فيها الكلام عن مسالك التجوُّز وجهات التجوُّز أو بين طرق إثبات التجوُّز وطرق إنشاء التجوُّز ولعل العامل الديني كان مسيطراً على هذا الاتجاه .

وتبلغ ذروة الجدل في هذا الشق الثاني من المسالك بما طرحه الدارسون سؤالاً هل المجاز واقع في اللغة ؟ ثم قرروا أنه واقع لأننا نقول متن الطريق وجناح السفر ولمة الليل ، وقامت الحرب على ساق ، والأسد الشجاع والحمار البليد مما هو متواتر « ولو كان ذلك حقيقة لكان اللفظ مشتركاً لما سبق إلى الفهم ، عند إطلاق هذه الألفاظ البعض دون البعض ضرورة التساوي في الدلالة الحقيقية^(١) . بيد أن هناك من أنكر المجاز في اللغة منهم : الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني والأستاذ أبو علي الفارسي أستاذ ابن جني^(٢) وابن القاص^(٣) ، ومنهم من أنكر المجاز في القرآن بخاصة عدّ منهم ابن القاص الشافعي ، وابن خويزمنداد المالكي وداود الظاهري وابنه ، وأبو مسلم الأصبهاني^(٤) وأجمل الآمدي النفاة بقوله أهل الظاهر والرافضة^(٥) .

(٦) المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠٧ س ١٥

(١) الآمدي : الأحكام : ج ١ ص ٦٢

(٢) الشوكاني : إرشاد الفحول : ص ٢٢ + ٢٣ ، ابن عبد الشكور : سلم الثبوت ج ١ ص ٢١١ + السيوطي : المزهرة : ج ١ ص ٣٦٤ + ٣٦٥ .

(٣) السيوطي : الانتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٣٦ س ١

(٤) الزركشي : البرهان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٥٥ س ٤ ، الغزالي : المستصفى ج ١ ص ١٠٥ س ٧

(٥) الآمدي : الأحكام : ج ١ ص ٦٣

والحجة هؤلاء سواء أكانت صادرة عنهم أم متقولة عليهم تتلخص في معالم منها التحديد الزمني : إذ لا يعلم التي تكون الحقيقة ومتى كان المجاز وخاصة أن الدلالة غير ذاتية سواء أكانت المقارنة بين الأصلي وغير الأصلي في الذات كتسمية المطر سماء ، أو المعنى كوصف الشجاعة والبلادة وأن العرب وضعت السبع للأسد وللشجاع . .

لكن وإن كان التاريخ غير معلوم بيد أن السبع لا ينصرف للشجاع إلا بقرينة ولو كان حقيقة فيهما لكان تناولهما واحدا .

ومنها الإخلال بالتفاهم وأنه مع القرينة حقيقة ، ومعلوم أن الشرط لصحة المجاز علاقة وقرينة ، ويعود الخلف لفظيا ^(١) :

ومنها - فيما يخص القرآن - أنه لا يعدل إلى المجاز إلا لضيق الحقيقة وهو مستحيل على الله ، وردّ بأن هذا باطل ، « ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن » ^(٢) .

ومنها الاشتقاق التجوّزي ، إذ لا يجوز وصف الله سبحانه وتعالى بالتجوز لكن نقول إنّ هذا يمثل خلطا بين الأمور الشرعية والأمور اللغوية .

ومنها أن المجاز كذب والقرآن منزّه عن ذلك ، والجدار لا يريد شهادة القرية لا تسأل لكن لو سأل لوقع الجواب ^(٣) وهناك تكليم الحمار وشهادة

(١) السيوطي : المزهر : ج ١ ص ٣٦٦ + ابن عبد الشكور مسلم الثبوت : ج ١ ص ٢١١ + الآمدي الأحكام : ج ص ٦٣

(٢) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : ص ١٨ + عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٤٠٠ س ٩

(٣) الآمدي : الأحكام : ج ١ ص ٦٥ + ٩٦

الجميل ، وسؤال الظبية وكلام الضب مما لدى كتب السيرة ^(١) ولعل هذا نشأ من مقابلة المجاز للحقيقة بما هي صدق ، هو بحث لفظي .

ونخلص من هذا كله للحديث عن تحديد معالم نوعية الدلالة ..

والمقصود بالدلالة : وصف اللفظ الدال وإن لم يفهم منه إذ إن هذا شيء آخر يتصف به الشخص المقابل ، وإن الفهم والانتقال إنما هو بسبب حالة في اللفظ وقسموا هذي الدلالة اللفظية إلى ثلاثة : مطابقة وتضمنية والتزامية وكان لديهم خلط في وصفها ^(٢) ما بين وضعية وعقلية ، بيد أننا نجزم بأن الدلالة التي تعنينا عرفية ولا مشاحة في الاصطلاح . . لكن بدا فرق بين البيانيين وغيرهم من اللغويين والأصوليين ، إذ إن البيانيين يشترطون في الدلالة الاطراد ولم يشترطه الآخرون ، ومن ثم ألمع الصبان تعريفه لذلك فرأى أن وجه الدلالة وضع واقتضاء وطبع وعلة ومعلولية وُعدَّ فيه العلم بالقرينة ليشمل دلالة اللفظ على المعنى المجازي المستعمل هو فيه .

وهذه القرينة مردها العرف إذن فوجه الدلالة المجازية عرفي وهو ما يعرف بالوضع النوعي التأويلي أما النوعي فوضع كذا بإزاء علاقة كذا وأما التأويلي فبقرينة كذا ومن ثم فدلالة المجاز على المعنى مطابقة لأنها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له ^(٣) .

(١) الحلبي : إنسان العيون : ج ٣ ص ٣١٢ + ٣١٥ ، دحلان : السيرة النبوية والآثار المحمدية : ج ٣ ص ١٥٦

(٢) الصبان : رسالة في علم البيان : ص ٦٤ + الجرجاني : التعريفات : ص ٩٣
س ١٩ + انظر : المستصفي : ج ١ ص ٣٠ س ١٣

(٣) الصبان : رسالة في علم البيان : ص ٦٦ + ص ١٨٣ + أمين الخولي : محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية : ص ٣٥ + ص ٤٤ س ٣ من أسفل .

البَابُ الثَّانِي
أَثَرُ الْمَجَازِ فِي الدَّرْسِ لِلْغَوِي

الفصل الأول

القيمة التجوزية

لم يكن بد من أن يكون للمجاز قيمة وفائدة يذهب إليها ويطلب بسببها ذلك أن « الكلام إنما هو مبني على الفائدة في حقيقته ومجازه ^(١) ، وإلا فالحمل على المجاز عبث إذا الحقيقة أولى به وهذا يتضح من زاويتين ، الأولى فيما يتصل بما قد ينسب على هذه الملاحظة من أحكام ذلك أنه لو أوصى لأولاد فلان ولم يكن له ولد وله أولاد حمل عليهم ، فلو كان الولد قائما لحجبهم ، . . . والثانية ما قرره ابن الأثير : « واعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فإن كان لازمة لمعناه في حمله على طريق المجاز فلا ينبغي أن يحمل إلا على طريق الحقيقة لأنها هي الأصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة » ^(٢) وهذه الفوائد قد قررهما العرب فذكروا أن استعمال اللفظ المجازي دون الحقيقة قد تكون لاختصاصه بالخفة على اللسان أو لمساعدة في وزن الكلام نظما ونثرا ،

(١) الآمدي : الموازنة : ص ١٧٩ س ٦
(٢) ابن الأثير : المثل السائر : ص ٢٦ وانظر ابن العربي : أحكام القرآن : ج ٢

٢ ص ١٥٢ س ٦ .

والمطابقة والمجانسة والسجع وقصد التعظيم والعدول عن الحقيقي للتحقير إلى غير ذلك من المقاصد المطلوبة في الكلام ^(١) .

وهو بتعبيرهم لا يعدو الحديث عن المقاصد أما القيمة فهي أمر آخر فإذا كان لم يعد مما ينشده الأديب اللغة في أداء ما تضطرب به نفسه ولكنه يبحث عما هو أبعد من الدلالة إلى الإيحاءات الفنية خلال ذبذبات النفس والفكر فإن في المجاز متسعا لذلك .

والمنتج يعاني وكثيرا ما تبرم باحثا عن لفظ آخر يحيط به معناه جدة ويبعث فيه حياة وينفي عنه جمودا إذ قد تكون اللفظة مستهلكة أو مرتبطة ارتباطات تنفر منها الأسماع أو تأباها الأذواق أو يرفضها المنتج لفهم معين اقترن بها في الذهن وهو ما لا صلة للكلمة به ، ولعل المسرح صورة من صور هذا التجديد وبعث الحياة إذ « لا ركود في لغة المسرح » ^(٢) حيث يذهب منطوق الفكرة لترى دليلا عمليا على صدقها وصورة مجسمة لمفهومها فمن منا رأى بيومي أفندي مصطفى ليوسف وهبي ولم يتحلب دمه إن لم يجر مجراه وأخذ درسا قاسيا في عدم إطلاق اللسان ، وأن اللقيط قد يطبب جراح الإنسانية المادية التي يعد وجوده جريمة من جرائمها وجرحا لا سبيل إلى اندماله . . إنها تثير في نفوسنا ما لا تثيره زهور الشر ^(٣) وتأخذ منا ما لا يأخذه غراب وطفل ^(٤) .

(١) الآمدي : الأحكام : ج ١ ص ٦٣ + العسكري : الصناعتين : ٨ ص ٢٦ س

١ وانظر السيوطي : المزهر : ج ١ ص ٣٦٠ .

(٢) د . غنيمي هلال : في النقد الأدبي الحديث : الطبعة الثالثة : ٩٦٤ ص ٦٧٠ .

(٣) ديوان شعر ألفه سنة ١٩٥٧ شارل بودلير ١٨٢١ - ١٨٦٧

(٤) أحمد حسن الزيات : الرسالة - المجلد الثاني - مطبعة الرسالة الطبعة الخامسة ١٩٦٣

مقال ص ٣٦٦ في ٢٠ يولية ١٩٤٢ .

والحديث عن آثار المجاز إنما هو حديث عن قيمته

وإذا كان المسرح هكذا فإن المجاز إنما يحدث هذا اللون من التأثير وأعجب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحوال حتى إنها ليسمح بها البخيل ويشجع بها الجبان ويحكم بها الطائش المتسرع ، ويمجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى إذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك عقوبة أو إقدام على أمر مهول وهذا هو فحوى السحر الحلال المستغني عن إلقاء العصا والحبال « (١) .

وقالوا : إن الممنوع مرغوب ، والنفوس دوما متشوفة للذي يظهر لها منه شيء ، أليس الإغراء في بعض الكشف دون الكشف رؤية ، وفي التلويح دون التصريح والإشارة دون العبارة تلفظا ، لذلك « فلن يكون هنالك شوق إلى الشيء مع كمال العلم به ، ولا كمال الجهل ، بل إذا علم من وجه شوق ذلك الوجه إلى الآخر فنتعاقب الآلام واللذات ، ويكون الشعور بتلك الآلام واللذات أتم ، وعند هذا فالتعبير بالحقيقة يفيد العلم ، والتعبير بلوازم الشيء ، الذي هو المجاز لا يفيد العلم بالتمام فيحصل دغدغة نفسانية ، فكان المجاز أكد وألطف (٢) وأبلغ من الحقيقة (٣) وأوقع من اللفظ الظاهر وأبلغ من الكلام الموضوع (٤) وكان التصوير أبغ من المعاينة (٥) .

(١) ابن الأثير : المثل السائر : ص ٢٦

(٢) السيوطي : المزهرة : ج ١ ص ٣٦١

(٣) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ٣٢٧ ، انظر ص ٢٨١ س ٤ + ابن رشيق العمدية : ج ١ ص ٢٢٦ + القزويني : متن التلخيص : ص ٦٩ .

(٤) الباقلائي : إعجاز القرآن : ص ٢٨٥ س ٨

(٥) المبرد : الكامل : ج ٣ ص ٤٢ س ١٣ + ابن الأثير : المثل السائر : ص ٢٥

وهذه القيمة التجوزية التي مناطها الانتقال من الملزوم إلى اللازم تحمل معالم التوكيد الذي يأتي به المجاز إذ قولنا : « أعتقت رقبة » إنما هو تأكيد وبيان من هذه الوجهة لقولنا : « أعتقت العبد والدليل على صحة ذلك إعتاق رقبته » فهي إذن دعوى الشيء بدليل مصاحب وفي ظاهر اللفظ يحال بالسؤال على من ليس من عادته الإجابة بما هو تناه في تصحيح الخبر ، وإنك تعظم قدر الواحد بأن جئت بلفظه على اللفظ المعتاد للجماعة^(١).

وإذ كنا قد ألعنا إلى أن عملية التجوز كانت تسمى بالاتساع فمن ثم لم يكن بد من أن يكون لهذا الاتساع نصيب كبير في طبيعة الأسلوب المجازي ، وإذا كان القول في المجاز هو القول في الاستعارة لأنه ليس هو بشيء غيرها وإنما الفرق أن المجاز أعسم من حيث إن كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة فيما يذهب إليه عبد القاهر^(٢) فنلمس سببا من الأسباب فيما طفق يتحدث به الرماني ٣٨٦ هـ عن فضل كل استعارة على ما يؤدي معناه من التعبير بالحقيقة مبينا أنها أبلغ منها ، ويهمننا أن نعرض لحديثه منها صدد تحليله لها في آيات القرآن الكريم إذ يقول عن قوله تعالى : « ربنا أفرغ علينا صبرا » ٢٥٠ م البقرة ٢ أفرغ مستعار وحقيقته أفعّل بنا صبرا ، وأفرغ أبلغ منه لأن في الإفرغ اتساعا مع بيان^(٣) وقال تعالى : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم » ١١٠ م التوبة ٩ ، وقال « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان » الآية ١٠٩ م التوبة ٩ كل هذا مستعار وأصل البنيان إنما هو الحيطان ومما أشبهها^(٤)

(١) القزويني . متن التلخيص . ص ٦٩

(٢) عبد القاهر . دلائل الإعجاز : ص ٣٥٦ س ٣

(٣) الرماني : النكت في إعجاز القرآن : ص ٨٣

(٤) المصدر السابق : ص ٨٤

وأكد اللغويون هذا الاتساع بما هو زيادة في الأسماء وخلع أوصاف
تخص في الحقيقة الأعيان والجواهر على الأحداث والأغراض بما هو لون
من ألوان التأكيد^(١) شأن استعمال لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة
سؤاله أو وضع لفظ الواحد للجماعة .

إذن هو وسيلة من وسائل الربط أو الوصل بين الطبيعة والفكر على
نحو ما وذلك ما يوضح قول القدماء : « استعارة الشيء المحسوس للشيء
المعقول » هي الصور المادية التي تعطي علاقات غير مادية^(٢) .

وإذا كان مما يبط بالفنان جميع المتناثر وتوحيد المتعدد ونظم المتفرق
في سلك جامع ، فإنّ التجوز هو الذي يحدث هذا الأثر بما هو معين على
تحقيق وحدة الحياة بلونها المادي والمعنوي .

ونجد ذلك خير معين على الحديث عن الأساطير بما هي طرد لما يجري
من نواميس الحياة سواء أن تسمى القدماء الذين ذهبوا بأسماء الطبيعة
ووصفوا بصفات ثم أطلقت على الكائنات فيما يذهب إليه هربرت سبنسر
أم أنها من باب التشخيص فناط بها الإنسان ما يناط بما حوله خلعا عليها
ونفثا فيها^(٣) .

أو بما هي لون من ألوان السيطرة على الطبيعة ، وضرب من ضروب
تفسير قوى الكون فيما يرى ماكس مولر وهو ميدان التجوز بما هو عطاء

(١) ابن جني : الخصائص : ٢ ص ٤٤٢ وما بعدها + ونقله السيوطي في المزهرة
١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وانظر ابن الأثير . المثل السائر : ص ١٤٢ + ١٤٣

(٢) هربرت ريد : English Prose Style p. 142 .

(٣) العقاد : الفصول : مجموعة مقالات : مطابع دار الغندور بيروت - الطبعة الثانية
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ص ٤٢ وما بعدها .

لغوي إذ تنشأ الأقاصيص ومثال ذلك كلمة الطبيعة تعني في أصلها الحبل
وهذا القدم قد يجعل تعبير الطبيعة تلد النبات والماء والحيوان عسير على
الذهن إذ لا يستطيع الذهاب إلى أسبابه الأولى فتكون الأسطورة ويضاف
إلى ذلك ما قد يجد الناس فيه جهة من الجهات يصفونها تشابها بين الأسد
والشمس مثلا مما نجده بكثرة لدى الطفل في تعبيره (١) .

وقد يسمى هذا اللون بالمجاز الشعري (٢) .

أو بما هي تعبير عن حياتنا وأحوالنا فيما قد يسمى بأدب الريف (٣) .

إذن هذا التجوز إنما هو لون من ألوان الكشف عن ألوان من التعبير ...

وبما فيه من اتساع إنما يقطع هذي الرتبة التي تستولي على الكلمات
التي أصابتها كثرة الاستعمال « والشاعر يستعمل الألفاظ ذاتها التي يستعملها
الناس في حديثهم العادي أو يستعملها الكتاب في نشرهم التعبير عن فكرة
ولكن الشاعر حين يستخدمها فإنه ينفي عنها قيمها العادية المعهودة ويكسبها
قيما جديدة ، وهو يحاول بشئ الوسائل أن يبعد بها عن ميدان النثر وعن
قيمتها فيه فينظمها بطريقة خاصة تختلف عن الاستعمال العادي لها ويوسع
أو يضيق من مدلولاتها » (٤) بيد أنه يفيد أكثر ما يمكنه من تاريخ تلك
الكلمات ومن الاستعمالات التي جرت فيها هذه المعرفة إذ تسهل عليه

(١) العقاد : الفصول : ص ٤٤ + د . السمران : علم اللغة : ص ٢٩٨

(٢) المازني : حصاد الهشيم : ص ١٦٣ وما بعدها .

(٣) العقاد : ساعات بين الكتب (جزآن في مجلد) الطبعة الثالثة : مطبعة السعادة بمصر
١٩٥٠ م الجزء الثاني : ص ٤٤٣ وما بعدها .

(٤) د . عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية : ص ٣٥١ س ٣ من أسفل .

إعطاء الكلمة حياة جديدة وإعطاء اللغة مصطلحاً جديداً ، والموروث الجوهري في هذا هو استخراج كل ما يمكن استخراجه من كل ما يقف خلف الكلمة من وزن كلي للتاريخ اللغوي ^(١) .

وهذا هو تطوير اللغة بما لها من تاريخ ^(٢) .

والتجوز بهذا هو الذي يمثل مدرجاً من مدارج اللغة ونقله في حياتها وهو الذي قد يؤدي إلى غموض المعنى أو دقته ، وهو وسيلة اللغة في هذا التغيير لا فرق بين مشروع يعنى بالحقائق ويعكف عليها مؤمناً بينها وبين واقع الحياة وبين أديب يصطنع الخلق الأدبي اطمئناناً يتم له به التصرف في اللغة في أوسع نطاق ثمرة عملية نسيج مستمرة دائمة التجدد والتغير بما هو تطبيق لأصل ومبدأ وبما هو أثر في الدرس اللغوي .

ودرس تاريخ الكلمات إنما هو درس تاريخ الناطقين بها المستعملين لها مرايا كاشفة تترأى لنا بواسطتها صفاتهم وصفات أوطانهم وأطوار حياتهم بما هو تجوز ^(٣) .

إن المجتمع العربي كان مجتمع رحله ومرعى ، والكلمات دالة على ذلك إذ لا تخلو من الإشارة إلى الرحلة والرعاية ، فالأمة هي الجماعة التي تؤم مكاناً واحداً أو تأتم بقيادة واحدة ، والإمام هو الذي تقتدي به الجماعة والأم هي الوالدة لأنها جمعت من معاني الرعاية ما تفنن الأدباء في وصفه .

(١) رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي : ص ١٧٧

(٢) إلبوت : ما هو الكلاسيكي : ترجمة د. غائق متى : ص ٢٣٨ ، ٢٣٩

(٣) عباس العقاد : لغة التعبير : اللغة العربية - مقال في مجلة الأزهر مارس ١٩٥٩م ص ٦٨٥ وما بعدها .

وبهذه الدلالة تحدث المتحدثون عن سبق العرب في كثير من العلوم « فالكيمياء احتفظت دائماً باسمها العربي الذي يرجع أصله إلى مصر القديمة والذي كان له معنى من أعمق المعاني التي لم يعرفها الكيميائيون الحديثون حقيقة . ولنضرب مثلاً آخر ؛ ذلك علم الفلك فإن أكثر اصطلاحاته الخاصة ما تزال محتفظة في كل اللغات الأوروبية بأصلها العربي كما أن كثيراً من النجوم ما يزال علماء الفلك في كل الأمم يطلقون عليها أسماءها العربية ؛ والقلاويط معروفة في مصطلحات الكيمياء الحديثة باسمها العربي .. (١) ولكل نقلة سماتها . . ولكل بيئة خصائصها بما قررنا طرفاً منه في المقاصد .

وأياً ما كان من أمر مقاصده فإن دراسته تكشف عن تطور الفكر وتلون الحياة بما تضطرها إليه عملية الاستمرار فإن الإسلام بما انطوى عليه وسم المجتمع بميسم خاص كان من خصائصه أن تنوعت الحياة في الجزء الواحد من الرقعة الكبيرة التي هي أقطار شاسعة وأطراف قاصية وما إن يطالع الإنسان الآمدي والإسفراييني والأسنوي والأصفهاني والبصري والبغدادي والبيروني والبيضاوي والخرجاني والحلبى والرازي والزمخشري والسجستاني والسيرافي والشاطبي والقشيري والمراكشي والقلة شندي والكويتي والنيسابوري حتى تنتهي إلى بيئاتها ثم ما صار بين هذين الهيئات من تباين يضاف إلى ذلك ما كان من عمومية الإسلام منطلقاً لمبلغيه فأصابوا من اليونانية خصائص فكر ومن الفارسية أسلوب حياة ومن الهندية طرائق بحث ومن الإسلام منهج سلوك وتعبد ومن العربية أداة تعبير انصهر فيها هذا كله معلنة عنه متسمة به معا يشة له .

(١) د . عبد الخليم محمود : الفيلسوف المسلم : ص ٥٣ س ٢ + انظر : العقاد أثر العرب في الحضارة الأوربية - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة - ١٩٦٠ م ص ٤٣ س ٤ + المنوفي : الإسلام والحضارة العالمية ص ٢٢٠

ومن ثمّ فلا يكاد يرى الباحث « الجزء الذي لا يتجزأ » ، « العدل والتجريح » ، « الحسن والقبح العقليين » ، « المجرور والمخفوض ، اسم الفاعل والفعل الاستمراري والدائم ^(١) حتى تتظامها بيئاتها وأزمتهها .

وباعتبار آخر قد يكون المصطلح مشاعا لكن يختلف مفهومه تبعاً لاختلاف طبيعة الموضوع . . قد يكون في موضوعات متعدّدة لكن لدى كل موضوع بمعنى شأن مصطلح المسألة تجد استخداماته المتشعبة من استفهام ورجاء ودعاء ومدانة واختبار وقضية أو مشكلة على لسان مصطفى كامل وعملية رياضية وفرع أو جزء أو موضوع ذو طابع معين في الفقه وشحاذه وتحقيق أمر إلى غير ذلك ، ومصطلح الرجعة تجده لدى اللغويين اسم مرة ولدى الشيعة خاصاً بعودة الإمام أما لدى الفقهاء فهو منصرف إلى الطلاق ، وقد يكون في جزئيات يضمها علم واحد : فالمفرد في النحو في باب لا النافية للجنس هو المقابل للجملة ، والمفرد في غير المقابل للمثنى والجمع ، والميزان الصر في للأفعال والأسماء يغير تماماً ما يجري في التصغير والتوكيد الذي يأتي به المجاز ويكون مقصداً من مقاصده غير التوكيد الذي ينفي المجاز ويكون دليلاً على الحقيقة ، وفي مجال البحوث الروحية نجد استعمالات مختلفة للفظ « روح » فهو يذكر أحياناً للتعبير عن سر الحياة وأحياناً للتعبير عن الجسم الأثيري ، كما أن لفظ « نفس » كثير ما يذكر للتعبير عن الجسم الأثيري ^(٢) .

والمفهوم الواحد يختلف مصطلحة الدال عليه تبعاً لاختلاف طبيعة الموضوع ،

(١) القالي : النوادر : من ٢١٠ س ٢ + ٤ من أسفل

(٢) جمال الدين حسن حسين : الروحية في التراث الإسلامي : لجنة نشر الثقافة الروحية

دار عزت خطاب للطباعة والنشر - مصر ١٩٥٧ ص ٢١ س ١٠ ، ٢٢

فالصفات المشبهة في القرآن هي صيغ المبالغة في غيره والعطف على المعنى في القرآن هو العطف على التوهم في غيره ، ويؤكد الباقلاني ٤٠٣ هـ أنه « ربما كان ذلك يسمى قافية وذلك إنما يكون في الشعر ، وربما كان ما ينفصل عنده الكلامان يسمى مقاطع السجع وربما سمي ذلك فواصل . وفواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب » (١) .

وذكر النحاة من أقسام البدل بدل الكل من الكل بيد أن ابن مالك سماه المطابق :

مطابقاً أو بعضاً أو ما يشتمل عليه يلفى أو كمعطوف بـ

مما أشار إليه الأشموني : « سماه الناظم البدل المطابق لوقوعه في اسم الله تعالى — ذلك قوله « الر كتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد » ١٤ ك إبراهيم ٢١ (٢) بالجر وإنما يطلق الكل على ذي أجزاء تعالى الله عن ذلك » (٣) .

والبلاغيون سموها باب تجاهل العارف في النظم والنثر بالإعانات في آيات الكتاب العزيز (٤) .

(١) الباقلاني : إعجاز القرآن . ص ٩٤ س ١٣ + الشوكاني . فتح القدير : ج ٤ ص ١٨٩ س ٤

(٢) الصبان : حاشية على الأشموني : ج ٣ ص ١٢٤ س ٣

(٣) الخضري : حاشية على ابن عتيق : ج ٢ ص ٦٩ س ٧ من أسفل

(٤) ابن الأثير : جوهر الكنز (تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام : شركة اسكندرية للطباعة والنشر) ص ٢٠٨ .

وقد يختلف تبعاً لاختلاف البيئة العلمية ففي باب قضاء الحاجة تجسد أنها « كناية عن خروج البول والغائط وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا قعد أحدكم لحاجته » ويعبر عنه الفقهاء بباب الاستطابة الحديث : « ولا يستطيع بيمينه » ، والمحدثون من باب التخلي مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أحدكم الخلاء » ، والتبرز من قوله : « البراز في الموارد »^(١) .

وقد يختلف تبعاً لاختلاف البيئة المكانية والزمانية ولذلك تجد «ميرمراز» في الفرس ، « بطريق » في الرومان ، « قائد » لدى العباسيين « أتاك » عند المماليك ، « سر دار » في العثمانية ، « فيلد مارشال » إفرنجية^(٢) ، مراتب جند .

ونجد في الدرس الروحي أن « عالم البرزخ يطلق عليه أيضاً عدة أسماء وهي عالم الانتقال أو العالم الروحي أو العالم الأثيري أو عالم النفوس ، وفي دراستنا للأثر (للتراث) الإسلامي حول هذا الموضوع سنجد جميع هذه التعبيرات المختلفة لذلك فمن الواجب الانتباه إلى المعنى المقصود دائماً من كل لفظ »^(٣) ويقررون أن هذه « الألفاظ تختلف دائماً عند التعبير عن الجسم الأثيري إذ يعبر عنه تارة بالروح وتارة بالنفس أو بالجسم اللطيف أو بالنسمة وغير ذلك من التسميات »^(٤) .

إذن ثبت كم دلالي لم يكن له ليتجاوز البيئة والزمن ، ولذا فمن

(١) الصنعاني : سبل السلام : ج ١ ص ١٠٨

(٢) الخفاجي : شفاء الغليل : ص ٣٨ + الحولي : الهندية والسلام : ص ٢٣

(٣) جمال الدين حسن حسين : الروحية في التراث الإسلامي : ص ٢١

(٤) جمال الدين حسن حسين : الروحية في التراث الإسلامي : ص ٢٨ س ٣

العبث أن نقحم المصطلحات الجديدة للحاضر بظروفه على ماضى من مفاهيم سائلة ، أو نحمل ما مضى على ما جد من مصطلحات ، الأمر الذي حدا بالدكتور السعران مقررًا: نأيت عن اختيار المصطلح اللغوي العربي القديم ترجمة لبعض المصطلح الانجليزي كما صنع جماعة — وأثرت حيث لا أجد المقابل العربي الملائم أن أستعمل المصطلح الأوروبي . وذلك كي لا يختلط التصور العربي القديم بالتصور الأوروبي الحديث . . (١)

وحدا بالدكتور زكى نجيب محمود في تجديد الفكر العربي إلى إنكار نحو ذلك إذ شتان ما بين حرية اليوم وحرية عمر رضي الله عنه . ولعل هذا ماجعل محمد الحامدي يرد على مصطفى السباعي في كتابه اشتراكية الإسلام ، وإذا كان قد ورد لدى صاحب أساس التقديس ذكر الوهم والخيال في درج الكلام (٢) فما نحن بقادرين على أن نتحدث عن الوهم بما هو Fancy والخيال بما هو Imagination لديه مصطلحات لدى النقد الأدبي في القرن العشرين .

ولعل ذلك كان دافعا لعائشة عبد الرحمن كي تقرر أنه من الخطأ الفاحش أن يرد عاماء الأقطار الإسلامية إلى أصولهم البعيدة التي كانت شعوبهم تنتمي إليها قبل الإسلام أو إلى سلالاتهم الأولى من عهد سام وحام ويافث وهي دعوى خاطئة تسلفت إلى فكرنا المعاصر من الغرب المستعمر كما تسلفت إليه قبلها فكرة السامية التي ألقى اليهود بذرتها في العصور الوسطى (٣) .

(١) د . محمود السعران : علم اللغة : ص ٢ ، ٣ + ص ٢٦ ، ص ٣٦

(٢) الرازى : أساس التقديس : ص ٧ س ٥ ، ص ١٤ س ٢ ، ص ٩ س ٢ من

أسفل ، ص ١١ س ١٠ ، ص ١٢ س ٢ ، ص ١٣ س ٣ ، ص ١٤ س ٦

ص ١٥ س ١٠ ، س الأخير ، ص ١٦ س ٦ ، ص ٣٢ س ٩ .

(٣) د . عائشة عبد الرحمن : لغتنا والحياة : ص ٧٦

ومن ثم فلم يكن هناك بد من التعرف على ظروف المصطلح بما هي مقاصد وبما هي تحديد لفترة تحوّل دلالي وفق جهة من الجهات داخل إطار معين .

وقد أولى العرب درس المصطلح اهتماما بما هو لون من التحديد يتصل بتغير مدلولات الألفاظ نجده مجتمعاً لدى الفارابي ٣٣٩ هـ في إحصاء العلوم ^(١) وابن النديم في الفهرست ٣٨٥ هـ والخوارزمي ٣٨٧ هـ في مفاتيح العلوم ، والسكاكي ٦٢٦ هـ في مفتاح العلوم والسيد الشريف الجرجاني ٨١٦ هـ يعقد كتاب التعريفات معجماً يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والمتكلمين والنحاة والصرفيين والمفسرين ، ويعرض النووي في تهذيب الأسماء واللغات للبحث في المصطلحات الشرعية في الجزء الثاني ، وأبو البقاء الحسيني الكوفي ١٠٩٥ هـ في الكليات والتهانوي في كشف اصطلاحات الفنون .

وما كتاب دلائل لإعجاز سوى بيان لظروف مصطلح وما قد لابسهُ هو بمثابة تحقيق لما عناه العرب بكلمة اللفظ يسهب صاحبه في المقدمات ، ويلفّ وينشر ليمهد الطريق أمام مصطلح آخر يجد في تناوله ويبحث عليه ويغري به فكشف عن أسباب تشيعهم لمصطلح اللفظ وإسرافهم في ذلك فأنكروا المعاني ذلك « أنهم لم يبلغوا في إنكار هذا المذهب ما بلغوه إلا لأن الخطأ فيه عظيم وأنه يفضي بصاحبه إلى أن ينكر الإعجاز ويبطل التحدي من حيث لا يشعر وذلك أنه إن كان العمل على ما يذهبون إليه من أن لا يجب فضل مزيّة إلا من جانب المعنى وحتى يكون قد قال حكمة أو أدبا واستخرج معنى غريباً أو تشبيها نادراً فقد وجب طرح جميع ما قاله

(١) أبو نصر محمد بن محمد ٣٣٩ هـ . وهناك لغويان : أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم ابن حماد الجوهري ٣٩٨ هـ له معجم الصحاح .

الناس في الفصاحة والبلاغة وفي شأن النظم والتأليف وبطل أن يجب بالنظم فضل وأن تدخله المزية وأن تتفاوت فيه المنازل ، وإذا بطل ذلك فقد بطل أن يكون في الكلام معجز (١) .

وذلك واضح من أن الصفات التي يحرونها على اللفظ إنما هي لمعناه (٢) إذ اللفظ دليل ومن ثم فإنهم « جعلوا كالموا ضعة بينهم أن يقولوا اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصة التي حدثت فيه ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال وذهب الشيخ

وضرب من التصوير » (٣) .

والرازي يتحدث في أساس التقديس عن دلالات الألفاظ التي تحتاج إلى تأويل وهو بمثابة تحقيق لمعاني ألفاظ منها ما ورد في القرآن مثل : النفس ص (١١٤) + اللقاء ص (١١٨) + النور (١١٩) ، الحجاب ص (١٢١) القرب ص + (١٢٣) + المجيء والنزول ص (١٢٤) + الوجه ص (١٤١) العين ص (١٤٨) + اليد (١٥١) + القبضة (١٥٩) اليمين (١٦٢) + الجنب والساق ص (١٧٠) + الحياة (١٧٩) ومنها ما لم يرد في القرآن وإنما حملته الآثار مثل الصور ص (١٠٢) + (١٠٢) + الشخص ص (١١٣) + الخروج والبروز والتجلي والظهور ص (١٣٨) + النفس ص (١٥٠) + الاصبع ص (١٦٥) الكشف ص (١٦٤) + الضحك ص (١٧٥) الفرح ص (١٧٨) .

(١) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ١٩٨ س ١٤

(٢) المصدر السابق : ص ٥٠ + ٢٠٦ ص ٣ + ص ٣١٣ س ٥ من أسفل + ص

٣٦٩ س ٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٦٨ س ١٧

وحظي الحديث بمصطلح كان لهم فيه إفرادات حتى إن هذه الكرامة لو أطلقت لم تنصرف إلا إلى هذا العلم ، ومما لهم ما أسماه الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوي ٦٤٢ هـ - « مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث » ، وما عقده الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ بعنوان « نخبه الفكر في مصطلح أهل الأثر » .

وأفردت مصطلحات الصوفية بالتأليف ونالت قسطا كبيرا من التعريف والتفسير فأبو نصر السراج الطوسي ٣٧٨ هـ يعقد في كتابه « اللمع » كتابين عن البيان عن المشكلات بما هو باب في شرح الألفاظ الجارية في كلام الصوفية والآخر عن تفسير الشطحيات والكلمات التي ظاهرها مستشنع وباطنها صحيح مستقيم^(٢). وللقشيري ٣٦٥ هـ رسالته في علم التصوف ، وقد شرح لنا فيها خمسين مصطلحا من لغة الصوفية مبينا دلالتها عندهم فمن ذلك : الوقت والمقام والحال والقبض والبسط ، والهيبة والأنس ، التواجد والوجد والوجود ، الجمع والفرق وجمع الجمع إلى غير ذلك^(١). ومثال ما شرحه : الشريعة والحقيقة إذ يقول : « الشريعة أمر بالإنزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول . وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر . . . »^(٣) ذلك أنه قرر « من المعلوم أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها انفردوا بها عن سواهم تواطئوا عليها لأغراض

(١) الطوسي : اللمع : ص ٤٠٩ - ٤٥١

(٢) القشيري : الرسالة القشيرية : من ص ٣١ إلى ص ٤٥

(٣) المصدر السابق : ص ٤٣ س ٧ + انظر : الجرجاني : التعريفات : ص ٧٩

لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم بإطلاقها ، وهذه الطائفة مستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والاجماع والستر على من باينهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غير منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها » (١) .

وإلا فمن يستطيع أن يشرح لنا عبارات ابن سبعين ؟؟ .

ولمحيى الدين بن عربي ٦٣٨ هـ رسالة في هذه المصطلحات التي وردت في كتابه : « الفتوحات المكية » ، وهي منشورة ضمن التعريفات .

وكان للدرس المحدث جهد لا سبيل إلى ملاحقته . . . حفني ناصف ١٣٣٨ هـ يضع « الأسماء العربية لمحدثات الحضارة والمدنية » (٢) بما هو لون من تحمیل الكلمة دلالة معينة ، وتجد الفيلسوف الفرنسي سارتر يكشف عن تصورات التي ضمنها كلمة الوجودية (٣) .

و د . عثمان أمين يبذل محاولات في سبيل تأصيل مصطلحة «الجوانية والبرانية» اهتماما به ودعوة إليه (٤) . وتجد قاموس علم النفس للدكتور

(١) القشيري : الرسالة القشيرية : ص ٣١ س ٦ + ط ٧٢ : ص ٥٢ + اب—
خلدون : المقدمة : ص ٣٧١ س ٦ من أسفل . وانظر ص ٦٥ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) طبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦ م .

(٣) سارتر : الوجودية مذهب إنساني : ترجمة د. عبد المنعم الحفني — مطبعة الدار المصرية ١٩٦٤ م + انظر : د . عفيف بهنسي : مقال « مذهب الوجودية » مجلة العربي العدد ١٠٨ — نوفمبر ١٩٦٧ م .

(٤) د . عثمان أمين : الجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة — دار القلم + انظر فلسفة اللغة العربية — الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر — نوفمبر ١٩٦٠ ص ١٤٤

حامد عبد السلام زهران وقاموس المصطلحات الحقوقية والتجارية للممدوح حتي . وموجز القاموس الاقتصادي - معرباً عن الروسية لمصطفى الدباس وجهود محمود تيمور التي توقفت بتوقف أنفاسه . والروحية خلفت لنا مصطلحات مثل الطرح الروحي Projection والاكتوبلازم Ectoplasm وهي المادة التي تقوم عليها كل الظواهر الروحية مثل الجلاء البصري Clair voyance والجلاء السمعي Clair Audiance والصوت ، المباشر Direct voice والمجلوبات Apports والتجسيد Materialization^(١) .

وتجده متفرقاً في دراسة القراءة القرآنية التي تلقى ضوءاً على حياة الكلمة ومن آثار هذا الضوء ما كان لتمييم من عنعنة ولقيس من عجرفية ولأسد من كشكشة .

ولقد حظي حديث سبعة أحرف بكلام كثير لدى ابن قتيبة في مشكل القرآن والقاضي أبي بكر في الانتصار والرازي في اللوائح وابن جرير في جامع البيان وابن الجوزي في النشر وابن حجر في فتح الباري وجفري في المقدمتين^(٢) ومالك في الموطأ^(٣) والقسطلاني في إرشاد الساري^(٤) ومسلم في صحيحة^(٥) ومنهم من دفع الحديث شأن محمد جواد البلاغي في آلاء الرحمن بتفسير القرآن قدامى ، وكان للمحدثين أيضاً تناولهم له^(٦) .

(١) د . ج . ب راين : العقل وسطوته - ترجمة د . محمد الخلوجي مطبعة السعادة + انظر : جمال الدين حسن حسين - الروحية في التراث الإسلامي .

(٢) المباني : ص ٢٠٧ + ابن عطية : ص ٢٦٨

(٣) مالك : الموطأ : ج ١ ص ٢٠١

(٤) القسطلاني : إرشاد الساري : ج ٧ ص ٣٠

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي : هامش الجزء الخامس من القسطلاني ص ١٢١

(٦) د . السيد أحمد خليل : دراسات في القرآن : ص ٣٧ + انظر : فضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون : الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان .

ودعاهم البحث في الناسخ والمنسوخ للكلام عن الوحيين المكي والمدني
إذ اللفظة الواحدة يختلف معناها باختلاف الوحيين اتساعا مرة وضيقا أخرى
بما هي خصائص تعبيرية (١) .

وفي الكتب التي عنت بالحديث عن اللحن ، ومتفرقات « في الفصول
التي يعنى فيها المؤلفون بالكلام عن السرقات الشعرية مثلا نرى مجالا
للكلام عن الفرق بين لفظ ولفظ في الدلالة على نفس المعنى » (٢) .

ولدى الشهرستاني ٥٥٨ هـ إذ عقد حديثا في تفسير ألفاظ يحتاج إليها
المنطقي مثل : الظن - العلم - العقل - الذهن - الذكاء - الخدس -
الحس - الذكر والخيال والفكر والصناعة والحكمة (٣) .

وحزمة فتح الله ١٩١٨ هـ يعتد المقصد التاسع في اصطلاحات الكتب
اللغوية المتداولة وشرح بعضها لسهولة مراجعتها (٤) .

وتجد لدى الدكتور زكي مبارك « المبتذل والطريف في التعابير
الأدبية » (٥) ومحاولته تأريخ بعض التعبيرات (٦) .

(١) أبو القاسم هبة الله ابن سلامة الضرير المفسر ٤١٠ هـ - الناسخ والمنسوخ من

القرآن خ تحت رقم ج - مكتبة محافظة الاسكندرية + انظر عبد الوهاب خلاف

مجلة الأزهر : أكتوبر ١٩٥٤ - « آيات القرآن التي قيل إنها منسوخة » ص ٣٤٨

(٢) د . سهير القلماوي : « العالم بين دفتي كتاب » - دراسات في القراءة - ترجمته

بتصرف وأضاف إليه من كتاب الفريد ستيفرود مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م

ص ٤٢ س ١٢

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل - ج ٣ ص ١٦

(٤) حزمة فتح الله : المواهب الفتحية : ص ٦٤ - ٩٢

(٥) د . زكي مبارك : النشر الفني في القرن الرابع - الطبعة الثانية مطبعة السعادة بمصر

ج ١ ص ٤٨٠ .

(٦) المرجع السابق : ص ٣٢٦ وما بعدها .

والدكتور محمد زغلول سلام قام بعقد حديث عن مصطلحات الصوفية في كتابه الأدب المملوكي بما هو ترد يدلما ورد لدى السابقين ، والدكتورة عائشة بنت الشاطيء تعقد إحصاءات مختلفة في كتابها « لغتنا والحياة » بما هو حديث عما يمكن أن يسمى لدينا بالنقاء اللغوي الذي دفع إلى تناوله تلك المخالطة اللغوية بين الألسن فكان هذا الجهد الذي بذل استقصاء من علماء العربية كأبي منصور الجواليقي في المغرب والشهاب الخفاجي في « شفاء الغليل فيما في ألفاظ العربية من الدخيل ، وجلال الدين السيوطي في الباب الذي عقده بالمرزهر لما أخذت العربية من اللغات الفارسية والسريانية والعبرية والرومية والحبشية والقبطية ^(١) .

وإن كانت هذه الكتب فيها التحديد الدلالي الذي نتحدث عنه فإن الخفاجي تحدث عن اختراعات المصنفين ^(٢) وما استعمله المتأخرون ^(٣) والصحيح الذي لم يعرف اشتقاقه ^(٤) وما حدث بعد العصر الأول ^(٥) كما لم يفته التأريخ ما أسعفه القلم مثل تأريخه لكلمة صوفى ^(٦) إلى غير ذلك .
هي جهود توفروا عليها وصرفوا عنايتهم إليها .

وهنا يبرز السؤال : أي دور يمكن أن تقوم لنا بأدائه المعاجم في اكتناه الدلالة ؟

(١) د . عائشة عبد الرحمن : لغتنا والحياة : إنظر ص ٣١ ، ٧٩ ، ١٤٥

(٢) الخفاجي : شفاء الغليل : ص ٧٠

(٣) نفسه : ص ٧٧

(٤) نفسه : ص ٨٢

(٥) نفسه : ص ١٠٩

(٦) نفسه : ص ١٢٣

هي في حقيقتها اللون الأسبق لدينا من هذا التحديد في محاولة كان لها من النتائج ما لا يحمد للدلالة اللغوية غالبا .

والمعجم ضرب من الإحاطة صرف إليه النظر سيادة المنطقية في اللغة ولأريب ، في أن ثمت صراعا خفياً قد دار يكشف عن جانب منه مايرسله أحمد بن فارس ٣٩٥ هـ منكر الإحاطة فيما قرره إذ يقول : « كلام العرب أكثر من أن يحصى » ^(١) ، وينقل عن بعض الفقهاء : « كلام العرب لا يحيط به إلا نبي » ^(٢) ، بيد أنه لم يعد في إرساله الجانب النظري فقد نسب له « مقاييس اللغة » و « المجمل » عملا معجميا ، والأنباري ٥٧٧ هـ يبين « أن الألفاظ كثيرة غير محصورة وأن السؤال عن أعداد جميع الألفاظ والكلمات الدالة على جميع المسميات مما لا يمكن إدراكه فهو سؤال فاسد لا يستحق الجواب » ^(٣) وقرّر : « فإن كان مما لا يمكن إدراكه مثل أن يسأل عن أعداد جميع الألفاظ والكلمات الدالة على جميع المسميات كان فاسداً لتعذر إدراكه فلا يستحق الجواب » ^(٤) .

وأيّا ما كان الأمر فإنّ اللغة باعتبار ألفاظها الخلايا الحيّة في الكيان اللغوي تنفر من هذا الإخضاع وتستعصي عليه ، والتحليل بعقليته الرياضية يتحدث عن الصور العقلية الممكنة للنطق وما ورد وما لم يرد ونتج عن هذا المهمل الذي لم تستخدمه العرب .

وكان لهم من المعاجم رسائل صغيرة كانت أو معاجم كبيرة مايرجم التيارات المختلفة - تنوعاً وتعدداً - التي واكبت فترة الجمع اللغوي فمن

(١) ابن فارس : الصحابي : ص ٤ س ١ ، ٢

(٢) المصدر السابق : ص ١٨ س ٣

(٣) الأنباري : اللمع : ص ٩٩ س ٨

(٤) الأنباري : الاغراب : ص ٤٥ س ٨

معاجم ألفاظ نحو « الجمهرة في اللغة » لابن دريد ٣٢١ هـ ، و « التهذيب » لأبي منصور الأزهري ٢٧٠ هـ و « المحيط » للصاحب بن عباد ٣٨٥ هـ ، و « الصحاح » للجوهري ٣٩٣ هـ و « أساس البلاغة » للزمخشري ٥٣٨ هـ ومقدمة الأدب ^(١) والمفردات الطبية كالمفردات لابن البيطار ، وتذكرة أولي الألباب والجامع العجب العجيب لداود الضرير الأنطاكي ، ومعاجم الأسلوب كجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر والألفاظ الكتابية للمهداني.. إلى معاجم معان وهي قائمة على أساس رأي لا يرى الترادف ووجود الفروق اللغوية نحو « الفروق اللغوية » والمعجم في بقية الأشياء للمسكري ٣٩٥ هـ و « فقه اللغة وأسرار العربية » لأبي منصور الثعالبي ٤٣٠ هـ و « المخصص لابن سيده ٤٥٨ هـ ومعاجم صيغ نحو الفاخر للضبي ٢٩١ هـ إلى معاجم تخلو من طرافة أشار إليها الرافعي ^(٢) ومحمد أحمد جاد المولى ^(٣) نحو « المداخل » وحل المداخل للباوردي ٣٤٥ هـ ^(٤) ونحو « شجر الدر » لأبي الطيب اللغوي ٣٥٠ هـ و « المسلسل » للأشتر كوني ٥٨٥ هـ وصلتنا أم عفا أثرها نحو العباب للمصاغاني .

وسبب نشأتها تعددت فيها الآراء وتباينت في الكشف عنها مسائلك النظر بتفاوت مذاهب الدارسين ، بيد أن القول بخدمتها القرآن ليس من دقيق القول إذ إنهم استخدموا الغريب . والعناية بالنص القرآني إنما كانت عن طريق المعاجم الخاصة به عارضة لطريق القرآن في التعبير واستعمال اللفظة ، والتفنن المعجز في هذا الاستعمال مثل المفردات في غريب القرآن

(١) انظر : مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٣ ص ٢١٠ .

(٢) الرافعي : تاريخ آداب العرب : ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية : ج ٣ ص ٣١٢ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٨ ص ٢٣٢ س ٨ .

لأبي القاسم الحسين الراغب الأصفهاني ٥٠٢ هـ وقاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للفقيه الدامغاني (١) .

وكانت في المعاجم مطاعن عامة ومغامز خاصة ، وليس أدل على عدم إيفائها على الغاية من هذه الكثرة الكاثرة التي بها تزخر مكتبتنا العربية فهي يتلو بعضها بعضاً ثم ما يعقبها من دراسات تصحح هنات لما جاء فيها نحو هذي الجهود التي بذلها أحمد تيمور في تصحيح لسان العرب وتصحيح القاموس المحيط ، وهي تنبيهات على ما وقع من الأغلاط في نسخة القاموس المحيط المطبوعة ببولاق ١٣٠٣ هـ (٢) وعبد الستار أحمد فرج في تصحيحات لسان العرب (٣) ومحمد عبد الجواد في « هواجس لغوية » (٤) وتنبيهات اليازجي على محيط المحيط - لبطرس بن بولس بن عبيد الله البستاني بيروت ١٣٠٠ هـ (٥) ونقده أيضاً للشرتوني صاحب أقرب الموارد والأب أنستاس الكرمل ، والحاسوس على القاموس لفارس الشدياق ، أو تستدرك سقطات لما فاتها نحو ما أكمل به إبراهيم الإبياري ومعه عبد الحفيظ شبلي تحقيقهما لنص « المعجم في بقية الأشياء » زيادة (٦) مثال العلاقة بمعنى

(١) دار العلم للملايين - بيروت .

(٢) أحمد تيمور : تصحيح القاموس المحيط : الطبعة الأولى : القاهرة ١٣٤٣ - مطبعة السلفية .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية : ج ١٢ ص ١٧١ + ج ١٣ ص ١٧٧ + ج ١٥ ص ٥٧

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية : ج ١٣ ص ١٩٢ .

(٥) جمعها ورحل رموزها دكتور سليم شمعون وجبران النحاس ١٩٣٣ مطبعة صلاح الدين الاسكندرية .

(٦) المعجم في بقية الأشياء - الطبعة الأولى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م ص ٢٣ س ٥ من أسفل .

بقية نصيب^(١) واستدراكا لمعان أخرى للفظ^(٢) مثال شروح الأقفال الذي لم يخن^(٣) ، وما سجله عبد القادر المغربي من كلمات فصيحة لم تودع المعاجم^(٤) ، وما ذيله عبد السلام هارون لتحقيقه الأصمعيات والاشتقاق بالحروف التي لم ترد بالمعاجم ، والسيد عبد الله العلايلي « مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع بالمعجم الجديد^(٥) » .

ومن ثم كان عمل المعاجم بإيراد معان للألفاظ يتسم بالتقصير ، بله القصور وما المعجم سوى ترجمة الثقافة التي كانت تعم العصر ممثلة في استخداماتها من خلال شخصية الكاتب ، وهي تعطينا الأساس الثابت الذي تنفرع منه المعاني الثانوية والظلال التي يركز على جانب منها فتصير اصطلاحا عاما أو خاصا ..

وليس من اليسير معرفة ظروف كل مصطلح والعوامل المسبقة التي دفعت إلى القول به والأخذ له ضيقا واتساعا ما لم ينص على ذلك خاصة فيما لا يمس مقدرات هذا المجتمع أو ينال من إطاره ، وقد تحدثوا عن

(١) المصدر السابق : ص ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤ س ٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ١١٤ .

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية : ج ٣ ص ٢٩٠ س ٨ + ٩ .

(٥) انظر تعليقات أمين الخولي : محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية : ص ٩٨ ، مجلة مجمع اللغة العربية : ج ١١ ص ١٤٨ . وانظر إبراهيم محمد نجا : المعاجم اللغوية مطبعة السعادة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م ص ٢٥ + ص ٦٧ + ٨٠ + ٩١ + ١١٣ + ١٣٤ + ١٤٥ + ١٦٢ + ١٨٠ + ١٩٢ + ١٩٧ + فقه اللغة العربية مطبعة السعادة ١٩٦١ هـ - ٢ ص ٤٠٥ .

صعوبة مصطلحات سيبويه قديماً وحديثاً في مثل قوله « باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور » (١) .

بيد أنه من المؤكد أن هناك مثل ما قرره سيبويه «لأننا جهلنا ما علموه» (٢) ، ونحن بهذا الاعتذار أولى إزاء هذه الكثرة المرهقة ، لم يكن بد من كشف النقاب عن شيء منها ما أسعف القلم إذ هي في درسنا :

مفتاح لفهم كتب إسناداً ، وهناك إشارات تعين على ذلك نصا لدى كاتب معين على كتاب أو آخر ، عبارات ترمز لأشخاص لا يفصح عنهم أو ما إلى ذلك مما هو معن ، قد ينص على ذلك صنيع الصبان « وحيتث أطلقت شيخنا فمرادي به شيخنا العلامة المدابغي ، أو قلت شيخنا السيد فمرادي به شيخنا المحقق السيد البليدي ، أو قلت البعض فمرادي به الفهامة الفاضل سيدي يوسف الحنفي » (٣) وقد لا ينص بل يوجد في درج كلام فالشيخ إذا أطلق أو الرئيس فهو أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري ٣٧٠ هـ — ٤٢٨ هـ (٤) أما الأستاذ فهو الإسفراييني ، والإسفراييني أبو إسحاق دون غيره ، وصاحب اللباب هو أبو حامد الإسفراييني ٦٨٤ هـ (٥) ، وبعض مدعي العلم من أهل البصرة لدى الطبري يعني أبا عبيدة

(١) سيبويه : الكتاب : ط هارون : ج ١ ص ٣٨٤ ، ص ٣٣ من المقدمة .

(٢) سيبويه : الكتاب : ط بارييس . ج ١ ص ٢٢٨ س ٢٠ ، ٢١

(٣) الصبان : حاشية علي الأشموني : ج ١ س ٢ س ١١ .

(٤) حاشية الصبان على الملوي : ص ٦٣

(٥) بالمقارنة وصلنا إلى هذا في بحثنا (الإسفراييني ومنهجة في درس النحو) فما في

خزانة الأدب طبعة السلفية مضاهها به ما في الباب (خ) نجد أن : ص ٢٨٦ ج ١
١ نص ما في ص ٢٤٤ ، ص ٣٤٠ ج ٢ نص ما في ص ١٧٥ + ص ١٥٨ س =

٢٠٩ هـ (١) وأما سمعت الثقة لدى سيبويه فيريد به أبا زيسد الأنصاري
 سعيد بن أوس ٢١٥ هـ (٢) وإن قال : قال غيره فإنما يعني نفسه (٣) وحيث
 الإسناد مبهم فهو عن الخليل (٤) .

أو لمعرفة طريقة من الطرائق أو أسلوب من الأساليب ، فابن رشيق
 يبين لنا أنه « وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم ، وتحلو في أفواههم فهم
 كثيرا ما يأتون بها زورا نحو ليلي وهند وسلمى ودعد ولبنى وعفراء
 وأروى وريتا وفاطمة ومية وعلوة وعائشة والرباب وجمال وزينب ونعم
 وأشباههن . . . ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي ، أنشد الأصعي :

وما كان طربي جبهتا غير أنه يقام بسلمى للقوافي صـدورها

وأما عزة وبثينة فقد حماهما كثير وجميل حتى كأنما حرما على
 الشعراء (٥) .

أو لفهم موضوع لمعرفة تناولهم له وحكمهم عليه وهو فرع عن

= ٧ ج ٤ نص ما في ص ٢١٨ . . . وانظر السيوطي : معجم الهوامع ٩١١ هـ ط

أولى ١٣٢٧ هـ ج ١ ص ٣ + ص ٢٤٧ س ١١ والألوسي : الضرائر ومايسوغ

للشاعر دون الناثر ط السلفية ص ٣٤ ، ١٩٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٩

(١) د . السيد أحمد خليل : مصر في تاريخ النحو ٦٥ - مجلة كلية الآداب ٥٩

(٢) ياقوت : معجم الأدباء : ج ١١ ص ٢١٥ س ٧

(٣) سيبويه : مقدمة المحقق هارون : ص ٦ ، ٧

(٤) نفسه : ص ٢٥ س ٢ .

(٥) ابن رشيق : العمدة ج ٢ ص ١١٦ س ٥ .

تصوّر والناظر في النحو مثلاً لا يجد في مصطلح سيبويه المعهود والمشهود والموعود لدى الخليل بن أحمد ١٧٥ هـ ومن يمكن تلقيبهم بالنحويين القدماء^(١) فقد قال الخليل : فعل له معهود ومشهود وموعود قال : مشهود يقول هو الساعة والمعهود ما كان أمس والموعود ما يكون غدا^(٢) تقسيماً زنياً لم يعرض له أبو بشر سيبويه ١٨٠ هـ ، ولذا فإن القول بأن سيبويه صورة لنحو الخليل ليس من دقيق الحكم ولم نجد لها ذكراً فيما قرأناه لمن تحدثوا عن سيبويه بينما نجد الماضي والمضارع والمستقبل ، ومن ثمّ فهي كما سبق التقرير تحمل دلالة البيئة العلمية والفترة الزمنية وتكشف عن التصوّر وتسوغ الحكم ، ولعل ذلك يبدو واضحاً في مصطلح مثل القدماء والمحدثين وما استتبعه من جسد دار ولم يكن ذلك إلا « لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت بحاجة »^(٣) وسيبويه لم يعتمد على غير العرب الموثوق بهم أو نحو ذلك^(٤) لأنّ هناك من العرب من خالط^(٥) وأحكامه بالعربية جودة وكثرة^(٦) ما دام الأمر لفظياً ، ولذلك فإنه يستشهد بما يأتي به المولدون في المعاني^(٧).

-
- (١) السيوطي : همع الموامع : ج ١ ص ١٢٨ س ١٣ .
 (٢) ابن منظور : لسان العرب ط بولاق ١٣٠٠ هـ - ج ٤ مادة عهد ص ٣٠٨ س ١٤
 (٣) ابن رشيق : العمدة : ج ١ ص ٧٣ س ٢ من أسفل .
 (٤) سيبويه : الكتاب : باريص : س ١٨٩ أس ٢١ + ص ١٩٤ س ٢ ، ص ٢٤٤ س ٩ ، ص ٢٤٩ س ٦ + ص ٢٥٣ س ٢٠ .
 (٥) الخفاجي : سر الفصاحة : ص ١٢٢ وما بعدها .
 (٦) سيبويه : الكتاب : هارون . ص ٣٤ س ١٢ ، ص ٨٠ س الأخير ، س ٨٢ س ٩ .
 (٧) ابن رشيق : العمدة : ج ٢ ص ٢٢٤ .

ولننظر إلى مصطلح قديم هو مصطلح « الحسن والقبح العقليين » لنرى كيف أن عدم معرفة ظروفه والعوامل المسبقة ينتجم عنها كثير من الخلط في إرسال الأحكام وفق تصور الباحثين على اختلاف مداركهم وتباين ثقافتهم إما اجتزاء ولعله « يكون هذا الذي فاته سببا في عدوله عن رؤية لو اطلع عليه ، لأن فيه من الحقائق ما غاب عنه ولم يدخل في تقديره » (١) ، وإما استحسانا فيما نلمسه لدى السيوطي في رسالته التعظيم والمنّة في أن أبوي رسول الله في الجنّة إذ إن الأصوليين المستنّة أجمعت على أن شكر المنعم ليس بواجب عقلا خلافا للمعتزلة الذين ذهبوا إلى ذلك بيد أن ثمة فريقا من الشافعية وافق على هذه القاعدة قائلا « بأنهم لم يكن لهم قدم راسخ في الكلام وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة وهي شكر المنعم واجب عقلا فذهبوا إليها غافلين عن تشعبها عن أصل المعتزلة مع علمنا بأنهم ما اقتحموا مسالكهم وما تبعوا لمقاصدهم » (٢) وينقل عن ابن السبكي : « وعلى مسألة شكر المنعم يتخرّج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجيا ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام » (٣).

والناظر إلى قاعدة شكر المنعم وأنه واجب بالسمع لا بالعقل قد ينكرها ويشغف حبا بأنه واجب عقلا هذا إن لم يكن ثمة مصطلح — لأن قاعدة شكر المنعم مرجعها إلى قاعدة كلامية هي قاعدة التحسين والتقيح العقليين ،

(١) د . محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية : ص ٧١ س ٥ وانظر : د شوقي ضيف : كتاب البحث الأدبي : ص ٢٣٩ س ٥ من أسفل ، ياقوت : معجم الأدباء : ج ٣ ص ١٢٥ وانظر ص ١٥ من البحث .

(٢) السيوطي : التعظيم والمنّة : ص ٢٨

(٣) المصدر السابق : ص ٢٩

وإنكارها متفق عليه من الأشاعرة كما هو معروف في كتب الكلام والأصول (١).

بيد أن ما أسلفنا يوهم بأن هذا خطأ لأنه لا شيء يحمل دلالة ذاتية كما تقرر (٢) فكيف يكون الحسن والقبح عقليين ؟ وهل يفوت مدرسة الفكر ما سطرنا . وهم حماة وذادة ، دعاة وقادة ؟ ولم أرسلت المعتزلة هذا المصطلح ؟ ذلك ما قد يكشف عن جانب منه ابن الجوزي في نقده لاتصاله بردهم على مزاعم الخوارج (٣).

ومصطلح التأويل ، رأينا ما كان فيه من خوض ، وتعجب أناس من الرازي المتسئن مؤولا بيد أن ابن تيمية يوضح لنا أن التأويل ثلاثة معان فهو في عرف المتأخرين : صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترب به وهو الذي تنازعه المتنازعون. أما لدى السلف فله معنيان : أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التفسير والتأويل متقاربين وهذا ما جرى لدى مجاهد والطبري . وثانيهما نفس المراد بالكلام فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله الفعسل المطلوب ، وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به (٤) .

(١) السيوطي : السبل الجلية : ص ٣ س ٨ + السيوطي : مسالك الخنفا : ص ٤ س ٤ ، ص ٩ س ٢ + انظر ابن المنير : الانتصاف : ج ١ ص ٢٩ + ص ٣٩٥ س ١٠

(٢) انظر ص ١٨ وما بعدها من هذا البحث .

(٣) ابن الجوزي : فقد العلم والعلماء : ص ٩٦ س ١٢

(٤) ابن تيمية ٧٢٨ هـ : مجموعة الرسائل الكبرى : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح : ج ٢ ص ١٧ س ١٢ ، ابن الجوزي : نقد العلم والعلماء : ص ٨٨ س ١٠

وعلى ضرء هذا كّله نرى أنه من الضروري في المصطلح وضع
خطّ فاصل بين الكلمة في اللغة ، ثم الكلمة في المصطلح ثم ما بعد
المصطلح نفهم عن طريقه إرادة المتكلم بما هي ظروف المصطلح .

ولعل صعوبة المصطلح تأتي من أن مدلولات الألفاظ إنما هي ألفاظ
أيضاً ^(١) « تحتاج إلى شرح وتطويل مفصل لكي يصبح في الإمكان استخدامها
بدقة » ^(٢) وهو أمر من الصعوبة بمكان ^(٣) .

وكانت اللغة بهذا المصطلح أساس الخلافات المذهبية والفرق الإسلامية
سواء أكانت في الفروع أم في الأصول ، وما نجم عنها من اضطرابات
أو بالأحرى صبغت التطور الذي مرت به الحياة الإسلامية والتي انقسمت
فيه على نفسها نتيجة ذلك إلى فرق في الاعتقاد والسياسة ، وكل منها يعتمد
على نص القرآن في تأييد ما يراه حقاً ، ودعم اتجاهه الذي يراه صواباً
إذ لا جدال في أن كلّ فرقة من هذه الفرق اتخذت من دلالات القرآن
سنداً لها ، وحجة على خصمها ، كان لها من آثارها بعيدة المدى في تغيير
المجتمع تقدماً أو تخلفاً ، تشييداً أو تخريباً ما هجرت به ألسنة المؤرخين ،
فما هي الإنتاج اضطراب المصطلح ^(٤) وفساد القرائن ، فمثلاً العقل له

(١) الرازي : مفاتيح الغيب : المسألة الخامسة والأربعون : ج ١ ص ١٤ س ٣ من
أسفل .

(٢) رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي : الفصل الثالث : س ٦٥

(٣) المرجع السابق : ص ٥٧ + ٨٢

(٤) الغزالي : المستصفى : ج ٢ ص ١٩١ س ٤ ، انظر : ابن فارس : الصحاح :

احترامة عند كل الفرق ، ولكن اختلاف تصوّر الاصطلاح هو سبب الفُرقة ، مما بينا طرفاً منه في المسالك .

ومن ثمّ كانت إشارة عبد القاهر لطبقات من الناس يتداولون بينهم ألفاظ القدماء . وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنى أصلاً ، أو يستطيعوا إن يسألوا عنها أن يذكروا لها تفسيراً يصح^(١) وكان تضليل المصطلح الذي تحدّثوا عنه بدءاً من الجاحظ إلى ما نحن بصددّه^(٢) .

ومهما يكن من شيء فإنّ معرفة الغرض من المصطلح والتعرّف على ظروفه تجعلنا نشرع نيسر كثيراً من الأمور اليوم – هي وسائل لما وراءها في مجال النحو واللغة ، مثلاً « وضعوا قيود الغايات ، ومضت الغايات وبقيت القيود^(٣) ، فضلاً عما سيكون من حسن تصوّر فصائب حكمهم ..

ومن هنا يعطي الكلام قياده للتجديد الذي تتشوّف إليه النفوس ومن هنا نرى ارتباط التأويل بالمجاز بما هو مظنة «إكساب العربية مرونة وتجديداً

(١) عبد القاهر : الدلائل ص ٣٥٠ س ٩ وانظر : مصطفى بدوي : كولردج : ص ٣٠ س ١٣

(٢) الجاحظ : الحيوان ج ١ ص ١٥٣ ، ص ١٥٤ + د . السمران : علم اللغة : ص ٦١ س ٥ ، ص ٦٣ س ١٣ ، ص ٨٧ + رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي : ص ٧١ + الرازي ، مفاتيح الغيب : المسألة الأولى : ج ١ ص ١٧٢ س ٥ + الرازي ، مفاتيح الغيب : المسألة الأولى : ج ١ ص ١٧٢ س ٥ + المازني : حصاد الهشيم : ص ١٩٤ ، يرى : آفاق القمة : من ص ١٣٣ إلى ص ١٤١ ص ٤٨٨ + أنيس المقدسي : التزمّت في النقد اللغوي : مجلة العربي : العدد : ١٢١ لسنة ١٩٦٨ ص ٤٣

(٣) ميخائيل نعيمة : مجلة الهلال ج ١٢ من المجلد ٦٠ - نوفمبر ١٩٥٢ مقال «طهروا اللغة العربية» .

في استحداث دلالات» (١) . كان لها من المسائل ما رأينا طرفاً منه خاضه المجتمع ، ونعرض لطرف مما عايناه الأفراد؛ فعن عدّي بن حاتم رضي الله عنه قال : لما نزلت « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود » عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، فقال إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار ، وفي التفسير قلت يا رسول الله : ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أهما الخيطان قال : إنلك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ، ثم قال بل هما سواد الليل وبياض النهار (٢) .

ومن المقرر في العرف اللغوي أن النجعة طلب الكلا ومساقت الغيث من أرض ، والإتيان طلب معروف من إنسان ، بيد أن ذا الرمة عانى من ذا حين أرسل بيته :

سمعت الناس ينتجعون غيشا فقلت لصيدح انتجعي بلالا (٣)

إذ إن بلال بن أبي بردة حين أنشد هذا الشعر قال : يا غلام ، مر لصيدح بقت من علف ، فإنها هي انتجعتنا وهذا من التعت الذي لا

(١) د . عائشة عبد الرحمن : لغتنا والحياة : ص ٢٠٧

(٢) الزمخشري : الكشاف : ج ١ ص ٩٠ ، القسطلاني : إرشاد الساري : ج ٤ ص ٤٣٧ س ١٣ ، الحلبي : إنبان العيون : ج ٢ ص ١٤٤

(٣) ابن منظور : لسان العرب ط بيروت : ج ١٠ ص ٥٠٩ + ج ٣٤ ص ٣٤٧ ، الزمخشري : أساس البلاغة : ط دار الكتب ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م ج ٢ ص ٤٢٤ + ابن عبد ربه : العقد الفريد : ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م ج ٥ ص ٣٣٣

لا إنصاف معه لأن قوله انتجعي بلالا، إنما أراد نفسه ومثله في كتاب الله تعالى « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها » ٨٢ ك يوسف ١٢ وإنما أراد أهل القرية وأهل العير .

وهي مسائل تخص القابل يلعب فيها الزمن — عناية اللغوي — دوره إذ الزمن له تأثيره وضوحا أو غموضا في المسالك إثباتا .

وله عبثه استحضارا أو ضياعا على القرائن موانع

وله نيله من الدلالة غرابة أودنوا بما هي مقاصد

ثم ما إلى جوار ذلك من مجتمعات لغوية تصوغ ، ومجتمعات مذهبية تتقبل .

ثم ما في طبيعة المجاز مقاصد (١) .

والمجاز في القيمة مظهر للمستوى الدلالي (٢) ويعكس طبيعة المعرفة التي تسود عصرًا ما، وأنه لفي مكتنتنا أن نعد المجاز مهربا باعتبار في التفسير والفهم ، أو توجيهها مسوِّغا نحو معنى معين خدمة لغرض أو آخر ، كما كان النسخ حكما لما لا يقوى المفسرون على توضيحه من تعارض بدا لهم .
والمحكم والمتشابه أداتا فهم ينتج عنها حكم أو أحكام أمست معايير إليها الفرق تحتكم وعليها تعول ، كل على شاكلته .

(١) د . السمران : علم اللغة : ص ٢١٠ ، عبد القاهر : دلائل الاعجاز : ص ٢٥٢
ص ١٠ + بيرى : آفاق القيمة : ص ٤٦٥

(٢) د . إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ : ص ١٢٧

« فالمعتزليّ يقول إن قوله « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ٢٩ ك الكهف ١٨ محكمة، وقوله : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ٢٩ ك التكويد ٨١ متشابهة، والسنيّ يقبل القضية في هذا الباب والأمثلة كثيرة »^(١)

وباعتبار آخر فإنه يدل على كبير قصور - وهو ليس بدعا - فما نلمسه اليوم من شيوع مصطلح حساسية - في مجال الطب البشري، وتلمسهم في تسميته « الشخصية السيكوباتية الجلمية مخرجا كلما ضاقت بهم الحيلة في التشخيص في مجال الطب النفسي^(٢) - دليل على ذلك وكلما تعافيت الأيام قل الشيوع . وتحدّد الذبوع ، لكن ضيق المسألة أو اتساعها لا ينفي وجودها ويعرض لذا الطبرى ٣١٠ هـ فيرد القول بنسخ كثير من الآيات موجها إياها مؤولا معانيها في مواضع متفرقة من كتابه^(٣) ، ويحكي مفاتيح الغيب صنيع الرازي صدد المحكم والمتشابه .

(١) الرازي : أساس التقديس : ص ٢٢١ س ١

(٢) د . صبرى جرجس مشكلة السلوك السيكوباتي ط - دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م ص ٢٨٧

(٣) الطبرى : جامع البيان : ج ٢ ص ٤٧١ س ٣ من أسفل + ص ٤٨٣ ، ج ٣ ص ٣٨٥ + ص ٦٣٥ ، ج ٤ ص ٥٨٢ ، ج ٦ ص ٥٤ + ١١٨ ، ج ٨ ص ٢٣٢ س ١ : ج ١ ص ١٣٥ س ٤ + ٣٣٣ س ١ ، ج ٢ ص ٢٧٣ س ١٢ : ج ١٣ ص ٥٤٧ س ٩ ، ص ٥١٨ س ١ من أسفل ، ج ١٤ ص ٤٢ س ٩ ، ص ١٤٠ س ١١ ، ص ٥٠٧ س ١١ ، الضنعاني : سبل السلام : ج ١ س ٢٢٥ س ٦ من أسفل .

وإذا كان قد جاز للأقدمين حصر العلاقات
في ثلاث بما هي جهات تجوز وتخصّ
المتج ، فمن الممكن لنا أن نحصر
وجوه الدلالة في الاعتبار والمشاكلة
تظهر فيهما آثار هذا التجوّز دلالة
وصياغة، وما ينبئ عليهما من قضايا.

الفصل الثاني

الإعتبار

إذ كان الأستاذ لتلميذه شارحا متبسطا معه مر كترًا له معلما إياه فما ينبغي أن يحكم عليه الحكم لو كان متحدثا مناقشا محاجّا .

والاعتبار أو المساق أو الإطار فيما نرمي إليه هنا شيء واحد ، وهو أمر له مكانه فإنّ للسياق حكمه وللإطار منهجه وللاعتبار حقه ، وآثرنا التعبير بالاعتبار لشيوع هذا اللفظ لدى القدماء في مناحي الدرس على تشعبها (١) .

من ذلك قولهم : « اعلم أن المركب التام المحتمل للصدق والكذب يسمى من حيث اشتماله على الحكم قضية ، ومن حيث احتماله للصدق والكذب

(١) الأنباري : الاغراب : ص ٦٤ س ٨ ، ص ١٠ ، اللمع : ص ٨٦ س ٢ ، ص ٩٥ س ٣ من أسفل ، ص ١٠١ س ١٣ ، ص ١٣٠ س ١١ ، ١٢ ، مقدمة ابن الصلاح : ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ + الشوكاني : فتح القدير ص ١٩ س ١٦ + حاشية الصبان على الأشموني : ٩٧ ، ٩٨ ، ١١١ + السيوطي : تبيين الصحيفة في مناقب الامام أبي حنيفة : ص ٥ س ٤ ، القزويني : متن التلخيص ص ٥٦

خبراً ، ومن حيث إفادته الحكم إخباراً ومن حيث كونه جزءاً من الدليل مقدمة ، ومن حيث يطلب بالدليل مطلوباً ، ومن حيث يحصل من الدليل نتيجة ، ومن حيث يقع في العلم ويسأل عنه مسألة ، فالذات واحدة واختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات (١) .

وهذا واضح لكن يغيب عند التطبيق ، فمسألة مثل مسألة الإعراب فرع المعنى أو المعنى فرع الإعراب ، فباعتبار المتكلم يضبط يكون الإعراب فرع المعنى وباعتبار القارئ يفهم حسب الضبط يكون المعنى فرع الإعراب ..

ومسألة مثل مسألة المعنى واللفظ ، فالمعاني «قوالب للألفاظ وإن كانت الألفاظ قوالب للمعاني أيضاً لأنّ كلا باعتبار فمن حيث ملاحظة المعنى أولاً والإتيان باللفظ على طبقه تكون المعاني قوالب ، ومن حيث فهم المعنى من اللفظ تكون الألفاظ قوالب » (٢) .

غاية الأمر ضرورة تحديد الاعتبار ، وتبيان معالم السياق وما إشارة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفت الناس عما سوى الشعر ، سوى تحديد لهذا الإطار « وكأن عمر بن الخطاب كان ينتظر بلمحظ الغيب حين دعا إلى طلب الشعر والبحث عنه والتماس الأسباب إلى تحصيله وجمعه إذ قال : عليكم بالشعر فإن فيه تفسير كتابكم فإنّ معارضة الألفاظ القرآنية بالشعر تحد من هذا التوسع ، وتنظم القول به وتدفع الغلو في تقديره عند فهم النص أو تأويله » (٣) .

(١) الجرجاني : التعريفات : ص ١٥٤ س ١٥

(٢) حاشية عطية الأجهوري : (على شرح محمد الزرقاني على منظومة البيهقيونية في المصطلح)

طبعة دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه ص ٧ س ١٢

(٣) د . السيد أحمد خليل : دراسات في القرآن : ص ٧١ س ١٥

وما محاولات الأصوليين اللغوية صدر كتبهم فيما يسمى بالمبادئ اللغوية لديهم ، وما ضبطهم للتأويل ووضعهم قانونا له أن كان متفرقا صنيع الشافعي ٢٠٤ هـ في رسالته ، والطبري ٣١٠ هـ في جامع بيانه ، أو مجموعا في رسالة صنيع الغزالي ٥٠٥ هـ في قانون التأويل ، سوى رسم للإطار وتحديد المعاملة ، وكان من ذلك تقصّيهم أسباب النزول على أن مرادهم منها أن الآية متضمنة هذا الحكم لعلها مقصورة على هذا السبب دون غيره ، ولعل الأصوليين عنوا ذلك حين قرروا أن « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » ^(١) ولأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب وقع اختلافهم في هذه الأسباب ، وعدّ هذا لونا من ألوان الحكم بأن الآية من المحكم لا من المتشابه ^(٢) .

ومن ثمّ كان رفض الرافضين لما يذهب إليه الصوفيون ، ووصف كلامهم في القرآن بأنه ليس بتفسير ، بله ما هنا لك لدى فريق من حساب الجمل ^(٣) .

وإذا كان هذا هو الإطار العام فقد وجدنا إطارا آخر داخله ذلكم هو الإطار الخاص إذ كان المفسر هو المبين عن مراد الله ^(٤) فقرروا أن الكلام « موجه معناه إلى مادل عليه ظاهره المفهوم ، حتى تأتي دلالة بيته

(١) الرازي : مفاتيح الغيب : ج ٢ ص ٩٤ + الشوكاني : فتح القدير : ج ١ ص ١٠٥ س ٦ من أسفل + ص ٢٧٥ س ٩ من أسفل + ج ٤ ص ١٧٨ س ٢ من أسفل .

(٢) الرازي : أساس التقديس : ص ٢٠ .

(٣) الرازي : مفاتيح الغيب : ج ٧ ص ٣٣٤ + السيوطي : الاتقان : ج ٢ ص ١٧٤ س ٢٠ .

(٤) الطبري : جامع البيان : ج ٤ ص ٨٣ س ٣ .

تقوم بها الحجة على أن المراد به غير مادل عليه ظاهره فيكون حينئذ مسلماً للحجة الثابتة بذلك^(١) و « غير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لادلالة على صحته »^(٢) والظاهر هو ما تعرفه العرب من كلامها، أما الباطن فهو ما يأتي بالاستنباط من الظاهر على طريق العرب في بيانها أيضاً ، ومن ثمّ فإن « تأويل القرآن على المفهوم الظاهر من الخطاب دون الخفي الباطن منه حتى تأتي دلالة من الوجه الذي يجب التسليم له بمعنى خلاف دليل الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن أولى »^(٣) ، « وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكلام إلى ما كان موجوداً مثله في كلام العرب ، دون ما لم يكن موجوداً في كلامها ، فموجود في كلامها « رأيت بمعنى عملت » ، وغير موجود في كلامها علمت بمعنى رأيت^(٤) . وعلى هدي من هذا استهجن ابن الجوزي ٥٩٧ هـ عبارات المتصوفة إذ إنه يقال يجب ولا يقال يعيش ويجب ، كما يقال يعلم ولا يقال يعرف^(٥) .

ولم يكن رسمهم لهذا الاطار سوى رسم لإطار خاص داخل الاطار العام نجد فيه النهي عن فهم المتشابه مع كونه ألفاظاً عربية وتراكيب مفهومة بحمل المتكلمين قول الله تعالى « والراسخون في العلم » على أنها عطف على « لا يعلم تأويله » بينما جعلوا قوله : « يقولون آمنا به » في موقع الحالية — وما ذلك إلا لأن الإطار اللغوي العام مرفوض تماماً^(٦) إذ للزمن

-
- (١) الطبري : جامع البيان : ج ٢ ص ٥٦٠ س ١ + ج ٣ ص ٣٧ س ١ .
(٢) المصدر السابق : ج ٢ ص ١٥ + ص ٦١ س من الأخير + ص ٥٤٧ + ابن حنبل : المسند : ج ٣ ص ٢٢٠ حديث ٢٣ . ٢ .
(٣) الطبري : جامع البيان : ج ٢ ص ٤٥٧ .
(٤) المصدر السابق : ج ٣ ص ١٦١ .
(٥) ابن الجوزي : فقد العلم والعلماء : ص ١٧١ س ٢ + الراغب : المفردات : ص ٤٩٥ .
(٦) الشوكاني : فتح القدير : ج ١ ص ٣١ س ٥ + ص ٣٢ س ٧ من أسفل .

أثره في المعنى غموضاً ووضوحاً بما عرف غرابته ، وإذ الدلالة تعزّ على
الحسن إدراكاً بما هو إشكال ، وإذ النص محتمل وهناك المرجحات بما
هو تشابه ، «الحقيقة الشرعية مقدّمة على الحقيقة اللغوية»^(١) لأن مجتمعتها
اللغويّ أولى بها من المجتمع اللغوي العام ، احترازاً عن الزيغ المقرر في
قوله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم
الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابهه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم
يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب»^٧ آل عمران
٣ ، وابتعاداً عن الظن^(٢) إذ الدلائل اللفظية لا تكون قطعية^(٣) وعلى هذى
كان موقف ابن حنبل^(٤) ذماً للتأويل والكلام ، وما التأويل سوى صرف
لللفظ عن الحقيقة إلى المجاز ، وتخصيص للعموم يرد اللفظ أيضاً عن الحقيقة
إلى المجاز^(٥) .

(١) الشوكاني : فتح القدير : ج ١ ص ١٩ س ٢٣ + ص ٢٣ س ٥ + الص ٣٤
س ٩ + السيوطي : الإتقان في علوم القرآن : ط حجازي بالقاهرة - ج ٢
ص ١٨٢ س ٣ من أسفل . وانظر ص ٣٤ من هذا البحث .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٠١ انظر الشوكاني : رسالة التحف في
مذاهب السلف ص ٥٣ س ١٥ ، محمد عبده : رسالة التوحيد : دار الناصر
للطباعة : ١٩٦٩ - ص ٤٨ س ١ وما بعده .

(٣) الرازي : أساس التقديس : ص ٢٢٢ س ١ + ابن الجوزي : نقد العلم ص
٤٥ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٠٤ .

(٥) الغزالي : المستصفى : ج ١ ص ٣٨٧ س ١ + الترميزات : ص ٤٣ س ١٣ +
ابن قيم الجوزية : ج ٤ ص ٣٠٥ س ٩ وما بعدها + أبو محمد عبد الله بن أحمد
ابن محمد ابن قدامة : رسالة ذم التأويل : ص ٤٠ س ٧ وما بعدها + الغزالي :
قانون التأويل ص ١٢ + الشوكاني ، رسالة التحف في مذاهب السلف : ص ٥٤
ابن الجوزي : نقد العلم والعلماء : ص ٨٥ س ٦ .

ومن ثمّ كان من غير الجائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره^(١) لأن السياق مخصّص وهو التخصيص بالسياق الذي يسميه الشافعي الصنف الذي يبين سياقه معناه^(٢) لأن هذا السياق هو الذي اقتضى كليمًا بأعيانها دون غيرها^(٣) وهذا ما تقرر لدى النقد الأدبي الحديث يعرض له رتشاردز فيما يقرره : « أن تأثير الكلمة الواحدة يتفاوت حسب الكلمات الأخرى التي ترد هذه الكلمة بينها ، فالكلمة التي يلتبس معناها وهي بمفردها يتحدد معناها حينما ترد في سياق ملائم ، وهذه هي الحال دائماً فتأثير أي عنصر واحد يعتمد على العناصر الأخرى التي توجد معه »^(٤).

وكان من أصل المسائل النقدية اللفظ والمعنى بيد أن الكلمة ليست مناط الحكم وإنما الحكم على موضعها من سياق الكلام وأن الاعراب يتسع لكل القضايا والظلال والإشعاعات التي يمكن أن تخرج من علاقات وظائف اللغة وتراكيب البناء التي لها دخل كبير جدا بل صلة وثيقة بالمعنى بل هي الدلالة ، من أجل هذا وجدنا هناك جمعا بين النحو والبلاغة لدى عبد القاهر ، إذ إن صحة الكلام تتجاوز إلى تقييم الكلام والحكم عليه فيشمل المعاني والبلاغة ، ومعنى هذا أن النحو وسيلتنا في فهم العبارة الأدبية ووسيلتنا في معرفته صحة أو ضعفه وفي تقييمه والحكم عليه ، ومن ثمّ

(١) الطبري : جامع البيان : ج ٩ ص ٣٨٩ ص ٧ .

(٢) الشوكاني : إرشاد الفحول : ص ١٦٢ .

(٣) ابن الأثير : المثل السائر : ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي : الفصل الحادي والعشرون : نظرة في التوصيل ص ٢٣٦ + انظر ص ١٦ ، ١٧ من هذا البحث .

فإن ناقد الأدب لا بد له من ثقافة لغوية واسعة لا تقف عند حد معرفة قواعد النحو والصرف ، وإنما إدراك الفروق والأسرار التي تكون بين استعمالات اللغة واستخداماتها نظماً اقتضاه سياق .

وإذا كان قد استقرّ أن هذا السياق مخصّص وموجه فما ينبغي أن يخصص هذا الذي خصّص بشكل ما إذ « إن تخصيص العموم إنما يصار إليه عند الضرورة ^(١) » .

ويجوز هذا الصرف أمام الاحتمال سواء أكان حملاً على الباطن دون الظاهر أم على الخاص دون العام ، والتوجيه إن وجدت الدلالة من ظاهر التنزيل أو خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم منقول أو فيه من الحجة إجماع مستفيض ^(٢) وهي الحجج التي إليها أراد الطبري ويبدو أنه قد أفاض القول فيها في كتابه : « البيان عن أصول الأحكام » فقد أحال إليه غير مرة ^(٣) .

وفي مجال هذا الإطار الخاص يكون الجدل والاختلاف المرغوب فيه فليتشبعوا في القضية الواحدة فرقا وليسيروا فيها شواكل وطرقا ، فلقد أكد الشافعي أنه « قل ما اختلفوا فيه إلا وجدنا فيه عندنا لالة من كتاب الله أو سنة رسوله أو قياسا عليهما أو على واحد منهما » ^(٤) .

(١) الرازي : أساس التقديس : ص ٣٥ ص ٣ من أسفل .

(٢) الشافعي : الرسالة : ص ٣٢٢ ، الطبري : جامع البيان : ج ٢ ص ١٨٠ ص ٧ + ج ٩ ص ٣٨٩ .

(٣) الطبري : جامع البيان : ج ٢ ص ٥٤٧ ص ٨ .

(٤) الشافعي : الرسالة : ص ٥٦٢ .

ولندع التجريد إلى التطبيق :

فقد ذكروا أن عبد الوارث بن سعيد : قال : قدمت فوجدت أبا حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة ، فسألت أبا حنيفة قلت : ما تقول في رجل باع بيعا وشرط شرطا ؟ قال البيع باطل والشرط باطل ، ثم أتيت ابن أبي ليلى فسألته ، فقال البيع جائز والشرط باطل ، ثم أتيت ابن شبرمة فسألته فقال : البيع جائز والشرط جائز فقلت : سبحان الله ، ثلاثة من فقهاء العراق اختلفوا علىّ في مسألة واحدة فأتيت أبا حنيفة فأخبرته ، فقال : لأدري ما قالوا ، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع وشرط البيع باطل والشرط باطل ثم أتيت ابن أبي ليلى فأخبرته ، فقال : لا أدري ما قالوا حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أشتري بريرة فأعتقتها البيع جائز والشرط باطل (وللحديث تنمة إذ الشرط لم يذكره وهو أن يكون الولاء للبايعين فقال : ما بال قوم يشترطون شروطا ليست في كتاب الله) ^(١) ثم أتيت ابن شبرمة فأخبرته فقال : لا أدري ما قالوا ، حدثني مسعر بن كدام عن محارب بن دثار عن جابر بن عبد الله قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم ناقة وشرطت حملانها إلى المدينة ، البيع جائز والشرط جائز » ^(٢) .

هذا هو الإطار المرسوم ضربا الذكر صفحا عما تحتمله العبارات إذ « الدعاوى لا تتعذر على أحد » ^(٣) ومجال القول ذو سعة ، لكن فرق بين

(١) الحلبي : إنسان العيون : ج ٢ ص ٣١٦ .

(٢) السيوطي : تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة ص ٣١ س ٦ .

(٣) الطبري : جامع البيان : ج ٩ ص ٣٨٩ .

ما يمكن أن يقال وما ينبغي أن يقال ، فليس كل ما يمكن يقال ، ولا كل ما يحتمل يطرح ، فذلك قد يراد من الشارح تعرفا على أفانين قدراته جدلا وهذا أمر تقدره طبيعة النص^(١) وهذه القدرة يمدح بها الناقد إذ « هو مبدع عندما يرفع النقاب في أثر ينقده عن جوهر لم يهتد إليه أحد حتى صاحب الأثر نفسه »^(٢) .

ومع هذا فإن الشروح ليست هملا إذ لها من الضوابط التاريخية والاعتبارات ما يحول دون كثير مما تحتمله العبارات ، وقد عالج شيئا من ذا صاحب العملة في الباب الذي عقده عن الاتساع فيما يقرره « وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ »^(٣) .

أما الخروج عن الإطار فمنه تتناسب المذاهب وتتفاوت الطرائق وتتخالف النحل وهو المهلكة والفوضى ، إذ إن مس هذا الإطار أو التغيير فيه أو النيل منه تجدد أبعاده فيما عاناه لوط في معالجة الفاحشة ، وشعيب في تطفيف الكيل والميزان وموسى في معالجة القلوب ومحمد صلى الله عليه وسلم في معالجة العقول والقلوب معا . .

هذا في المجال ، الديني أما المجال الأدبي فأخف أثرا وفيه الزلزلة والتكسب والكيد والتقرّب إلى مالا حصر له من خلط واضطراب . .

ولننظر إلى شيء من هذا وذلك . .

(١) د . شوقي ضيف : في النقد الأدبي : ص ١١٩ + ١٢٩ .

(٢) ميخائيل نسيمة (الغربال) ١٩٢٢ - ص ١٤ س ٣ من أسفل .

(٣) ابن رشيق : العملة : ج ٢ ص ٨٨ ، ص ٨٩ س ١ + ص ٣٨ من هذا البحث

القرآن الكريم كتاب له طبيعته .

وكما أن القرآن كتب بطريقة اتسمت بعدم النقط ليحتمل القراءات المختلفة ولم تكن الاختلافات ناجمة عن الكتابة العثمانية ، فكان الخط بهذا حدا لها ولم يكن سببا فيها ، كذلك فإن التفسير أم يكن تباين مذهبها وتَشعُّبُ مناحيها نتيجة اختلاف دلالات طرائق التعبير التي استنها، وإنما كانت هذي الطرائق على هذا النحو ليحتمل ما أراداه المولى للناس توسعة ومصلحة ومراعاة لأمر ارتأها الشارع من مصلحة تستجلب أو مفسدة تدرأ و ليكون هذا موافقا للناس على اختلاف أزمته وتدابير مشاربهم وتغاير أمكنتهم وبذا لا نرى صحة ما ذهب إليه البطليوسي في كتابه الأسباب التي أدت إلى الاختلاف بين علماء المسلمين ، أما النهج المرفوض فما لا يخضع للسمع والعقل قرائن مما نجد له مثالا لدى الصوفية أهلكه القوم حديثا ، وما علينا إلا لما يجري إشارة ، فالقاديانية التي بدأت على يد مرزا غلام أحمد ١٨٣٩ م - ١٩٠٨ م إنما يعتمد حديثها على التأويل والتعليل وصرف اللفظ عن ظاهره إلى معانٍ إليها يهدف وعليها يدل^(١) . فمثلا يجمع بين أدلة نزول المسيح واعتقاده وفاته وعدم نزوله ، وهذا الجمع لم يكن إلا بصرف الألفاظ والمسميات عن ظاهرها إلى غيره^(٢) ، وليجيز تبوته يفسر معنى خاتم النبيين من قوله تعالى : « ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » + ٤٠ م الأحزاب ٣٣ بمعنى غريب هو أن كل رسول يحيى من بعده يكون بخاتمه وإقراره ،

(١) حسن عيسى عبد الظاهر : القاديانية : نشأتها وتطورها - الهيئة العامة لشئون

المنابع الأميرية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ص ٧١ س ٥

(٢) نفسه : ص ١١٣ س ١٠ + ١١ .

ويحيي شرعه ويجدده (١) أو بمعنى أفضل أو زينة (٢) .

ومن إيران كانت البهائية على يد ميرزا علي محمد المولود ١٨١٩ مسميًا نفسه بالباب اعتماداً على أثر « أنا مدينة العلم وعلي بابها » وغلبت الروحانيات الرياضية عنده ، وكان لها هذه الصورة التي تمثلت بين أيدينا قضاء منذ شهور ، وكانت لهم فرق البابية الخالص والبهائية والمارقون والناقضون مما هو مدون ولهم من الآراء ما يآباه منهجنا تدويننا (٣) .

ومن هنا لا مجال والقول كذلك لما نراه من جدل دائر في تفسيرات الروحية المنافية ، ضربا الذكر صفحا عن أبعادها إذ إنها ذهبت إلى اللغة بلغة جديدة هي الإسبرنتو ، وذهبت إلى الوطن بعبرة العالم وطني ، وذهبت إلى الدين بعبرة فعل الخير ديني بيد أننا هنا ننظر إليها في صرف الألفاظ عن ظاهرها صرفا في مواضع مختلفة (٤) . وها هو ذا مصطفى محمود يقحم المستحدثات ويحمل الآيات عليها حملا فأنت واجد لديه : « المعمار القرآني » (٥) وفي الباب الذي عقده عن الجنة والحجيم : « بالمثل كان موقف القرآن في مخاطبته البدوي البسيط » (٦) ويعلق على قوله تعالى : « ربنا

(١) نفسه : ص ١٢١ س ١٧ .

(٢) نفسه : ص ١٣٢ س ٢ من أسفل .

(٣) أبو الفضل الجرفادقاني : الدرر البهية + محمد الخضر : البهائية .

(٤) أحمد فهمي أبو الخير : مجلة عالم الروح - « العلم الروحي الحديث » الروضة مصر + د : رءوف عبيد - مطول : الإنسان روح لا جسد - جزآن - الطبعة الثالثة مطبعة نهضة مصر - الفجالة - القاهرة ١٩٧١ م .

(٥) مصطفى محمود - القرآن : « محاولة لفهم عصرى للقرآن » - طبعة مؤسسة روز اليوسف ١٩٧١ م - ص ٧ .

(٦) المرجع السابق : ص ٦٦ س ١٣

إنك من تدخل النار فقد أخزيته « ١٩٢ م آل عمران ٣ قائلا : « الله يعتبر
الخزي في هذه الآية أشد من النار لإيلا ما » (١) ويتحدث عن النار حديثا
عجبا إذ يقول : « هي نار لا كما نعرف من نار . . . نار تنبت فيها
شجرة لها ثمر « شجرة الزقوم » . . وفيها ماء حميم يشربه أهلها والمعدبون
فيها يتكلمون ويتحاورون ، فأجسادهم لا يمكن أن تكون لها نفس كيميائية
الأجساد كما نعلمها وإلا تبخرت دخانا في لحظات ولما استطاعوا أن يتبادلوا
كلمة » (٥)

وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « كَلِمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا
غَيْرَهَا » ٥٦ م النساء ٤ .

وفي الحلال والحرام تجد توجيهه لأمر الغض توجيهها باعثا على الدهش (٣) ،
وصدد قوله تعالى : « أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا » ٢٤ ك
يونس ١٠ يقول : « ولا تفسير لذلك إلا أن تكون الأرض كروية دوارة
نصفها ليل ونصفها نهار ، فإذا جاءت الساعة وهي تأتي في لحظة « وما
أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب » ٧٧ ك النحل ١٦ فان نصف
سكانها يكونون في ليل والنصف الآخر في نهار » (٤) .

وترد بنت الشاطيء قائلة : « الأمييون يعرفون أننا منذ الأزل وإلى الأبد
بين ليل ونهار ويقول قائلهم : « آتيتك ليلا أو نهاراً فلا تقوم الساعة ولا

(١) المرجع السابق : ص ٧١ س ١١ .

(٢) المرجع السابق : الطبعة الثالثة - بيروت ١٩٧٣ م - ص ٨٣ س ٦ .

(٣) نفسه من ص ٨٥ إلى ٨٧ .

(٤) مصطفى محمود : القرآن : « محاولة لفهم عصرى للقرآن » ص ١٤٦ .

يكشف أن الأرض كروية دوارة^(١) وتتساءل في مقالاتها هل الطائرات النفاثة في «الفلق» وتكنولوجيا السدود من خبر ذى القرنين في «الكهف» وجولوجيا القمر من «يس»؟؟؟^(٢) .

وهذا ليس بجديد فإن السيوطي ٩١١ هـ عرض لنقول اشتملت على نحو هذا إذ قالوا : إن الجبر والمقابلة في أوائل السور ، والنجامة في قوله تعالى : « ائتوني بكتاب من قبل هذا ، أو أثارة من علم » ٤ ك الأحقاف ٤٦ ، وأصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها كانخياطة في قوله : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ٢٢ ك الأعراف ٧ ، والحدادة في « آتوني زبر الحديد » ٩م الكهف ١٨ ، و « ألنا له الحديد » ١٠ ك سبأ ٣٤ والبناء في آيات ، والنجارة « واصنع الفلك بأعيننا » ٣٧ ك هود ١١ ، والغزل في « نقضت غزلها » ٩٢ ك النحل ١٦ ، والنسج « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » ٤١ ك العنكبوت ٥٩ ، والفلاحة « أفرايتسم ما تحرثون » ٦٣ ك الواقعة ٥٦ ، والصيد في آيات والغوص « كل بناء وغواص » ٣٧ ك ص ٢٨ ، « وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » ١٤ ك النحل ١٦ ، والصياغة « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار » ١٤٨ ك الأعراف ٧ ، والزجاجة « صرح ممرد من قوارير » ٤٤ ك النمل ٢٧ ، « مصباح المصباح في زجاجة » ٣٥ م النور ٢٤ ، والفخارة « فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا » ٣٨ ك القصص

(٢) د . عائشة عبد الرحمن : جريدة الأهرام : الجمعة ٧ / ١ / ١٩٧٢ المقال الرابع من الإيمان والعلم بعنوان - منطق العلم بين الأصالة والادعاء .

(٣) مقالات الأهرام ٣١ / ١٢ / ١٩٧١ ص ٧ - منطق الإيمان بين الوعي والتحذير ١٩ / ٥ / ١٩٧٢ ... « إسرائيليات في الفكر الإسلامي بين القديم والحديث » + مصطفى نظيف : مجلة الاعتصام : « الرد على أباطيل مصطفى محمود » العدد السادس والسابع محرم ١٣٩٠ هـ - ٩ مارس ١٩٧٠ - السنة الثانية والثلاثون .

٢٨ ، والملاحه « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر » ٧٩ كالكهف
١٨ . (١) ومن هذا الصرف ما أخذ به صاحب الإعجاز العددي نفسه
وسجله عليه فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى (٢) .

إن الإطار يرفض هذا كله والاعتبار يمنع منه ، وإن التفسير العلمي
للقرآن على ما قد يمكن أن يقال عنه غير مجد في العقيدة ، ومما التفسير
سوى خلط بين العلمي وما يذهبون إليه من فكر أقل ما يقال فيه إنه غير
نابع من إطارنا . (٣)

وبذا يريح المتحدثون أنفسهم بدءا من الغزالي في التهافت وابن رشد
في تهافت التهافت إلى الشيخ عبد الجليل عيسى ومن يمكن أن يأتي بعدا..

والاعتبار هو تحديد لطواعية اللغة فهما ، ولو وضع هذا الاعتبار
نصب العين لوقفنا على صحة كثير من القول ، فهذا الشعر ذائع الصيت :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حذب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

(١) السيوطي : معترك الأقران : القسم الأول من ص ١٧ إلى ص ٢١ .

(٢) جريدة الأخبار الصادرة في ٢٧ / ٦ / ١٩٧٥ م .

(٣) د . محمد عبد الرحمن البيصار : تقديم كتاب « الإسلام والحضارة العالمية » لمحمود
أبي الفيض المنوفي - ص ٥٥ س ١١ .

تخريج الأبيات :

(١) أحمد أحمد بدوي : أسس النقد الأدبي عند العرب : مطبعة لجنة البيان العربي
١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م س ٣٧٠ س ٣ .

- (٢) = أحمد الربيعي : كثير عزة حياته وشعره - دار المعارف بمصر ص ٢١٣ س ١٠
- (٣) أحمد موسى : البلاغة التطبيقية : الطبعة الأولى : ١٩٦٣ م مطبعة المعرفة ص ١٦٣ منسوباً لكثير .
- (٤) الباقلائي : التمهيد : ص ٢٤٦ + ٢٤٧ ونسب في الهامش لكثير + طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م تحقيق السيد أحمد صقر ص ٢٢١ س ٢ من أسفل + ص ٢٢٢
- (٥) التفتازاني : مختصر السعد على تلخيص المفتاح : ج ٤ ص ٨٩ + ٩٠ + ٩١ .
- (٦) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي : الوحشيات - وهو الحماسة الصغرى علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر - طبعة ١ دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م - ذكر الأول والثالث في باب النسيب ص ٨٧ س ١٠ - ونسبه المحقق لكثير أو عقبه .
- (٧) التتويحي : الأقصى القريب في علم البيان : س ٣٩ س ١٩ .
- (٨) الجرجاني : عبد القاهر : أسرار البلاغة : ص ١٥ + ٢٩ س ٤ + دلائل الإعجاز : ص ٥٨ + ٥٩ + ٦٠ .
- (٩) الجرجاني : علي بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي وخصومه : تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم + علي محمد الجاوي - الطبعة الثالثة : عيسى البابي الحلبي وشركاه - ذكر البيت الثالث منسوباً لابن الطبرية ص ٣٤ .
- (١٠) ابن جني : الخصائص : ج ١ ص ٢٢٥ .
- (١١) حامد عوني : المنهاج الواضح : مطابع دار الكتاب العربي بمصر طبعة أولى ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م ص ١٣٣ س ٨ نسبة لكثير .
- (١٢) الحصري أبو إسحاق . قيرواني : زهر الآداب وثمر الألباب مفصل ومضبوط ومشروح بقلم الدكتور زكي مبارك - المطبعة الرحمانية بمصر ج ٢ ص ٥٦ س ٩ - أورده في أوصاف النساء . منسوباً لكثير .
- (١٣) الدسوقي : حاشية على شرح السعد : ج ٤ ص ٨٨ + ٨٩ + ٩٠ + ٩١ نسبة لكثير .
- (١٤) أبو زيد : النوادر : ص ١٢٦ .

= (١٥) السبكي : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ج ٤ ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ + ٩١ .

(١٦) السراج : أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين القاري : مصارع العشاق : مطبعة السعادة طبعة أولى ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م - ص ٣٨٤ س ٢١

(١٧) السكري : أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله ١٢٢ هـ - ٢٧٥ هـ : - شرح ديوان كعب بن زهير : ت نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ - الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ص ٢٣٩ برواية مختلفة ضمن قصيدة بها واحد وعشرون بيتا تقع منها في ص ٢٤٢ س ١٢ + ١٣ + ١٥ معزوة لكعب مع رواية أنها لعقبة بن كعب بن زهير .

(١٨) ابن طباطبا : عيار الشعر : ص ٨٤ ص ١١

(١٩) العياشي : عبد الرحيم بن أحمد ٩٦٣ هـ - معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص : حققه وعلق حواشيه وصنع فهرسه محمد يحيى الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ج ٣ ص ١٣٤ س ٢ نسبة لكثير ونوه بروايات أخرى .

(٢٠) د . عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية : ص ١٧٧ ، ١٢٨ ، ٢١٦

(٢١) العسكري : الصناعتين : ص ٤٢ + ٥٩

(٢٢) د . المشماوي : قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ص ٣٢٨ ، ٣٢٩

(٢٣) القالي : الأمالي : ص ١٦٩

(٢٤) ابن قتيبة : الشعر الشعراء : ج ١ ص ١١

(٢٥) قدامة : نقد الشعر : ص ٢٣ س ٤ نسبة محققه كمال مصطفى لكثير .

(٢٦) القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة : ج ٤ ص ٨٩ + ٩٠ + متن التلخيص ص ٦٢

(٢٧) د . محمد زغلول سلام : تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري (١) دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م ص ١٥٧ س ١٣ =

لا تجد في هذه الأبيات استشعار قائلها لفرحة قفوله إلى بلده لدى ابن طباطبا والعشماوي ومن لف لفهم ، ولا نذهب إلى تهافت معناها لدى فريق آخر ، فهي جليمة المعنى ، رقيقة الحواشي ، والأبيات ليس فيها موقف وداع وما أقساه ، أليس فيه الفراق الذي حملته اللفظة فأبست حروفها أن يلتقي أحدها مع الآخر وكل منها وقف وقفة معبرة عما يعرفه أولئك المودعون إذ لو كان لكان بكاء من يفارق الأراضي المقدسة ولطفرت عبرات — وإن عزت — من مدامع الرجال ، لكان إحساسهم قرب البعاد ودنو محبيء الفراق باعثاً على إطالة الوقوف وما يعتقد أن يهرع الشاعر إلى الحديث عن الأوطان كأنه تخفف من عبء ، إنه كان يجب أن يقف ويطيل الوقوف ، ويتحدث ويسرف في الحديث الذي لم يأت منه بشيء ، لم يلتفت التفاتة واحدة إلى هذه الأماكن مودعاً ، ولم يكتلف ليته وأخذعه شيئاً من ذا الذي يعرفه المحبون إذ هولم يأت لشيء من

(٢٨) د . محمد زكي مبارك : العشاق الثلاثة : سلسلة اقرأ : دار المعارف بمصر عدد (٢٦) الطبعة الثانية ١٩٤٤ م ص ١٠٤ + ١٠٥ نسبه لكثير .

(٢٩) د . محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث : ط الثالثة ١٩٦٤ م — دار مطابع الشعب : ص ٢٦٩ + ٢٧٠ + ٢٨٥

(٣٠) د . محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب : ص ٣٤

(٣١) المرتضى : الأمل : ج ٢ ص ١١٠ + ١١١

(٣٢) المغربي : مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : ج ٤ ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ + ٩١

(٣٣) د . ناصف : نظرية المعنى : ص ٩٥ + ٩٦ + ٩٧

(٣٤) هنري برس : شرح ديوان كثير : مطبعة جول كربونل ١٩٢٨ ج ١ ص ٧٩ س ١ — البيت ٦ + ٧ من قصيدة تقع في ثمانية عشر بيتاً .

(٣٥) ياقوت : معجم البلدان : ج ٨ ص ١٥٩

ذا الذي يأتي من أجله زوار البيت وإنما كان مجيئه لأمر آخر إذ هو - (وهو كثير ١٠٥ هـ) يصف لحظة لقاء بعيداً عن الأعين الرواصد ، وقد أصبح في مأمن. ومالنا لا نذهب إلى هذا والشاعر لفت عن غير هذا إذ يقول « ولم ينظر الغادي الذي هو رائح » فكيف تجرى فرحة بالأوطان هذه الأحاديث ؟ وكل منهم في شغل عن الآخر معرض عنه مقبل على نفسه ، معالج لها ، يجمع شتاتها وقد توزعتها العاطفة الدينية المسيطرة ودواعي الحياة المستقبلية . . إنها أوقات اهتمام ذاتي خالص وهكذا يكون الوداع لدى الحجاج ، وبمثل هذا يكون اللقاء لدى المحبين عند ابن جني إقصاحاً والتنوخي للمأخا .

مثال آخر هو بيت أبي فراس الحرث بن سعيد ٣٢٠ هـ - ٣٥٧ هـ :

يمنون أن خلوا ثيابي ، وإنما على ثياب من دماهم حمر

إذا ما تساءل القارئ : ما الذي يريد أن يقوله الشاعر السجين لابن عمه الأمير ؟ أو بالأحرى بم يمتن العدو وفيم يتفاخر الأمير ؟ فسيجد ألواناً من الحديث :

أما المؤلفون : فلقد سجلوا أقاويل ليست بنوع إذا عدت ولا غرب في كتب عنيت بشرحه والتعليق عليه واستخراج ما به من صور ؛ فمن قائل : «خلوا ثيابي: تركوا لي ملابسني ، والمعنى يمنون علي أنهم تركوا لي ملابسني ويعدون ذلك منه منهم ولكن على من دماهم ثياب حمر»^(١) .

(١) عبد الحميد حسن + علي محمد البجاوي + الدكتور محمد قديري + الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي : النصوص الأدبية الجديدة - طبعة ١٩٧١ ص ٧٨ س ١ .

ومن قائل : « على ثياب حمر من دماهم : تعبير يدل على كثرة القتلى الذين قتلهم ولطخت دماؤهم جسده » (١) .

ومن قائل : « يمنون : المن التفضل وذكر النعم ، والضمير يعود على الروم الذين يعدون من التفضل عليه ترك ملابسه عليه اعترافاً بشجاعته أو طمعاً في اكتسابه إلى صفوفهم على حساب وطنه (٢) ، « وعلى ثياب من دماهم حمر » يشبه دماء أعدائه التي أسالتها سيوفه ورماحه بأثواب حمر من الفخار والإجلال لبسها وتزين بها ، وفي التشبيه إشارة بشجاعة الشاعر وتعاليه ورفضه تفضل أعداء كثيراً ما أذاقهم الهزيمة والهوان (٣) .

ومن قائل : « تحدث عن أعدائه بأن العدو يمن عليه أن ترك له ملابسه ولكن لا منة لهم عليه فعليه ثياب من دماهم » (٤) وهكذا كلهم يدور في هذا الفلك .

أما المدرسون . فمنهم من اقتصر على ترديد ما بهاتيك الكتب إيماناً بما للكلمة المطبوعة من سلطان يجد فيها عوناً على إنجاز ما نيظ به ، ورداً على ما قد يقال له سؤالاً أو توجيهاً ، ومن شذ فأراد إلى تفكير لم يسزد

(١) محمد أبو الحسن - المنهل الإعدادي في جميع فروع اللغة العربية طبعة ١٩٧٢ ص ١٦٧ س ١٦ .

(٢) عبد الفتاح لاشين + حسين شريف : النصوص المقررة - طبعة ١٩٧٠ ص ٨٠ س ٤ من أسفل .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ س ٨

(٤) زكريا محمد جعفر - الناجح في جميع فروع اللغة العربية - المكتب التجاري الحديث - القاهرة - ١٤١ ص ١٨ ، ١٩ .

على قوله : إن التعبير مجاز وهو ليس مقررأ على المرحلة الإعدادية ، ولما أجريت استفتاء بينهم عليّ أجد من تلمس شيئاً ما أو أبدى إنكاراً بقلمه أو ذكراً لما ليس بمقرر — وعلى ما في دراساتهم من تنوع وبيئاتهم من تغاير وأمزجتهم من تباين — فلم أقف على شيء يستحق التدوين .

أما التلاميذ فما يرجي منهم شيء إنهم بما وافق الكتاب الأستاذ راضون . . . والمتقدمون منهم يشفقون على أنفسهم إذ كيف يعارضون مدرساً والكتاب يؤازره ؛ إنهم عن الدرجات يبحثون . .

قصارى القول : لن تجد قولاً مقنعاً تحت وطأة شيوع ما شاع وليس شيء له من الضرر ضرر هذا الشيوع .

وتنشأ استفسارات : هل اعتاد الروم تجريد الأسرى من ثيابهم؟ وإن كان حجاجاً فهل يجوز أن يكون امتناناً على أبي فراس وهو من هو مكانة من سيف الدولة ؟ أو أنه يعني بقوله الثياب الحياة إذ تركوه حياً ؟ بيد أن الشطر الثاني فيه ما فيه .

لكن الاعتبار يفرض علينا معاودة نظر في القصيدة بما هي مرويات وفي السياق بما هو مخصص تحديداً للدلالة المرادة ، وعليها إما أن نقبل المعنى وإما أن نرفضه .

والناظر في الديوان وهو أول عمل توثيقاً يجد البيت ضمن قصيدة قدمها ابن خالويه ٣٠٠ هـ — ٣٧٠ هـ بقوله : وقال يفتخر وقد بلغه أن الروم قالت :

(١) الاستفتاء لدي ، جرى بين مدرسي المرحلتين الإعدادية والثانوية ذكرانا وأناثاني الاسكندرية والبحيرة وأسيوط .

« ما أسرنا أحداً لم نسلب سلاحه غير أبي فراس » (١).

أما السياق : فإن البيت الذي بعده هو :

وقائم سيفي فيهم اندق نصله وأعقاب رمحي فيهم حطم الصدر

وعلى هذا جرى الاستخدام العربي . . .

قال مرة بن همام — شاعر قديم —

لله عسوف لا بساً أنوابه يالهف نفسى قرن ما أن يغلبا (٢)

وقال الحرিশ بن هلال القريعي — إسلامي — مفتخراً بأنه لا يخلع ثيابه
إذا أرادوا سلبها بل يقاتل عنها . وإذا لبسها لم يكن بد من الرمي :

ولست بخالغ عنى ثيابي إذا هرّ الكماة ولا أرامي (٣)

وفي ليبيا يجرى الاستخدام العرفي بين الناس على أن الثياب بمعنسى

(١) أبو فراس الحمداني : الديوان — طبعة بيروت ١٣٦٣ — ١٩٤٤ — عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهرسه — سامي الدهان — رواية أبي عبد الله الحسين . ابن خالوية ج ٢ ص ٢٠٩ س ٤ — والبيت رقم ٤٦ من القصيدة ١٦٠ ص ٢١٣ .

(٢) المفصليات — رقم القصيدة ٨٢ — البيت ٩ — ص ٣٠٣ س الأخير .

(٣) الحماسة — ج ١ — الباب الأول — القصيدة ٢٢ — البيت ٤ ص ٦٤ س ١ نشر بمجلة الثقافة العدد ٦٥ — الصادر في ٢٣ من يناير ١٩٧٥ م .
أفادني مجمع اللغة العربية برقم ٦٠٧ في ٣١ / ٥ / ١٩٧٥ م بأنه تم عرض هذا الموضوع على مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٦ / ٥ / ١٩٧٥ ورأى المجلس إحالته على لجنة الأصول لدراسته .
نشر بمجلة منبر الإسلام العدد ٧ — السنة ٣٣ — رجب ١٣٩٥ هـ — يوليو ١٩٧٥ م ص ٣٠ .

السلاح ، موضوع آخر نعرض له هو الأضداد وهولون من ألوان المشترك Homonym ولقد كتب في الأضداد أقوام على مر أعوام : أبو محمد بن المستنير المعروف بقطرب ٢٠٦ هـ ، وأبو سعيد عبيد الملك بن قريب الأصبغى ٢١٦ هـ ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون التوزي ٢٣٠ هـ وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ٢٤٤ هـ ، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ٢٥٥ هـ ، وأبو بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنباري ٣٢٨ هـ ، وأبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ٣٥١ هـ وأبو محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان ٥٦٩ هـ ، وأبو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني ٦٥٠ هـ (١) .

وهناك شذرات متفرقات هنا وهناك (٢) .

بيد أن أبنا محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه ٣٤٥ هـ وضع كتاباً في إبطال الأضداد ، ويضع أبو الحسين أحمد بن فارس ٣٩٥ هـ كتاباً في إثباتها في اللغة رادا مذهب ابن درستويه (٣) .

(١) الدكتور عزة حسن : محققة كتاب الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب : ص ٢١

(٢) ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المرسي (دانيية ٤٥٨ هـ) : المخصص : الطبعة الأولى - المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٠ هـ - السفر الثالث عشر : ص ١٦ إلى ص ٢٦٦ + الثعالبى : فقه اللغة وسر العربية : ص ٤٦٨ + ٥٦٥ + انظر السوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٩٦ وما بعده + أحمد تيمور : أمرار العربية : ص ٥٠ + الدكتور إبراهيم محمد نجا : فقه اللغة العربية : مطبعة السعادة ١٩٦١ م ج ٢ ص ٥٦ + ٥٧ + ٥٨ المرحوم الدكتور محمود السمران : علم اللغة : ص ٢١٠ س ٨ + ٣١١ + حسين محمد : الأضداد مجلة اللسان العربي : المجلد التاسع : الجزء الأول : ذو القعدة ١٣٩١ هـ - يناير ١٩٧٢ م من ص ١٠٠ إلى ص ١١٧ وما بعده .

(٣) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٩٦ س ٥ + ابن فارس : الصحاحي : ص ٦٦

وأدلى مجمع اللغة العربية بدلوه فأصدر قراراً بأن الأضداد عند التحقيق ليست كثيرة (١) .

وتنذر المحدثون بما في العربية من الأضداد . .

ولننظر إلى شيء من شواهد القدماء وأمثلة المحدثين بما هي دلائل على الظاهرة .

لننظر إلى قول الله تعالى : « والمطافات يترفصن بأنفسهن ثلاثة قروء »
٢٢٨ م القرة ٢

وقول الله تعالى : « وأسروا النداء لما رأوا العذاب » ٥٤ ك يونس
١٠ + ٣٣ ك سبأ ٣٤

وقول الله تعالى : « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي » ٢٢٣ ك
إبراهيم ١٤ .

وقول الله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر
عليه » ٨٧ ك الأنبياء ٢١

ومع عدنا لكل الآراء التي قيلت أو التي يمكن أن يقال صدق مثل
هذا لدى كل من اللغويين والمفسرين لكن ما القراء بالطهر وما القراء
بالحيض وما الأسرار بالكتمان وما الأسرار بالإظهار . وما الإصرار
بالإغاثة وما الإصرار بالاستغاثة ، وما الظن باليقين وما الظن بالشك ،
لأنه لو تعين أحدهما دون الآخر لكان ما يدل عليه من لفظ خاص أولى ،
ولكان ذلك إخلالاً بالنظم الذي من طبيعته أن يقتضي تعييناً وترتيباً .

إذن هذى الأضداد : الجون للأبيض والأسود ، الأحمر للأسود

(١) مجمع اللغة العربية - كتاب في أصول اللغة العربية - الهيئة العامة لشئون المطابع
الأميرية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م - ص ٧٣ .

والأبيض ، الظن لليقين والشك ، الخيلولة للشك واليقين ، الصريم للصبح
والليل ، الناهل للشارب والعطشان ، تفكّه أكل الفاكهة وتجنب عن
الفاكهة ، والصارخ المستغيث والمغيث ، الرهوة للارتفاع والانحدار ،
الإفراع تصويب وتصعيد ، التلعة لما ارتفع من الأرض وما انهبط منها ،
الخريق من الرياح الشديدة واللبنة ، الجلل لليسير والعظيم ، الندّ للمثّل
والضد ، القانع للسائل والذي لا يسأل ، وأسرّكنم وأظهر ، الجعد السخي
والبخيل ، البسل الحرام والحلال ، وراء خلف وقدّام ، البين الفراق
والوصل ، الساقب القريب والبعيد ، الغابر الباقي والماضي ، أضبوا تكلموا
وأفاضوا وسكتوا ، والنبة للضالة توجد عن غفلة والشيء الموجود ، القرء
للحيض والطهر ، النكع للحبس والإعطاء ، الوشل من الماء القليل والكثير ،
النكد للغزيرات اللبن من الإبل والتي لا لبن لها ، الصمرد الناقة الغزيرة
اللبن والقليلة ، الصماريد الغنم السمان والمهازيل ، رتاه شده وأرخاه ، وتلوته
تبعته وتركته ، أرى إراء صار ذا عقل وتبينت الحماقة في وجهه ،
ضرب ذهب وأقام ، أكمث للمنطلق والقاعد ، وثب قام وقعد ، أفد
أسرع وأبطأ ، القرع للظبي إسراع وإبطاء ، مصح ذهب وانقطع والثدي
رشح ، والكهدل الشابة السمينّة والعجوز ، العل القراد الضخم والصغير
الجسم ، القلة الجرة العظيمة والكوز الصغيرة ، هجده أيقظته ونومّه ،
طواه أناه وأجازه ، الطرب للفرح والحزن ، الفأل للخير والشر ، الخشب
لما لم يصقل من السيوف والذي فرغ من صقله والزوح تفريق الإبل
وجمعها ، استعبه أعطاه العتبى وطلب إليه العتبى ، حميم الماء الحار والبارد ،
أقوى للافتقار والاستغناء ، المفزع الشجاع والجبان ، المنين الرجل الضعيف
والقوى ، الأمين المؤتمن والمؤتمن ، أكوى زاد ونقص ، والمائل القائم
واللاطئ بالأرض ، السدفة الظلمة والضوء ، نصل السهم جعل فيه نصلا
وأزاله عنه ، القتل العدو والصديق ، كعطل عدا عدواً شديداً أو بطيئاً ،

الزعم القول الحق والباطل ، العسسى المصلح لأموره والمعوج ، أبخن نام وانتصب والمسجور المملوء والفارغ . . .

إنما ينبغي التعرف عليها بالممارسة بهذا الاعتبار المحور والنظم المقرر
ننظر إليها على أنها اللفظ الجامع للموقف الجامع لتقدير المشترك لكن :

لا بالمعنى الذي قرّره صاحب التحقيقات الشريفة والتدقيقات المنيفة
إذ قالوا إن هناك قدراً مشتركاً بين الحيض والطمهر ، وما قيل هو الجمع
لأنه من ترات الماء في الحوض إذا جمعت فيه والدم يجتمع في زهن الحيض
في الرحم وفي زمن الطهر في الجسد لا يخفى ما فيه ، وكذا كون الشيء
أو الموجود بعيداً جداً ، وكونه حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر واشتهر
المجاز بحيث يساوي الحقيقة في التبادر بما هو تداخل (١) — وقد تكرر
الآمدي أن « الأضداد لا يستعمل أحدهما في موضع الآخر على سبيل
المجاز » (٢) — فأظهر الاحتمالات فيما ذهب إليه أنه موضوع لكل من
الحيض والطمهر على البديل (٣) بله ما للنحويين من أقاويل بعدت عن المرمى
الذي يسعى إليه . . وما أعتقد أن هذا اللون من الأسلوب يكون في أمر
من الأمور يطالب فيه من البشر تنفيذ أمر من الأوامر يترتب على الخلاف
فيه الخلاف في العدة . .

ولا بالمعنى الذي يراه بعضهم من توجيهه في الجلل بقولهم : « لأن
اليسير قد يكون عظيماً عند ما هو أيسر منه ، والعظيم قد يكون صغيراً

(١) الأنباري : الأضداد : ص ٥ س ٢ من أسفل .

(٢) الآمدي : الموازنة : ص ٢٢٣ س ١٢ .

(٣) الجيزاوي : تحقيقات شريفة وتدقيقات منيفة : ص ٩٥ س ١٣

عند ما هو أعظم منه «^(١) أو أن القرائن تحدد جواز « وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والاختبار إلا معنى واحد «^(٢) ، ولذا « لم ينكر وقوع الكلمة على معنيين « مختلفتين في كلامين مختلفي اللفظان «^(٣) .

ولا بالنظرة التي يعلل بها المحدثون للأضداد إشفاقاً وأسماء بأن هذا اتساع «^(٤) أو تسليماً وأصمماً بشأن دعا داعيهم إلى « حذف كلمات الأضداد «^(٥) أو قال قائلهم إن : « مثل هذه الكلم لا تقرب غرض المتكلم من السامع ، ولا تعرب عن فكرة يراد نقلها من قائل لمخاطب «^(٦) أو ما هو مقرر لديهم صدد الحديث عما أسموه بمظاهر التضخم اللغوي في طمأنينة الرائق : « ومهما يكن من شيء فالأمر الواقع هو أن هنالك

(١) الأنباري : الأضداد : ص ٦ س ٨ + الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية : ص ٦٨ ؛

(٢) الأنباري : الأضداد : ص ٢ س ١ ، د . إبراهيم محمد نجا : فقه اللغة العربية ج ٢ ص ٥٦ س ٢٢ .

(٣) الأنباري : الأضداد : ص ٢ س ١٦ + د . محمود فهمي حجازي : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر : ١٩٧٠ م - ص ٨٦ س ١٦

(٤) د . صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة : الطبعة الرابعة : دار العلم للملايين - بيروت ١٣٧٠ هـ ١٩٧٠ م - ص ٣٠٩ + المرحوم د محمد أحمد أبو الفرج : مقدمة لدراسة فقه اللغة : طبعة أولى ١٩١٦ م - دار النهضة العربية - بيروت : ص ٨٥

(٥) المرحوم أحمد أمين : مجلة مجمع اللغة العربية ج ٦ ص ٨٩ (ج)

(٦) المرحوم أمين الخولي : فن القول : ص ١٢٢ . بيد أنه أمانة نصّ رحمه الله على أنها مازالت في حاجة إلى بحث .

أعداداً كبيرة مما يسمّى بالمتراشف والمشارك والأضداد يعتبر أكثرها «ن»
التضخم المنهك للغة^(١) .

والذي دفع القوم قدامى ومحدثين واسمين وواصمين إلى هذا النهج
عوامل ترسبت في الأعماق فأرسلوا القول على عواهنه دون تمثّل ، منها
هذا التصوّر المنطقي الذي يرى أنه لا اجتماع بين المتضادين وأن عقسل
واضع اللغة يأبى إلا أن يضع لفظاً لا يشركه لفظ آخر في الدلالة على معنى
آخر ، ومنها هذا التمثيل العقدي الذي يرفض الشك في مواقف يرمي فيها من
اتصف به بالكفر فقد قالوا إن الظنّ في القرآن شك والظن يقين وعدّوا
من الشك قول الله تعالى :

«إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين» ٣٢٠٠ ك الجاثية ٤٥ وقوله تعالى :
«وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله» ٢ م الحشر ٥٩ أي توهّدوا ذلك .
ومن اليقين قوله تعالى : «الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم» ٤٦ م البقرة ٢
وقوله تعالى : «ورأى المجرمون النار فظنّوا أنهم مواقعوها» ٥٣ ك الكهف
١٨ معناه فعلموا بغير شك ، وقوله تعالى : «إني ظننت أنّي ملاق حسابيه»
٢٠ ك الحاقة ٦٩ ، وقوله تعالى : «وأنا ظننا أنّ لن نعجز الله في الأرض
ولن نعجزه هرباً» ١٢ ك الجن ٧٢ معناه علمنا ، وقوله تعالى : «وظن
أنّه الفراق» ٢٨ ك القيامة ٧٥^(٢) وعسى شك وعسى يقين وهي من الله
يقين^(٣) .

(١) د . حسن ظا : كلام العرب من قضايا اللغة العربية : دار المعارف بمصر ١٩٧١
م ص ١١٦ س ، انظر د . إبراهيم أنيس : اللهجات العربية : ص ١٦٩ س ١٣

(٢) السجستاني : الأضداد : ص ٧٦ س ١٢ + ص ٧٧ وانظر سبب عقد الكتاب
ص ١ س ٨ + ابن سيده : المخصص ص ١٣ ص ٢٦٠ .

(٣) السجستاني : الأضداد : ص ٩٥ س ٧ ، د . السمران : علم اللغة ص ٣١١ س ٣

ومنها هذا التظنّ اللغوي الذي يرى أنه «إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربيّ أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء» ^(١) ونسبوا القرء طهرا للحجازيين وحيضا للعراقيين ، والسدف ظلمة لتمييم وضوءا لقيس ^(٢) .

لكن الضدية بما هي أمر لا ضابط له مزجا بين المعاني أو بما هي « نوع من العلاقة بين المعاني » ^(٣) وبما هي ازدواج قائم إذ إثبات الشيء ليس معناه نفى غيره ، والنصّ على الشيء لا يقتضي منع غيره فيما قرره الأصوليون إنما هي تعبير عن دفاع خوافي العوالم قبولا ورفضاً وصراع غوامض النداء سلبا وإيجابا ونتاج تكثيف التجارب نفيا وإثباتا ، تعبير عن تردّد خوالج الصدر سعة وضيقا وتأزّم عوارض النفس خوفا وأمنا ، وتخيّر كوامن الإنسان يأسا وأملا حيث تتكافأ أدلة العمول ويتفاوت وجيب القلوب حقائق موائل للأذهان ثوابت للأعيان . .

فما القرء بالحيض وما القرء بالطهر لأنه لو كان حيضا للزم لفظه نظما وقد ورد قرآنا : « ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض » ٢٢٢ م البقرة ٢ ، « واللائي يئسن من المحيض من

(١) الأنباري : الأضداد : ص ٧ س ١٣

(٢) الأصمعي : الأضداد ص ٥ + ص ٣٥ + السكيت : الأضداد : ص ١٦٣ ، ص ١٨٩ + الأنباري : الأضداد : ص ١٦ س ١ من أسفل + ص ١٧ ، ص ٧٤ س ١٠

(٣) د . إبراهيم أنيس : اللهجات العربية : ص ١٦٦ س ٤

نسائكم إن ارتبتم فعدتبن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن» ٤ م الطلاق ٦٥
ولو كان طهرا للزم نظما وقد ورد قرآنا « ولا تقربوهن حتى يطهرن »
٢٢٢ م البقرة ٢ ، « فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » ٢٢٢ م
البقرة ٢ وتقول العرب : ليس بجلو ولا حامض يريدون أنه جمع بين ذا
وذا ، وفي القرآن : « يوقدن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية »
٣٥ م النور ٢٤ يعني أن الزيتونة شرقية وغربية وفي أمثال العامة : فلان
كالحنثى لا ذكر ولا أنثى أي يجمع صفات الذكران والإناث معا^(١) هي
المخالطة ، وهناك الفترة لا تدري المرأة فيها من أمر استبرأها شيئا ، ومن
ثم كان تقدير الفقهاء لهذه المسألة ظنيا ، وعمايصة التربص دالة على أن
الموقف قد ينهم ودل تعبير الفقهاء على ذلك بنقيرهم : « متى حصل
ظن زوال الحيض وجب عليها الغسل^(٢) وهو طهر مخوف بعدم التأكد
من جانب البشرية محمول ومن ذا التفريق بين الحيضة والاستحاضة وهذا
ما لحظه صاحب المفردات مقرر أن التمر ليس اسما للطهر مجردا ولا
للحيض مجردا بدلالة أن الطاهر التي لم تر الدم لا يقال لها ذات قرء ،
وكذا الخائض التي استمر بها الدم والنفساء لا يقال لها ذلك ، وفسر قوله
تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ٢٢٨ م البقرة ٢ بثلاثة
دخول من الطهر في الحيض^(٣) .

والاسرار كتمان وإظهار، إنه السر الذي يأتمر الناس من أجله ويحدثون
في سبيله ، وما هو سوى العلم بوجود أمر وعدم العلم عنه شيئا ، والإنسان

(١) الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية : ص ٥٠٤

(٢) الصنعاني : سبل السلام : ج ١ ص ٩٣ س ١٢ + وانظر ص ١٥٦ + ١٥٧
+ الزحشري : الكشف : ج ١ ص ١٠٤ + ١٠٥ + ١٠٦ ابن العربي : أحكام
القرآن : ج ١ ص ٧٧ س ١ من أسفل وما بعدها .

(٣) أنراغب : المفردات : ص ٦٠٦

يعاني موضوعاً يكتبه ويظهره دون التصريح به . . وقد يكون هذا الإظهار مراداً كطفل مع والديه أو محب مع محبوبه تدللاً أو غير مراد اقتداراً وعزة نفس فهو لن يظهر شيئاً خوفاً أو طمعاً هذا إن لم يكن ثمت صراع ، فإن كان الصراع ظهر منه شيء مشيراً إلى ما يستر كهذا المحب يعتمد إلى الإخفاء حفاظاً على مشاعر وحرجاً من عواذل فأظهر وانظر إلى المتنبي :

وإذا خامر الهوى قلب صّب فعليه لكل عين دليل (١)

وكما يقول الشاعر :

الصّب تنضح عيونُه وتنسم عن وجد شؤونه (٢)

ورحم الله زهيراً إذ قال :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وما أراد إلى الإظهار إذ عند التفرس والاكتناه ينكر إنكاراً ويدبر إدباراً فلحظ الأمر شيء والتصريح به شيء آخر (٣) ، ويظهر منه شيء مغاير لمعاناته وتأثره فقد تجد الإنسان « وخزه ألم فدفعه بتظاهر بالمزيد من

(١) ديوان المتنبي : ج ٣ ص ١٤٩ + وانظر أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد بن - زم ٤٥٦ - طوق الحمامة في الألفة والألاف - حقه وضبط أصوله وغريبه الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف - الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي - الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال ، مطبعة المدني - الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - باب طبي السرص ٠٣٩ . (+ وانظر العباسي : معاهد التنصيص : ج ١ ص ٥٨ س ١ + س ١ + ١٢٩ + ١٣٠ + ١٣١ + ١٣٢)

(٢) ديوان راعي : طبع دار الكتاب العربي بمصر : ص ٨٨

(٣) نجيب محفوظ : الشحات : دار مصر للطباعة : ص ٣٠ س ١١ + ص ١٥ ص

المرح « (١) وهو مظهر يكشف عن المخبر بقدر ما ، وظهر طوعسا أو كرها ، أو لم يظهر بما هو إظهار لشيء آخر فان الإدبار عن الشيء كتماننا هو الإقبال على الشيء إظهارا تلحظ ذلك أو لا تلحظه هي مسألة خاصة بك فقد تجد الدليل واضحا إذا كنت به حفيا من زَمِّ شفة أو ابتلاع ريق إلى امتناع لون أو تجهم وجه تغير محاسر ، وللخجل حمرة وللوجل صفرة ، وللروح دنوّ وللعين رنو وللشفة ابتسام وللدمع انسجام ، مظان دلائل ، ولأمر ما لم يكن للأسارير مفرد مبلغ علمنا في لغتنا وقد لا تجد الدليل وهذا لا ينفي وجوده إذا كنت عنه منصرفا وكان الأمر خفيا وكله إسرار يتأرجح فيه الكتمان والإظهار كثافة ولطفا ويتموجان قوة ووضفا تبعا للمواقف . .

وهذا قول الله تعالى عن يوسف : « قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا » ٧٧ لك يوسف ١٢ .

إنه اتهام باعث على التأثير من قذفهم إياه ، وتذكرهم لما تصوروا دفاعا عن أنفسهم وتحديدًا لموقفهم من أخيههم أسفا عليه وتأنيا له . . ولو كنتم ما كان هناك الجانب البشري الذي لا يقوى على الكتمان ولا يصل إلى الإظهار والآية نصت على ما دار بخلد ما نمّ عنه شيء وأيّ لهم الوقوف على جانب الإظهار وهم المتهمون الخائفون من الحكم المرتقب؟ وهو الكاظم لغيظه بما هو « عدم إظهار لجزائه » (٢) ، ولو أظهر ما تمت الخطّة المحكمة وما كان هذا الكيد بما هو قرآن ، وما قوله « ولم

(١) نفسه ص ٣٢ س ٢٠ .

(٢) انظر تفسير قوله تعالى « الكاظمين الغيظ » في ثعلب : دار المعارف بمصر ط

ثانية ١٩٦٠ م - القسم الثاني ص ٥٨٦ س ٦ .

يبدها لهم « سوى تغليب لجانب الكتمان على جانب الإظهار وإلا كسان الكتمان . . و فرق بين الكتمان والكتمان المقارن للإظهار و فرق بين الإظهار والإظهار المقارن للكتمان وإلا كان كتماناً أو إظهاراً والسرّ يكتّم ويظهر وهو غير هذا وذلك ، فالأمر ليس كتماناً ولا إظهاراً لأنه لو تعين أحدهما لاقتضاه السياق، ألم تر إلى هذا الموقف الذي تحدد فيه الكتمان دون غيره صرح به ولم يذكر الأسرار ذلك في قوله تعالى : « وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » ١٤٦ م البقرة ٢ وقوله تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله » ١٥٩ م البقرة ٢ ، وقوله تعالى : « ولا يحل لهن أن يكمنن ما خلق الله في أرحامهن » ٣٢٨ م البقرة ٢ ، وقوله تعالى : « ولا تكتسبوا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » ٢٨٣ م البقرة ٢ ، وقوله تعالى : « والله أعلم بما كانوا يكتمون » ٦١ م المائدة .

أما الآية الكريمة « وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب » ٥٤ ك يونس ١٠ + ٣٣ ك سبأ فنجد فيها محاولتهم الكتمان مخافة التعبير ولكن للندم علامات تنمّ وما أظهرها وهذا يحمل معنى الخزي الذي اقتضاه المقام وفيه المعاناة التي يعاشونها وفيه التجسيد لهذه الندامة بما هي طرف يغالب ، ففي الكتمان دلالة على قوة لم يريدوها وفي الإظهار دلالة على راحة لم ترد لهم ، ولذلك فإن الذي يتمكن من الكتمان قادر على المغالبة والذي يتمكن من الإظهار مفضّ بما يتخفف منه ولا يعاني ما يعانيه المسرّ .

الصارخ للمستغيث والمغيث: هل من الممكن أن يكون الإنسان مغيثاً مستغيثاً ؟ ما موقف رجل المطافيء وقد وقف يواجه ألسنة النيران بدفع مياهه: إنه يغيث ، بيد أن النار أقوى فأخذ يجاهد ويجالد ويصرخ ، إنه يطلب العون ليعين ، إنه يغيث ويستغيث ، وقل مثل ذلك في طبيب أمام مريضه يعين

ويستعين وجندي أمام عدوه ينصر ويستنصر وقد يملك أو لا يملك فيغيث بنفسه أو بغيره وهو مستغيث وهذه شواهد الاستسقاء بالعبّاس على ذلك دالة ، إذ المحتاج يطلب من أمامه ملك أو لم يملك وها هو ذا الأعرابي يقف على حلقة الحسن البصري فيقول « رحم الله من تصدق من فضل أو واسبى من كفاف أو أثر من قوت » فقال الحسن البصري : ما ترك الأعرابي منكم أحدا حتى عمته بالسؤال ^(١) وإن الطائي يعطي ملك أو لم يملك وإذا كان الإنسان يستغيث ويغيث فإنه يوما ما لن يتمكن من الغوث لا بنفسه ولا بأعوانه ذلك قوله تعالى « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي » ٢٢ ك إبراهيم ١٤ ،

الظن شك ويقين . . قال الحسن البصري ١١٠ هـ : « ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت » ^(٢) والمؤمن لن يأمن من الخوف مع أنه صالح لأنه دائما شاك فيعيش بين وازع الخوف وحادي الرجاء وطالما اضطربا، وها هو ذا أبو العتاهية في الهادي بن المهدي يقول : يضطرب الخوف والرجاء إذا حرك موسى القضيبي أو فكر ^(٣)

والخوف قلما يخلو من خيط الأمل كما يقول ابن الرومي :

أخاف على نفسي وأرجو مفازها وأستار غيب الله دون العواقب
ألا من يريني غايتي قبيل مذهبي؟ ومن أين والغايات بعد المذاهب ^(٤)

(١) الحموي : ثمرات الأوراق : ١٢٠ س ١١

(٢) ابن المعتز : البديع : ص ٧٥ + ٧٦ العسكري : الصناعتين : ص ٣٠٩

(٣) قدامة : نقد الشعر : ص ٩١ س ٥

(٤) المازني : حصاد الهشيم : ص ١٧٦ س ٩

وها هم أولاء الفقهاء يقرّرون : «إذا امتزج خوف العبد برجائه عند
سباق الموت فهو محمود» (١)

وعليه قول الله تعالى : «الذين يظنون أنهم ملاقور بهم وأنهم إليه راجعون»
٤٦ م البقرة ٣ ، ومن ثم قرر الزمخشري أن المؤمنين مختلفون في قوة اليقين
ونصوع البصيرة (٣) .

وقد يفترق الاثنان لا على خصام لكن على واثم إذا ما باعدت بينهما
تصاريف الحياة ، وهذا الفراق مبعث على عدم اللقاء ، لكن ما بينهما من
حبّ ووشائج ، وودّ وعلائق يجعل كلا منهما يهفو إلى الآخر أملا في
هذا اللقاء لأن الأمل لو لم يكن بينهما قائما ما قامت الحياة ولولاه ما
عاش الإنسان وإن كانت إرهابات الأمل تتداني أو تتباعد لكنها لا تنفي ،
تقوى أو تضعف لكنها لا تقطع ، تشتعل أو تخبو لكنها لا تنطفئ ومن
ثم فإن هذا الشاعر حينما أراد إلى التعبير عن مثل هذا الموقف لم يكن
تعبيره بسوى كلمة ظنّ :

وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنّان كل الظنّ أن لا تلاقيا (٣)

ومن منّا لم يترنّم بما أرسله أحمد رامي :

(١) الصنعاني : سبل السلام : ج ٢ ص ١١٤ س ١

(٢) الزمخشري : الكشاف : ج ١ ص ١١١٦ ص ١٥ + ١٦

(٣) تخريج البيت : من الطويل قاله مجنون بنى عامر قيس بن الملوح وانظر : محمد
محمي الدين عبد الحميد منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل - الطبعة الحادية عشرة
١٩٦٠ م - ج ١ ص ٤٧٥ س ١٣ + ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن
مالك ج ٢ ص ٣٤ س ١٠ - الشاهد رقم ٢٤٦ ولم يأت بسوى العجز أمّا
الصدر ففي هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك وذكره التتويحي غير منسوب
الأقصى القريب في علم البيان : ص ١٩ س ٩ .

عشت فيها بيقيني وهي قرب ووصال
ثم عاشت في ظنوني وهي وهم وخيال

فإن لفظة اليقين إنما تدل على هذه المعاشة الواعية المحددة المعالم والأبعاد
ثم مضت الأيام ولم تعد سوى الذكري وهي هذا الحلم الذي يفرض نفسه
على الإنسان دون إمكان منه أو تأثير فيه ودون أن يكون طرفا ، وبعد أن
كان يقينا يملكه الإنسان ويؤثر فيه بما هو طرف أمسى ظلنا لم يتحول إلى
الشك وإنما هو اليقين الذي طال عليه العهد وتقدم على تلك الأيام التي
ليس إلى حياتها من سبيل فهي والوهم سواء، يقين تنال منه الأيام وتعبث به
السنون فما هو باليقين الخالص وليس إلى إرجاعه من سبيل وما هو بالشك
الخالص وقد كانت المعاشة .

والمتنبى حين قال :

إذ نظرت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم (١)

فإن هذا الأسد قد يبدى ما يراه بشرا وتبسم من لا عهد له بطبائعه
ولامعرفة له بسجاياه، لكن ليس هذا يقينا خالصا؛ هو الظاهر البادي حقا
بيد أن المخاوف تكتنف الإنسان، والشكوك تحيط به ، وهو الباطن المستتر
فهو ليس يقينا والابتسام باد وهو ليس شكاً والخوف مسيطر . . لكنه
الظن والظن وحده الذي رفضه المتنبى .

ويونس عليه السلام في بطن الحوت محفوظ، ويعلم تماما أن الله سبحانه
وتعالى لن يضيق عليه وإنما سييسر على رسوله . . وإن كان متسرعا فالنبوة

(١) المتنبى : شرح الديوان ، عبد الرحمن البرقوقي : مطبعة الاستقامة بالقاهرة الطبعة
الثانية : ١٢٠٣ هـ - ١٩٣٨ م - الجزء الرابع : ص ١١٠ .

حافضة ، وإن كان نبيا فالتسرع مقتضى بما هو قرآن : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم » ٤٨ م القلم ٦٨ ومن ثم فإن حسه لن يكون يقينا محضا لما أتى ولن يكون شكاً محضاً لما اختص وإنما هو يقين عراه توجس ولا يسه تخوف ، ذلك أن الموقف يجلله وجوم ويعروه إشفاق . . إنه الجانب البشري في الموقف ، ألسم يقل الله سبحانه وتعالى في حق موسى : « فأوجس في نفسه خيفة موسى » ٦٧ ك طه ٢٠ ؟

النهل : يحتمل هذا الشرب والعطش دون الري . وقد قالوا إن الدنيا كالماء الملح كلما ازدادت منه شرباً ازدادت عطشاً . إن المحب لن يرتوي من محبوبه مع الشرب لأنه دائماً ظاميء متلهف ، وكلما عبّ المحب من الكأس المترعة مطارحة نظر ومهاداة ابتسام ليطنىء النار الوارية بين ضلوعه ازداد القلب من تضرم وحنين ، إنه أمر لا مناص منه لأنه إذا شرب دون عطش فتر وصدف ، وإذا عطش دون شرب هجر وعزف ، فلم يكن بد من العطش والشرب معا دون الري ، أرأيت إلى هذا الذي يبكي دائماً سواء أكان محبوبه معه أم لم يكن لأنه إذا لم يكن معه فهو باك للغيب آملاً في اللقاء ، وإن كان معه فإنه يخشى الفراق آملاً دوام اللقاء :

وما في الأرض أشقى من محب	وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكباً في كل حين	مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم	ويبكي إن دنوا خوفاً للفراق
فتسخن عينه عند التناهي	وتسخن عينه عند التلاقي ^(١)

وتناوله المتنبي قائلاً :

وأحلى الهوى ما شئت في الوصل ربّه وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي^(٢)

(١) الحماسة : ج ٢ ص ١١٧

(٢) المتنبي : ج ٢ ص ٣٠٥

ويبكي في حالة الرضا خوفاً من حالة الغضب ، وهذا العباس بن الأحنف يقول :

قد كنت أبكي وأنت راضية حذار هذا الصدود والغضب
إن تم ذا الهجر باظلموم - ولا تم - فما لي في العيش من أرب^(١)

والطرب يحتمل الفرح والترج دون الراحة ، وهي الغاية التي كانت تغاها جليمة بنت مرة التي لن يشفى غليلها أو يعود عليها بجدوى إزاء حدثها خير النظرين لأن الأداء لها : دية منها ، وقتلا بها ، أنها لا تستطيع الانتصار ولا تطبيق الانكسار ، إنها قاتلة مقتولة :

إنني قاتلة مقتولة ولعل الله أن يرتاح لي
ونحو ذلك ما عبر عنه الحماسي - الحارث بن وعله الذهلي :

قومي هم قتلوا - أميم - أخي فإذا رميت يصيبني سهمي
وصاغه المتنبي قائلا :

وكيف يتم بأسك في أناس تصيبهم فيؤلمك المصاب^(٢)

وكثيراً ما لاكت أَلَسْتُنَا هذا التعبير : « سعادتنا بترقيتك لا يعدها سوى حزننا لفراقك » ، ولذا قد يكون الإنسان سعيداً وتعيساً في آن واحد، وها هو ذا باحث صغير لديه بحث يقدمه على وجل لأستاذه ، ثم يجد أستاذه قد نسبته إلى نفسه ، إنه يسعد لأن بحثه بما نيط به وعول عليه جدير ، ويتعس لأنه منه سلب وللأستاذ عاد ولم يكن له ، ومن هنا قد يكون الداء دواء .

(١) ثعلب : مجالس ثعلب : القسم الثاني : ص ٥١٩ س ٣

(٢) المتنبي : ج ١ ص ٦٩

دع عنك لومي فإن اللوم لغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

وما الدواء سوى تمكين للداء ، إنها اللذة المؤلمة والألم اللذيذ الذي يتحدث عنه العاشقون ونجده لدى الصوفية ، وبالحكّ الذي هو إيلام يلتذّ ذو الجرب ومنه :

ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامنا
لذت به جهلا وفي اللذة الحتف (١)

إنه اللذة والألم معا الذي يجده الباحث في بحثه والأم في سهرها على وليدها حيث تجد الألم يستعذب والمرارة تستطاب ، فحلاوة الظفر بمرارة السهر ، أو ليس هناك من يبكي فرحا وهناك من يضحك سرورا ظاهرا بينما هو يعاني مايعاني ؟ إنها ابتسامات الهزائم ودموع الأفراح ، وها هي ذي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم دموع الحزن في عينيها وابتسامة السرور على شففتيها .

والأفد للإسراع والإبطاء ، قالوا في الأمثال : « رب عجلة تهب ريثا » ، واستقر في الأذهان كيف أن المتعجل يجد نفسه أشد بطئا من المتباطئ بسرعته التي توقعه في الأخطاء التي تحتاج إلى طويل وقت ، ومنها ما عانيه إزاء الارتجال الذي اتسمت به تصرفاتنا فجعلتنا نعاني تخلفا طويلا . ومن زاوية أخرى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المني لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » فالمنيّ سريع مسرف في سرعته متوان غاية في توانيه لأنه لا يصل إلى شيء شأنه شأن المتواني الذي لن يصل إلى هدفه ، والسريع المتعجل الذي يجانبه الصواب وتحالفه الندامة دوما حائلا بينه وبين بلوغ ما يسعى إليه . .

(١) المتنبي : ج ٢ ص ٢٨٤

وها هو ذا الشاعر يقرر أنه ليس غناؤه غناء الرعاة المقصود سعيهم على حفظ الفلاص في مراعيها فإذا أوى إلى موضع أوى إليه كلبه الذي يحرسه وربعه ، إنه شريف رئيس . . وليس شأنه شأن العسبد الذي إذا كان لغيره نوبة في الركوب كانت نوبته سرعة المشي حتى تنقطع نعله ، إنما هو من أهل الشرف لا من أهل الخدمة والعبد فيهم يكون مستريحاً فلا يكلّفونه ما لا يطيق ، وهم يحملون من تكاليف القيام بشأن عشيرتهم ما لا تحمله المضارب العظام — وهم لا يعملون عملاً إلا مع التأني والتروي فلذلك بعض القوم الذين لا تجربة لهم يظنون أنهم بطاء ولا يعلمون أن إبطاءهم فيه سرعة ، وبذا قال الشاعر :

لا قوتي قوة الراعي قلائضه	يأوي فيأوي إليه الكلب والرابع
ولا العسيف الذي يشتد عقبته	حتى يبيت وباتي نعله قطع
لا يحمل العبد فينا فوق طاقته	ونحن نحمل ما لا تحمل القلاع
منا الأناة وبعض القوم يحسبنا	أنا بطاء وفي أبطائننا سرع ^(١)

وتجد في المواقف — الهازل الجاد — نكاحاً وطلاقاً وعتاقاً — فرب هزل ترجم عن جد^(٢) الملتوي المستقيم « السياسة هي الخطوط الملتوية المستقيمة^(٣) » المتصل المنفصل « أنا متصل بالعالم منفصل عنه في نفس الوقت^(٤) » اليقظان النائم « الغامض » وهو يصلي ولا يتوضأ^(٥) ، الحى

(١) الحماسة : ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢) المازني : حصاد الهشيم : ص ٢٢٧ ص ١٥ + وانظر ما يترتب عليه من أحكام ابن العربي : أحكام القرآن : ج ١ ص ٣٩٩ ص ٣٠ .

(٣) أنيس منصور : مواقف : جريدة الأخبار ٢٧ / ٥ / ١٩٧٥ .

(٤) مصطفى محمود : لغز الموت : دار النهضة العربية — دار الهنا للطباعة : ص ٢٧

ص ١٣ .

(٥) الصنعاني : سبل السلام : ج ١ ص ٩٠ ص ١٤ .

الميت « الحرص والمحرض » وهو الذي لا حى فبرجى ولا ميت فينسى (١) ،
 المريض الصحيح « الناقه » وهي تلك الفترة الدقيقة الحرجة التي يكون
 فيها المريض لا هو بالمريض الواهن فيرقد تحت رعاية طبية ولا هو بالمعافى
 فيعاود حياته بنشاطاتها ومسئولياتها (٢) ، الغائب الحاضر .

وإني لأستحييك حتى كأنما على يظهر الغيب منك رقيب (٣)

والضعيف القوي « المرأة بالضعف تقتل وبالأستكانة تمتلك » :

يَصْرَعَنَّ ذَا اللب حتى لا حراك له وهنّ أضعف خلق الله إنسانا

القوى الضعيف « الفارس المحب » ، القريب البعيد « المحبوب الممتنع »
 الراحل المقيم « المحبوب المسافر » الكاسى العاري « نساء اليوم » المتقدم
 المتأخر « المتردد » ، البطيء السريع « المخطط » الحزين الفرح « ورثة
 ميت » والشجي الخلي « وحفظت لنا أمثال العامة : « زي أم العروسة
 فاضية ومشبوكة » (٤) .

وتجد الرابع الخاسر ، الضار النافع ، المدان البرىء ، الآمل اليائس ،
 المتكبر المتطامن ، السهل الصعب ، الضاحك الباكي ، والطاعم الجائع ،
 الثائر الساكن ، الحلو المرّ ، الصامت الناطق ، المفسد المصلح ، المخير
 المسير ، المخطيء المصيب ، المرتاح المتعب ، والأعمى البصير ، مما يصلح أن
 يكون تفسيراً للاستحالة والتناقض في عيوب المعاني مما تصوروا أنه لا عذر
 فيه أو فيه عذر (٥) .

(١) الثعالبي : فقه اللغة ومر العربية : ص ١٩٣ س ٦

(٢) جاذبياً : صدقي : بوابة المتولي : مطابع أخبار اليوم : ص ٤٦ س ١٨

(٣) ديوان ابن الدمينية : تحقيق أحمد راتب النفاخ : مطبعة المدني : ١٣٧٩ هـ - ص .

١٠٦ - البيت ٤٥ .

(٤) أحمد تيمور : الأمثال العامة - المثل ١٣٧١ - ص ٢٣٦

(٥) قدامة : نقد الشعر : ص ٢٣٢ وما بعدها .

ومن ثمّ تكون الأضداد ظاهرة رائعة في اللغة، هي تحل مسائل، بها نفهم النص وندرك مراميهِ وليست مبعث تساؤلات، فما رواه بعض الأدباء :
الفأل والزجر والكهـان كلهم مضللون ودون الغيب أقفال

وعلق عليه ابن العربي بقوله : « وهذا كلام صحيح إلا في الفأل فإن الشرع استثناه وأمر به فلا يقبل من هذا الشاعر ما نظم فيه فانه تكلم بجهل وصاحب الشرع أعلم وأحكم » ^(١) نسي فيه أن الفأل من الأضداد. هذا وفق تصوّره ، أما وفق تصوّرنا فقد حدد صاحب الشرع مظانّ «الشؤم في ثلاثة الفرس والدار والمرأة » ^(٢).

إنها الدقّة اللغوية في أسمى صورها موصولة الأسباب بالحياة. واقع المجتمع تترجمه ظواهر اللغة وإلا فأين الكلمات التي تعبّر عن مثل هذه المواقف ؟ ^(٣).

إن لم تكن الاضداد فلنبحث عنها ..

وإذا كنّا بهذا الاعتبار نسوغ فلنا به نمنع ، ونسأل ماذا يفعل المترجم إزاء هذي الفروق الدقيقة في :

قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل به لغير الله » ١٧٣ م البقرة ٢

وقوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » ١١٥ ك النحل ١٦

(١) ابن العربي : أحكام القرآن : ج ٢ ص ٢١٦ س ٤ من أسفل .

(٢) ابن حنبل : ج ٩ ص ٤٩ س ٥ - الحديث ٦١٩٦ ص ٢٠١ س ٦ + ص

٢٠٢ - الحديث ٦٤٠٥

(٣) ابن فارس : الصحاحي : ص ١٤ س ٩

وفي قوله تعالى : « إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بها في الحياة الدنيا » ٥٥ م
التوبة ٩

وقوله تعالى : « إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا » ٨٥ م التوبة ٩

وفي قوله تعالى : « وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم
جاثمين » ٦٧ ك هود ١١

وقوله تعالى : « وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم
جاثمين » ٩٤ ك هود ١١

وفي قوله تعالى : « ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل »
٨٩ ك الأسراء ١٧

وقوله تعالى : « ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل » ٥٤
ك الكهف ١٨

وفي قوله : « ومن أظلم ممن ذكرّ بآيات ربه فأعرض عنها » ٥٧ ك
الكهف ١٨

وقوله : « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها » ٢٢ ك
السجدة ٣٢

وفي قوله : « إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا
مدبرين » ٨٠ ك النمل ٢٧

وقوله : « فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا
مدبرين » ٥٢ ك الروم ٣٠

بل ما عساه يترجم وليس ثمة من فرق في الظاهر ، قوله تعالى :

« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ١٤٦ م البقرة
٢ + ٢٠ م الأنعام ٦

وقوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ١٦٨
م البقرة ٢ + ٢٠٨ م البقرة ٢

وقوله تعالى : « سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها أبدا » ٥٧ م النساء ٤ . ١٢٢ م النساء ٤ .

وقوله تعالى « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم »
١٠ م المائدة ٥ + ٧٦ م المائدة .

وقوله تعالى : « قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » ١٢ ك
الأعراف ٧ + ٧٦ + ٣٨ ، وقوله تعالى : « يحلون فيها من أساور
من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير » في ٢٣ م الحج ٢٢ ، ٢٣ م
فاطره ٣

وقوله تعالى : « أليس في جهنم مثوى للكافرين » ٦٨ ك العنكبوت
٢٩ + ٣٢ ك الزمر ٣٩ .

الفصل الثالث

المشاكلة

Assimilation

ينقل إليك ناقل كلاما يمسك من إنسان له يد عليك أو بينه وبينك تواشج فتجد نفسك قد استبد بك غضب تترجمه ألفاظا تسف في الحديث فيه ؛ وليس هذا حديثك المعهود عنه وما يعيبك أحد عليه ، لأنك لم تقم بما قمت به إلا تجاه ما ووجهت به ، هي ظروف الموقف وطبيعته أهلت ما اضطرتت إليه وحملت عليه ، واقتضت أن يكون مسلكك ما ليس إياه عادة .

هي مشابهة الأمر ومشاكلة الموقف وليست هذه المشابهة أو تلك المشاكلة سوى سنة الله في خلقه يجري عليها الناس ، بل إنه في المواجهة يلتبس لك الناس المعاذير بهذا المبدأ وتلك الجهة وهي مراعاة الموقف أيا ما كان كلاما أم مذهبا أم لفظا .

في النحو مثلا تجد المجرور بالمجاورة في قولهم : « هذا جحر ضبٌ خرب »^(١) والخرب نعت الجحر لانعت الضبّ إذ « للجوار حق في

(١) سيبويه : الكتاب - طبعة باريس ١٨٨١ : ج ١ ص ١٨٤ ، ط هارون ج : ١ ص ٦٧ س ٤ ، ص ٤٣٦ س ٤ + الزجاج : إعراب القرآن : ص ٣٨٠ س ٨ + الضعالي : فقه اللغة : ص ٤٨٣ س ٣ .

كلام العرب » ^(١) وعلى هذا قول امرئ القيس :

كأن ثبيراً في عرايين وبله كبير أناس في بجاد مزمل

فالزمل نعت للشيخ لا نعت البجاد، وحقه الرفع ولكنه خفض للجوار
وكما قال الآخر :

يأليت شيخك قد غدا متقلدا سيفاً ورمحاً

والرمح لا يتقلد وإنما قال ذلك لمجاورته السيف ، والغدايا والعشايا
ولا يقال الغدايا إذا أفردت عن العشايا لأنها الغدوات ^(٢) .

وفي المستثنى المتصل الذي يكون بعضاً مما قبله جواز نصبه على الاستثناء
وإتباعه لما قبله في الإعراب وهو المختار بيد أن النصب يختار دون الإتيان
إذا طال الفصل لأن الإتيان إنما يختار للتشاكل ^(٣) .

وفي علم الصرف تجد المشكلة علّة من العلل ^(٤) .

وفي القراءة القرآنية تجد ما يسمّى بالتماثل أو التشاكل بما هي تأثر

(١) الثعالبي : فقه اللغة : ص ٤٨ س ٨ + ياقوت : معجم الأدياء ج ١٢ ص ١٥٨

(٢) الثعالبي فقه اللغة : ص ٤٨٣ + اللسان : ج ٤ سنة ١٣١٠ ص ٣٦٩ س ١٣ .

(٣) الخصري : حاشية على شرح ابن عقيل : الطبعة الثالثة - المطبعة الأزهرية المصرية - ١٣٦٢ هـ ج ١ ص ٢٠٢ من ٢ من أسفل + وانظر : ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي النحوي : شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح تحقيق وتعليق محمد فواد عبد الباقي - مطبعة لجنة البيان العربي ص ٧٣ + ٧٤ + ٧٥

(٤) ابن كمال باشا - الفلاح شرح مراح الأرواح : ص ١١ .

صوت مجاور أو مقارب بصوت لآخر ، ويعتبر الرّماني ٣٨٦ هـ الفواصل تابعة للمعاني وهي حروف متشاكلية في المقاطع ^(١) ، والمشاكلية وصلة إليه (الغرض) فهو بلاغة ^(٢) .

وهو الاتباع نحو خالدة تالدة وحسن بسن وشيطان ليطان ^(٣) الذي يرى القمالي أنه قسمان : ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً لأن لفظه مخالف للفظ الأول ، وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول ^(٤) . ومثال الأول : غنّي مليّ وهو بمعنى غني ، ومثال الثاني : هنر مذر فإن الأول كثير للكلام والثاني من مذرت البيضة أي فسدت ^(٥) .

وهو المزوجة والمحاذاة ومنه ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير المال سكة مأبورة ، ومهرة مأمورة » ، فقال مأمورة لأجل المناسبة والمستعمل مأمورة أي كثيرة النتائج كما قرئ « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمّرنا مترفيها » أي كثّرنا ^(٦) وأنه كان يعوذ الحسن والحسين عليهما السلام فيقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ولم يقل ملمة لأجل المناسبة ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الحديث : « ترجعن مأزورات غير مأجورات

- (١) الرماني : التكت في إعجاز القرآن : ص ٨٨ ، ٨٩ .
 (٢) المصدر السابق : ص ٩٠ وانظر السيوطي : معترك الأقربان : القسم الأول . ص ٣٠ .
 ٩ + ٣٢ + ٣٣ + ٣٤ + ٣٥ + ٣٦ + ٣٧ + ٣٨ + ٣٩ .
 (٣) أبو زيد : النوادر : ص ١١٣ + الثعالبي : فقه اللغة : ص ٥٦٦ . ص ٧ + انظر : ابن منظور : اللسان . مادة رشد ، مادة نوع + السيوطي : جمع افعول ج ٢ ص ١١٨ + المزهر : ج ١ ص ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ .
 (٤) القمالي : الأمالي : ج ٢ ص ٢١١ .
 (٥) المصدر السابق : ص ٢١٣ . ص ٢ .
 (٦) الحفاجي : سر الفصاحة : ص ١٦٨ . ص ١ من أسفل

« لأن مأزورات من الوزر والمستعمل موزورات فجاء به هكذا لأجسل المناسبة » (١) .

فهو المناسبة وهو أيضاً الازدواج والمطابقة والمشاكلة التي يقرر الزجاج أنها باب واسع يعقد له بابا لما جاء في التنزيل منه وفيه تجد مرة يشاكل اللفظ باللفظ والمعنى بالمعنى وباللفظ دون المعنى وبالمعنى دون اللفظ ويعدّ فيها قراءة من قرأ « وما يخادعون إلا أنفسهم » بالألف طابق به « يخادعون الله » وأراد أن يكون اللفظ المثبت هو المعنى ، ومثله « إنما نحن مستهزون » ، « الله يستهزئ بهم » والثاني جزاء الاستهزاء ، ومثله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » والثاني جزاء وليس بعدوان ، ومثله : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » ٥٤ م آل عمران ٣ ، أي جازاهم (٢) مما دفع ابن الجوزي لرد كلام المتصوفة في تقسيمات المكر منكرا « وهسل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نعتله من معنى المكر وإنما معنى مكره وخداعه أنه مجازي الماكرين والمخادعين » (٣) .

هي مراعاة المخاطبين التي يكشف عن طرف منها رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاء سكوته صدد ردّ الجارية بشأن الله في السماء ، لقصور

(١) الخفاجي : سر الفصاحة : ص ١٦٩ س ٥ ، وانظر ابن منظور : اللسان مادة ديب ، السيوطي : المزهري : ص ٣٣٩ وما بعدها .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٤١ س ٢ + الرضوي : تلخيص البيان : ص ١١٣ س ٤ من أسفل + ص ١٢٣ س ١٠ + ص ١٣٣ س ١٠ + ١٣٥ س ١٤ ، الزجاج : إعراب القرآن : الباب التاسع عشر : ٣٧٦ ٣٧٧ + ابن رشيق العمدة : ج ١ ص ٢٣٧ س ١٧ + الراغب : المفردات : ص ٧١٥ + فتح الخولي : قطوف لغوية - مكتبة الإرشاد جدة - الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ص ٣٧ .

(٣) ابن الجوزي : نقد العلم والعلماء : ص ٣٣٤ س ٢

وإذا كان القرآن الكريم قد راعى طبيعة العربي لدى الجاحظ (٢) فإنه راعى طبيعة المخلوقين لدى الجرجاني (٣) ، ذلك مثل قوله تعالى : « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه ، فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون » ٢٥ - ٢٨ ك الذاريات ٥٦ . . . ومن ثم نجد لسدى ثعلب « السمرات مطويات بيمينه » هو كما تقول : « الدار بيدى » والشيء في يدي (٤) . وجه الرازي أشياء كثيرة إذ إن الله سبحانه وتعالى « خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا يزورونه وليس أنه يسكنه تعالى الله عنه وجعل ركن البيت حجرا هو يمينه في الأرض إذ كان من شأنهم أن يعظموا رؤساءهم بتقبيل أيمنهم ، وجعل على العباد حفظة ليس لأن النسيان يجوز عليه سبحانه لكن لأن هذا هو المتعارف فكذلك لما كان من شأن الملك إذا أراد محاسبة عمال جلس إليهم على سرير ووقف الأعوان حوله أحضر الله يوم القيامة عرشا وحضرت الملائكة وحفت به لا لأنه يقعد عليه أو يحتاج إليه بل لمثل ما قلناه في البيت والطواف » (٥) وعليه فسر الرازي المراد من الاستواء على العرش بما هو تدبير بأمر الملك والملوك في قوله « ثم استوى على العرش يدبر الأمر » ٣ ك يونس ١٠ ، وقوله « ثم استوى إلى السماء وهي دخان » ١١ ك فصلت ٤١ - وأن هذا وأمثلة يحمل فيها على نهايات الأعراض لا على بداياتها (٦) وفي قوله تعالى : « قال لا تخافا إنني معكما

(١) الرازي : أساس التقديس : ص ١٨٤ س الأخير + ص ٢٠٢ س ٩ .

(٢) الجاحظ : الحيوان : ج ١ ص ٩٤ س ٥ .

(٣) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ص ١٨٥ س ٩ + ص ١٨٦ س ١١ .

(٤) ثعلب مجالس ثعلب القسم الثاني ص ٤٦٩ .

(٥) الرازي : مفاتيح الغيب : ج ٨ ص ٢٠١ .

(٦) الرازي : أساس التقديس : ص ١٠٠ + ١٩١ س ٣ من أسفل ، مفاتيح الغيب

ج ٤ ص ٢٢٦ ، ص ٢٣٠ ، ج ٦ ص ٥٩٠ .

أسمع وأرى» ٤٦ ك طه ٢ يقرر ابن تيمية أن « المعية على ظاهرها وحكمها في هذا الموطن النصر والتأييد ، وقد يدخل على صبي من يخيفه فيسهر عليه أبوه من فوق السقف ويقول : لا تخف أنا معك ، أو أنا هنا أو أنا حاضر — ونحو ذلك ، ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال رفع المكروه ففرق بين المعية وبين مقتضاها » (١) .

إذن فالقرآن الكريم يجري على طبيعة البشر ، مشاكلاً أسلوبهم وطريقتهم وكان من ذا النداء «يا» دون غيرها من أدوات النداء ...

ونجد في هذا تفسيراً لم يعرض له عبد القاهر صدد تحليله لقول الله تعالى : «(وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أفلعي ، وغيض الماء، وقضي الأمر ، واستوت على الجودي ، وقيل بعداً للقوم الظالمين » ٤٤ ك هود (١١)(٢)

وكان هذا النداء للكائنات على اختلافها، لم نجد آية بها نداء من الله إنا إلا «يا» نحو :

« يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم » ٢١ م البقرة ٢ «يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» ٤٠ م البقرة ٢ + ٤٧ م البقرة ٢ « يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا » ١٠٤ م البقرة ٢ «يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» ١٢٢ م البقرة

(١) ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ط محمد على صبيح ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م : ج ١ ص ٤٦٦

(٢) عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ٣٦ ، ٣٧ وانظر : الشاطبي : الموافقات : ج ١ ص ١٢٩ — الزجاج : إعراب القرآن : القسم الثاني : الباب الثاني والثلاثون من ص ٦٤٨ إلى ٦٥٢

٢ « يأياها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » ١٥٢ م البقرة ٢ + « يأياها
 الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا » ١٦٨ م البقرة ٢ + « يأياها الذين
 آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ١٧٢ م البقرة ٢ + « يأياها الذين آمنوا
 كتب عليكم القصاص في القتلى » ١٧٨ م البقرة ٢ + « يأياها الذين آمنوا
 كتب عليكم الصيام » ١٨٣ م البقرة ٢ + « يأياها الذين آمنوا ادخلوا في السلم
 كافة » ٢٠٨ م البقرة ٢ + « يأياها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم » ٢٥٤
 م البقرة ٢ + « يأياها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى » ٢٦٤ م
 البقرة « يأياها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ٢٠٧ م البقرة ٢
 + « يأياها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا » ١٧٨ م البقرة ٢ +
 « يأياها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ٢٨٢ م البقرة
 ٢ + « يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين » ٤٣ م آل
 عمران ٣ + « يأياها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب
 يردوكم بعد إيمانكم كافرين » ١٠٠ م آل عمران ٣ + « يأياها الذين
 آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ١٠٢ م آل عمران ٣ + « يأياها الذين آمنوا لا
 تتخذوا بطانة من دونكم » ١١٨ م آل عمران ٣ + « يأياها الذين آمنوا لا
 تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » ١٣ م آل عمران ٣ + « يأياها الذين آمنوا إن
 تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم » ١٤٩ م آل عمران ٣ +
 « يأياها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا » ١٥٦ م آل عمران ٣ +
 « يأياها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » ٢٠٠ م آل عمران ٣ +
 « يأياها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » ١ م النساء ٤ +
 « يأياها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرها » ١٩ م النساء ٤ +
 « يأياها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ٢٩ م النساء ٤ +
 « يأياها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » ٤٣ م النساء ٤ +
 « يأياها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم » ٤٧ م النساء ٤ +

«يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» ٥٩ م النساء
 ٤ + «يأيها الذين آمنوا خلوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا» ٧١
 م النساء ٤ + «يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا» ٩٤ م
 النساء ٤ + «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله» ١٣٥ م
 النساء ٤ + «يأيها الذين آمنوا بالله ورسوله» ١٣٦ م النساء ٤ +
 «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين» ١٤١ م
 النساء ٤ + «يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا
 لكم» ١٧٠ م النساء ٤ + «يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا
 إليكم نورا مبينا» ١٧٤ م النساء ٤ + «يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»
 ١ م المائدة + «يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام» ٢
 م المائدة ٥ + «يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم»
 ٦ المائدة ٥ + «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط» ٨ م
 المائدة ٥ + «يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن
 يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم» ١٢ م المائدة ٥ + «يأيها الذين
 آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة» ٣٥ م المائدة ٥ + «يأيها الرسول
 لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر» ٤٩ م المائدة ٥ + «يأيها الذين آمنوا
 لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء» ٥١ م المائدة ٥ + «يأيها الذين آمنوا
 من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» ٥٤ م المائدة
 ٥ + «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من
 الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وال كفار أولياء» ٥٧ م المائدة ٥ + «يأيها
 الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» ٦٧ م المائدة ٥ + «يأيها الذين آمنوا
 لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم» ٨٧ م المائدة + «يأيها الذين آمنوا إنما
 الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه»
 ٩٠ م المائدة ٥ + «يأيها الذين آمنوا ليبولونكم الله بشيء من الصيد» ٩٤

م المائدة ٥ « يأبها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » ٩٥ م المائدة ٥ + « يأبها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكنم تسؤكنم » ١٠١ م المائدة ٥ + « يأبها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل » ١٠٥ م المائدة ٥ + « يأبها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » ١٠٦ م المائدة ٥ + « إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك » ١١٠ م المائدة ٥ + « وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » ١١٦ م المائدة ٥ + « يا بني آدم فد أنزلنا عليك لباسا يوارى سواكسهم وریشا » ٢٦ ك الأعراف ٧ + « يا بني آدم لا يفتنكنم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة » ٢٧ ك الأعراف ٧ + « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » ٣١ ك الأعراف ٧ + « يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي » ٣٥ ك الأعراف ٧ + « قال ياموسى إني اصطفتيك على الناس برسالاتي » ١٤٤ ك الأعراف ٧ + « قل يأبها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » ١٥٨ ك الأعراف ٧ + « يأبها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » ١٥ م الأنفال ٨ + « يأبها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه » ٢٠ م الأنفال ٨ + « يأبها الذين آمنوا استجبوا لله ولرسله إذ دعاكم » ٢٤ م الأنفال ٨ + « يأبها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول » ٢٧ م الأنفال ٨ + « يأبها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » ٢٩ م الأنفال ٨ + « يأبها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا » ٤٥ م الأنفال ٨ + « يأبها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ٦٤ م الأنفال ٨ + « يأبها النبي حررض المؤمنين على القتال » ٦٥ م الأنفال ٨ + « يأبها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم » ٧٠ م الأنفال ٨٠ + « يأبها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان » ٢٣ م التوبة ٩ + « يأبها آمنوا إنما المشركون نجس »

٢٨ م التوبة ٩ + « يأياها الذين آمنوا إن كثير آمن الأبحار والرهبان ليأكلون
 أموال الناس بالباطل » ٣٤ م التوبة ٩ + « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا
 قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » ٣٨ م التوبة ٩ + « يأياها
 النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم » ٧٣ م التوبة ٩ + « يأياها الذين
 آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ١١٩ م التوبة ٩ + « يأياها الذين
 آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » ١٢٣ م التوبة ٩ + « يأياها الذين
 آمنوا إنما بغيتكم على أنفسكم » ٢٣ م التوبة ٩ + « يأياها الناس قد
 جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء » ٥٧ م التوبة ٩ + « قل يأياها الناس إن
 كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله » ١٠٤ م التوبة ٩ +
 « قل يأياها الناس قد جاءكم الحق من ربكم » ١٠٨ م التوبة ٩ + « يا
 + « قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » ٤٦ م التوبة ٩ + « يا
 « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك » ٤٨ م التوبة ٩ + « يا
 إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك » ٧٦ م التوبة ٩ + « قال
 يا إبلis ما لك ألا تكون مع الساجدين » ٣٢ م التوبة ٩ + « يا زكريا
 إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » ٧ م التوبة ٩ + « يا
 « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا » ١٢ م التوبة ٩ + « فلما
 أتاه نودي يا موسى إني أنا ربك فاخضع لنجليك » ١١ م التوبة ٩ + « وما
 تلك بيمينك يا موسى » ١٧ م التوبة ٩ + « قال ألقها يا موسى » ١٩ م التوبة ٩ +
 « قال قد أوتيت سؤالك يا موسى » ٢٦ م التوبة ٩ + « جئت على
 قدر يا موسى » ٤٠ م التوبة ٩ + « يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم »
 ٨٠ م التوبة ٩ + « وما أعجلك عن قومك يا موسى » ٨٣ م التوبة ٩ + « فقلنا
 يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك » ١١٧ م التوبة ٩ + « طه ٢٠
 « يأياها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم » ١ م الحج ٢٢ +
 « يأياها الناس إن كنتم في ريب من البعث فلإنا خلقناكم » ٥ م الحج ٢٢

« قل يأيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين » ٤٩ م الحج ٢٢ + « يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له » ٧٣ م الحج ٢٢ « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم » ٧٧ م الحج ٢٢ + « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » ٥١ ك المؤمنون ٢٢ + « يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان » ٢١ م النور ٢٤ + « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم » ٢٧ م النور ٢٤ + « يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم » ٥٨ م النور ٢٤ + « يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم » ٩ ك النمل ٢٧ « يأيها الناس عايننا منطق الطير وأوتينا من كل شيء » ١٦ ك النمل ٢٧ + « أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين » ٣٠ ك القصص ٢٨ « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ٣١ ك القصص ٢٨ « يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون » ٥٦ ك العنكبوت ٢٩ + « يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده » ٣٣ ك لقمان ٣١ + « يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » ١ م الأحزاب ٣٣ + « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم » ٩ الأحزاب ٣٣ + « يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن « ٢٨ م الأحزاب ٣٣ + « يانساء النبي لستن كأحد من النساء » ٢٢ م الأحزاب ٣٣ + « يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » ٤١ م الأحزاب ٣٣ « يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » ٥٤ م الأحزاب ٣٣ + « يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لکم عليهن من عدة تعتدونها » ٤٩ م الأحزاب ٣٣ « يأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن » ٥٠ م الأحزاب ٣٣ + « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لکم » ٥٣ م الأحزاب ٣٣ + « يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » ٥٦ م الأحزاب ٣٣ + « يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين

عليهن من جلابيهن « ٥٩ م الأحزاب ٣٣ + » يأياها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا « ٦٩ م الأحزاب ٣٣ + » يأياها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا « ٧٠ م الأحزاب ٣٣ + » يأياها الناس اذكروا نعمة الله عليكم « ٣ ك فاطر ٣٥ + » يأياها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا « ٥ ك فاطر ٢٥ + » يأياها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد « ١٥ ك فاطر ٣٥ + ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان « ٦٠ ك يس ٣٦ + » وناديه أن يا إبراهيم « ١٠٤ ك الصافات ٣٧ .

« يأياها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ٧ م محمد ٤٧ + « يأياها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ٣٣ م محمد ٤٧ + يأياها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله « ١ م الحجرات ٤٩ + » يأياها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي « ٢ م الحجرات ٤٩ + » يأياها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، ٦ م الحجرات ٤٩ + « يأياها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم » ١١ م الحجرات ٤٩ + « يأياها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن » ١٢ م الحجرات ٤٩ + « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ١٣ م الحجرات ٤٩ + « يأياها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته » ٢٨ م الحديد ٥٧ + « يأياها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان » ٩ م المجادلة ٥٨ + « يأياها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا » ١١ م المجادلة ٥٨ + « يأياها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » ١٢ م المجادلة ٥٨ + « يأياها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » ١٨ م الحشر ٥٩ + « يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى مهاجرات فامتنحوهن » ١٠ م الممتحنة ٦٠ + « يأياها النبي إذا جاءك

المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً» ١٢ م الممتحنة ٦٠ + «يأياها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم» ١٣ م الممتحنة ٦٠ + «يأياها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون» ٢ م الصف ٦١ + «يأياها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم» ١٠ م الصف ٦١ + «يأياها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم» ١٤ م الصف ٦١ + «قل» «يأياها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» ٦ م الجمعة ٦٢ + «يأياها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله» ٩ م الجمعة ٦٢ + «يأياها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله» ٩ م المنافقون ٦٣ «يأياها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم» ١٤ م التغابن ٦٤ + «يأياها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» ١ م الطلاق ٦٥ + «يأياها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك» ١ م التحريم ٦٦ + «يأياها الذين آمنوا قوا أنفسكم نارا وقودها الناس والحجارة» ٦ م التحريم ٦٦ + «يأياها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون» ٧ م التحريم ٦٦ + «يأياها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا» ٨ م التحريم ٦٦ + «يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» ٩ م التحريم ٦٦ + «يأياها المزملة قسم الليل إلا قليلا» ١ ك المزملة ٧٣ + «يأياها المدثر قم فأنذر» ١ ك المدثر ٧٤ + «يأياها الإنسان ما غرك بربك الكريم» ٦ ك الانفطار ٨٢ + «يأياها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه» ٦ ك الانشقاق ٨٤ + «قل يأياها الكافرون لا أعبد ما تعبدون» ١ ك الكافرون ١٠٩ .

أما ندأؤنا نحن لله سبحانه وتعالى فينبغي أن يكون غير ذلك، ينبغي أن يكون مُشاكلاً للمستوى الإلهي إن صح التعبير لأن ما ورد خطاباً لنا كان مشاكلاً لأسلوبنا وبهذا علمنا القرآن الكريم فلم ترد آية واحدة

خطاباً من البشر لله سبحانه وتعالى بها أداة نداء مصرحاً بها وإنّما كان النداء منوباً ولننظر استقصاء ..

« وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً » ١٢٦ م البقرة ٢ ،
« وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى » ٢٦٠ م البقرة ٢ . « إذ
قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ٣٥ م آل
عمران ٣ . « فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى » ٣٦ م آل عمران
« قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة » ٣٨ م آل عمران ٣ ، « قال
رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقراً » ٤٠ م آل عمران
٣ ، « قال رب اجعل لي آية » ٤١ م آل عمران ٣ ؛ « قالت رب أنى
يكون لي ولد ولم يمسني بشر » ٤٧ م آل عمران ٣ ، « قال رب إني
لا أملك إلا نفسي وأخي » ٢٥ م المائدة ٥ ، « قال رب أرني أنظر إليك »
١٤٣ ك الأعراف ٧ ، « قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك »
١٥١ ك الأعراف ٧ ، « قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي » ١٥٥
ك الأعراف ٧ ، « فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق » ٤٥ ك
هود ١١ « قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم » ٤٧ ك
هود ١١ ، « قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه » ٣٣ ك يوسف
١٢ . « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث » ١٠١ ك
يوسف ١٢ ، « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً » ٣٥ ك إبراهيم
١٤ ، « رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني » ٣٦ ك
إبراهيم ١٤ ، « رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء »
٤٠ ك إبراهيم ١٤ ، « قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون » ٣٦ ك الحجر
١٥ ، « قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض » ٣٩ ك الحجر ١٥٠
« وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » ٢٤ ك الإسراء ١٧ « وقل رب
أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق » ٨٠ م الإسراء ١٧ ، « قال

رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا « ٤ ك مريم ١٩ ، « ولم أكن بدعائك رب شقيا « ٤ ك مريم ١٩ ، « يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا « ٦ ك مريم ١٩ « قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا « ٨ ك مريم ١٩ ، « قال رب اجعل لي آية « ٢٠ ك مريم ١٩ « قال رب اشرح لي صدري « ٢٥ ك طه ٢٠ ، « قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى « ٨٤ ك طه ٢٠ « وقل رب زدني علما « ١١٤ ك طه ٢٠ ، « قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا « ١٢٥ ك طه ٢٠ ، « وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدركني فردا وأنت خير الوارثين « ٨٩ ك الأنبياء ٢١ ، « قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون « ١١٢ ك الأنبياء ٢١ ، « قال رب انصرني بما كذبون « ٢٦ ك المؤمنون ٢٣ ، « وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين « ٢٩ ك المؤمنون ٢٣ ، « قال رب انصرني بما كذبون « ٢٩ ك المؤمنون ٢٣ ، « قل رب إني تريني ما يوعدون « ٩٣ ٩٣ ك المؤمنون ٣٣ ، « رب فلا تجعلني في القوم الظالمين « ٩٤ ك المؤمنون ٢٣ ، « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين « ٩٧ ك المؤمنون ٢٣ ، « وأعوذ بك رب أن يحضرون « ٩٨ ك المؤمنون ٢٣ ، « وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين « ١١٨ ك المؤمنون ٢٣ « قال رب إني أخاف أن يكذبون « ١٧ ك الشعراء ٢٦ ، « رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين « ٨٣ ك الشعراء ٢٦ ، « قال رب إن هومي كذبون « ١١٧ ك الشعراء ٢٦ ، « رب نجني وأهلي مما يعملون « ١٦٩ ك الشعراء ٢٦ ، « وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ « ١٩ ك النمل ٢٧ ، « قالت رب إني ظلمت نفسي « ٤٤ ك النمل ٢٧ ، « قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له « ١٦ ك القصص ٢٨ « قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين « ١٧ ك القصص ٢٨ « فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين « ٢١ ك

القصص ٢٨ ، « فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير » ٢٤ القصص
 ٢٨ ، « قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون » ٣٣ ك القصص
 ٢٨ ، « قال رب انصرني على القوم المفسدين » ٣٠ ك العنكبوت ٢٩ ،
 « رب هب لي من الصالحين » ، ١٠٠ ك الصافات ٣٧ . « قال رب اغفر
 لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » ٣٥ ك ص ٣٨
 « قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون » ٧٩ ك ص ٣٨ ، « قال رب أوزعني
 أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعسى والدي » ١٥ م
 الأحقاف ٤٦ ، « رب لولا أخرجتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من
 الصالحين » ١٠ م المنافقون ٦٣ ، « رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني
 من فرعون وعمله » ١١ م التحريم ٦٦ ، « قال رب إني دعوت قومى
 ليلاً ونهاراً » ٥ ك نوح ٧١ ، « قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من
 لم يزده ماله وولده إلا خساراً » ٢١ ك نوح ٧١ ، وقال نوح رب لا تذر
 على الأرض من الكافرين دياراً » ٢٦ ك نوح ٧١ ، « رب اغفر لي
 ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً » ٢٨ ك نوح ٧١ ، « ربنا تقبل منّا إنّاك
 أنت السميع العليم » ١٢٧ م البقرة ٢ ، « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
 ذرئتنا أمة مسلمة لك » ١٢٨ م البقرة ٢ ، « ربنا وابعث فيهم رسولا
 منهم يتلو عليهم آياتك » ١٢٩ م البقرة ٢ . « فمن الناس من يقول ربنا
 آتانا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق » ٢٠٠ م البقرة ٢ . « ومنهم
 من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » ٢٠١ م البقرة ٢
 « ولما برزوا للجحيم وجنوده قالوا : ربنا أفرغ علينا صبراً » ٢٥٠ م
 البقرة ٢ ، « وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ٢٨٥ م
 البقرة ٢ ، « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ٢٨٦ م البقرة ٢ .
 « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ٢٨٦ م البقرة

٢ « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ٢٨٦ م البقرة ٢ ، « ربنا ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة » ٨ م آل عمران ٣ ، ، « ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه » ٩ م آل عمران ٣ ، « الذين يقولون ربنا إننا آمننا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » ١٦ م آل عمران ٣ . « ربنا آمننا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » ٥٣ م آل عمران ٣ ، « ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا » ١٤٧ م آل عمران ٣ ، « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار » ١٩١ م آل عمران ٣ ، « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار » ١٩٢ م آل عمران ٣ — ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا » ١٩٣ م آل عمران ٣ ، « ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » ١٩٣ م آل عمران ٣ ، « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة » ١٩٤ م آل عمران ٣ ، « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ٧٥ م النساء ٤ ، « وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب » ٧٧ م النساء ٤ « يقولون ربنا آمننا فاكتبنا مع الشاهدين » ٨٣ م المائدة ٥ ، « قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء » ١١٤ م المائدة ٥ ، « وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضهم ببعض » ١٢٨ ك الأنعام ٦ ، « قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » ٢٣ ك الأعراف ٧ ، « ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار » ٣٨ ك الأعراف ٧ ، « قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » ٤٧ ك الأعراف ٧ ، « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » ٨٩ ك الأعراف ٧ ، « ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » ١٢٦ ك الأعراف ٧ ، « فقالوا : على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ٨٥ ك يونس ١٠ ، « وقال موسى : ربنا إنك آتيت فرعون وماله

زينة وأموالا في الحياة الدنيا « ٨٨ ك يونس ١٠ ، « ربنا ليضلوا عن سبيلك « ٨٨ ك يونس ١٠ ، « ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم « ٨٨ ك يونس ١٠ ، « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم « ٣٧ ك إبراهيم ١٤ ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم « ٣٧ ك إبراهيم ١٤ ، « ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن « ٣٨ ك إبراهيم ١٤ ، « رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء « ٤٠ ك إبراهيم ١٤ ، « رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب « ٤٠ ك إبراهيم ١٤ ، « ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبّع الرسل « ٤٤ ك إبراهيم ١٤ ، « ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنّا ندعو من دونك « ٨٦ ك النحل ١٦ ، « ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا « ١٠ ك الكهف ١٨ . « قالوا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى « ٤٥ ك طه ٢٠ ، « ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى « ١٣٤ ك طه ٢٠ » قال : رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون « ١١٢ ك الأنبياء ٢١ ، « قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين « ١٠٦ ك المؤمنون ١٣ ، « ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون « ١٠٧ ك المؤمنون ٣٣ ، « ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين « ١٠٩٠ ك المؤمنون ٢٣ ، « والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم « ٦٥ ك الفرقان ٢٥ ، « الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين « ٧٤٠ ك الفرقان ٢٥ ، « ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك « ٤٧ ك القصص ٢٨ ، « ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا « ٦٣ ك القصص ٢٨ ، « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون « ١٢ ك السجدة ٣٢ ، « وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا « ٦٧ م الأحزاب ٣٣ ، « ربنا آتاهم ضعفين من العذاب والعنهم

لعنا كبيراً « ٦٨ م الأحزاب ٣٣ . « فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا وظالموا أنفسهم » ١٩ ك سبأ ٣٤ ، « ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل » ٣٧ ك فاطر ٣٥ ، « وقالوا : ربنا عجل لنا قطناً قبل يوم الحساب » ١٦ ك ص ٣٨ . « قالوا : ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار » ٦١ ك ص ٣٨ ، « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا » ٧ ك غافر ٤٠ . « ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم » ٨ ك غافر ٤٠ « قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا » ١١ ك غافر ٤٠ ، « وقال الذين كفروا : « ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا » ٢٩ ك فصلت ٤١ : « ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون » ١٢ ك الدخان ٤٤ ، « قال قريشه : ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد » ٢٧ ك ق ٥٠ ؛ « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » ١٠ م الحشر ٥٩ : « ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » ١٠ م الحشر ٥٩ ، « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير » ٤ م الممتحنة ٦٠ ، « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا » ٥ م الممتحنة ٦٠ ، « واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم » ٥ م الممتحنة ٦٠ ؛ « ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير » ٨ م التحريم ٦٦ .

ولم ترد « يا » سوى في موضعين كانت فيهما على سبيل الحكاية ذلك قوله تعالى « وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » . ٣٠ ك الفرقان ٢٥ وقوله تعالى : « وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون » ٨٨ ك الزخوف ٤٣

وإن شئت فانظر إلى نداء نوح لابنه في قوله : « ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا » ٤٢ ك هود ١١ .

وانظر إلى نداء نوح لربه في قوله : « ونادي نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي » ٤٥ ك هود ١١ .

وينبغي ألا نخلط بين الطبيعتين فإن الأوصاف التي وردت لله سبحانه وتعالى إنما هي جارية على ما نعرفه نحن في حيواتنا وما نرسله من قول في عرفنا أما الحقيقة الإلهية فشيء آخر تقدره آيات كقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) .

ولعل هذا ما يمكننا من فهم أبعاد منهم من إطلاق الأسماء على الله سبحانه وتعالى فكانت توفيقية إذ لا يجوز أن يسمى ألا بما سمى به ذاته وجاء به الشرع فقررنا « أن لا يذكر العبد ربه إلا بالأسماء السني ورد التوقيف بها » ^(١) فلا يقال له : ما كر أو مستهزئ أو مخادع ، بل فيما هو أدق من ذلك « أن يقال : يا جواد ولا يجوز أن يقال : يا سخي ولا أن يقال يا عاقل يا طيب يافقيه وذلك يدل على أن أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية » ^(٢)

وكان لذلك من نفى المجاز في القرآن لأن الله لا يقال له متجاوز إذ يتوقف إطلاقه في حق الله على الإطلاق الشرعي ^(٣) . ولعل هذا يكشف عما كان يدور في أذهان القوم الذين قالوا بالتوقيف في الأسماء ثم انسحب هذا على الأفعال والحروف بما هو نفى للمواضعة لأن الله لم يصف نفسه

(١) الزمخشري : الكشاف : ج ١ ص ٣٥٨ + ٣٥٩ + الرازي : مفاتيح الغيب ج ٨ ص ٣٧٧ س ٦ من أسفل + ٣٧٨ س ٨ .

(٢) الرازي : مفاتيح الغيب : ج ٤ ص ٣٣٣ س ١٨ + المغربي : مواهب الفتح : ج ٤ ص ٢٦٩ س ٣ .

(٣) الآمدي : الأحكام : ج ١ ص ٦٥ .

بهذا الوصف « ولأن المواضعة تحتاج إلى جارحة » ^(١) ثم من زاوية أخرى للذم الواردة لأسماء كان وجهه « مخالفة ذلك لما شرع الله » ^(٢) بما هو قرآن : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » ١٠٣ م المائدة ٥ ^(٣)، ومن ثم نجد ربطاً بين التوقف والتجوز ضيقاً واتساعاً...

حقاً أنه إذا كان الأسلوب القرآني قد شاكل الأسلوب البشري فأحرى أن يشاكل الأسلوب البشري بعضه بعضاً ، ولا يغيب عنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه النمر بن تولب رضي الله عنه « ليس من أمبر أمصيام في أمسفر » ^(٤) مشاكلة لطبيء وحمير ويستشعر الإنسان قيمة ذلك إذا ما حلّ ببلد غريب ووجد من يتكلم لغته فإنه يهش له ويفرح به .

ومن ممّا لا يذهب إلى بلادته في الريف فيقلب القاف جيماً أو همزة والهمزة نفسها قد تقلب واوا إلى غير ذلك مما لا نريد أن نتكثر به ومما عنيت به كتب دراسة اللهجات عدا تفاريق بدوريات متباينة .

أيّما ما كان الأمر فإنما نعد هذا أسمى مظاهر التواشج بين الأخ وأخيه المتلطف والمتجاني ، المنتج والقابل ، ولذا كان من أصل المتطلبات اصطناع

(١) السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٩ + انظر : د . حسن عون : اللغة والنحو
ص ٢٤ ص ٣ .

(٢) نلشوكاني : إرشاد الفحول : ص ١٣ ص ٩ .

(٣) الزمخشري : الكشاف : ج ١ ص ٢٧٧ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب : ١٣٠٠ هـ ج ٥ ص ١١٦ ص ٤ +

مغني اللبيب : طبعة عيسى البابي الحلبي ج ١ ص ٤٧ ص ٣ .

لغة كل فريق نتحدث إليه ونؤثر فيه لونا من ألوان المشكلة وهذا ما أكد به بشر بن المعتمر ٢١٠ هـ فيما سجله الجاحظ إذ يقول « ينبغي للمكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازي بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني : ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات . فإن كان الخطيب متكلمًا تجنب ألفاظ المتكلمين . كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارات أفهم وإلى تلك الألفاظ أميل وإليها أحن وبها أشغف ولأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم ، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا العرض والجوهر . وأيس (الوجود والإثبات) وليس وفرقوا بين البطلان والتلاشي ، وذكروا الهذية والهوية والماهية وأشبه ذلك ^(١) .

وإذا كانت المصطاحات حقا للأقوام لا مشاحة فيها ^(٢) إذ لا مشاحة في الأسامي بعد الاعتراف بالمعاني ^(٣) والألفاظ غير محظورة فيما قرره الآمدي ^(٤) ولا مشاحة في التعبير فيما قرره القدماء ^(٥) .

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ط ٣ : ج ١ ص ١٣٨ س ١٨ + الصناعتين ص ١٣٤

(٢) الخصري : حاشية علي ابن عقل : ج ١ ص ١٩٤ س ١٥ .

(٣) السيوطي : المزهر : ج ١ ص ٣٦٦ .

(٤) الآمدي : الموازنة : ص ١١٨ س ٧ + ص ٣٣١ س ١٢ .

(٥) ابن الأثير : المثل السائر : ص ١٤٣ .

ولنا أن نضيف إليها ونذر ، نأخذ ونُدع إذ إننا نملكها كما كان القدماء يملكونها ولنا أن نضيف إليها ما نحتاج إليه من ألفاظ لم تكن مستعملة في العصر القديم فيما قرره طه حسين وغيره لدى المحدثين إذا كان ذلك كذلك فلا اعتداد بما سجلوه من أخطاء طال حديثهم فيها وتنبههم عليها إذ إنهم ناموا هذا النوم الذي حدثنا عنه أبو حاتم ، « قال : سمعت الأصمعي يقول : جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء ، فقال : يا أبا عمرو ، ما شيء بلغني عنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغني عنك أنك تجيز ليس الطيب إلا المسك بالرفع . فقال أبو عمرو : تمت يا أبا عمر وأدليج الناس ، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ، وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ^(١) » .

ناموا على أن زوجة خطأ ، ورمي ذو الرمة بعارمي ، وأنكروا عليه (مالح) وعقب الأصمعي بأن ذا الزمة « قد بات في حوانيت البقالين بالبصرة زمانا » ^(٢) وأدليج بها الناس .

وناموا على أن المتكلمين أخطأوا في استخدامهم (محسوس) فيمما نصوا عليه « قول المتكلمين هذه المحسوسات خطأ ، والصواب المحسات لأنه يقال : أحسست الشيء بمعنى أدركته ، فأما المحسوس فهو المقتول من حسّه إذا قتله » ^(٣) .

(١) القالي : ذيل الأمالي : ص ٣١ س ١ .

(٢) الخفاجي : سر الفصاحة : ص ١٢٣ .

(٣) موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن الجاحظ بن أبي العز يوسف بن محمد البغدادي النحوي اللغوي ٥٥٥ - ٦٢٩ هـ ذيل فصح ثعلب : نشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي : ص ٥ + انظر ابن منظور : اللسان : ط أول بولاق ١٣٠١ هـ ص ٣٥٣ ج ٧ + الخفاجي : شفاء الغليل : ص ٦٩ .

وقد قال جرير :

فودوا يوم ذلك إذ رأونا
نحس الأسد لو ركبوا النعاما^(١)

وأدلى الفقهاء وغيرهم بها^(٢) .

وناموا على أن زهور جمعا لزهر لم تسجله المعاجم ، وهاتيك المعارض
تفرض سطوتها ، وها هو ذا محدث له جهد بالغ فيما أسماه بألفاظ الحضارة
يقرر أنه : « ولا خلاف على أن الرأي العام المثقف هو الحكم الأول
والأخير في شأن هذه الألفاظ والأسماء فما يرتضيه منها يكتب له الشيوع
والبقاء وما لا يستسيغه منها يسحب عليه ذيل العفاء »^(٣) وإلا فما استخدام
الكتاب القواميس ؟

وناموا على أن « واسطة » خطأ بيد أن ابن مالك أتى به في ألفيته صدد
نظمه عن البذل :

التابع المقصود بالحكم بسلا واسطة هو المسمى بسدلا^(٤)

واستخدامه عبد السلام بن مشيش في قوله « لولا الواسطة لذهب
الموسوط » . فلم يجد مجمع اللغة العربية بداً من أن يجيز التعبير إذ يمكن

(١) جرير : الديوان : شرح محمد بن حبيب - دار المعارف بمصر - المجلد الثاني :

ص ٧٨٠ .

(٢) الآمدي : الأحكام : ج ١ ص ٥٣ ، عبد القاهر : أسرار البلاغة : ص ٧٤ س

١١ + ١٤ + ١٥ ص ٧٥ س ١٦ ، ص ٧٨ س ٨ ، ص ١٤٠ س ١٤ ،

ص ٢٦١ ص ٣ ، ص ٢٧٢ س ١١ + س ١٩ ، ص ٢٧٥ س ١٥ ص ٣٤٣ .

س ٩ ، العسكري : الصناعتين : ص ٢٧٤ س ٥ .

(٣) محمود تيمور : مشكلات اللغة العربية : ص ٤٣ س ٥ .

(٤) النصبان : حاشية علي الأشموني : ج ٣ س ١٢٣ + انظر الشوكاني إرشاد

الفحول : ص ٢١١ س ١٩ + ٢٠ .

تخريج استعمال الواسطة في قول الكتاب « بواسطة كذا » بدل بوساطة كذا على أنه بمعنى الوسيلة » (٥)

والمسألة ليست مسألة إمكان الوجود فمّا تقرر في المسالك أن للمجتمع اللغوي حقه . في خلع المعنى الحديد على الكلمة ، وكان له بعض التصرف في صياغتها وخطها كما ذكروا أن للمصحف خطأ وللعروض خطأ كل ذلك وفق سمات وأصول جديرة بالدرس ، فالفقهاء مثلاً لهم لغتهم وطرائق تعبيراتهم وألوان صياغتهم ، فنجد نطقاً في مادة درك ، والمدرك بضم الميم بيد أن الفقهاء يقولون في الواحد مدرك بفتح الميم وليس لتخريجه وجه (٢) ، ومعنى في كلمة ذمة إذ هي في الأصل العهد لأن تقضيه يوجب الذم والفقهاء استعملوه في معنى آخر لا تعرفه العرب فقبلوا هو معنًى يصير به الآدمي على الخصوص أهلاً لوجوب الحقوق له وعليه . . (٣) وصياغة في مرقوق إذا استعملته الفقهاء وقالوا : لم يسمع من أئمة اللغة رفته حتى يشتق منه مرقوق ، ورد بأن الأزهرى حكى عن ابن السكيت أنه جاء عبد مرقوق وهو ثقة (٤) وتجد في مواد صمم ، أوب ، طوب ، نبل كلاماً لهم . . . ولهم في اللغة آراء (٥) لكن المسألة مسألة إجازة الإدلاج بها إذ تهرب هذى الكلمات من مجتمعيها اللغوي الخاص إلى المجتمع اللغوي العام متسربة لتجد طريق حياة يضاف إلى مسارها العام .

(١) مجمع اللغة العربية : كتاب في أصول اللغة : ص ٢٥٠ س ٣ .

(٢) الخفاجي : شفاء الليل : ص ٨٩ + (الحلبي : إنسان العيون : ج ٣ س ١٠ ص ٦)

(٣) نفسه : ص ٩٣

(٤) نفسه : ص ١٨٨ .

(٥) ابن فارس : الصحاحي : ص ٢٩ س ٦ .

فهل من الممكن أن نفرّد كلمات الغدايا ومأزورات ومحسوس وما إلى ذلك خارج مجتمعاتها ؟

نحن نقرّر أن هذا في الإمكان بما هي مصطلح خلق خلقاً جديداً خاصاً لا شأن له بالاسم العادي وإن اشتق من أصوله ، فسلامته إنما يحددها مطابقته لصفات واتساقه مع تصانيف^(١).

فالحس عرف لغوي عام والمحسوس عرف فقهي خاص له في هذه الصورة الشكلية دلالة مكن لها أو أمكن منها التجوز إذ قد يكون هذا التجوّز في اللفظة بما هي لفظة أو تجوّز في اللفظة بصورة ما أو بصيغة ما حاملة المعالم الجديدة وهو تغير دلالي، وتطور تجوزي إذ هو مرتبط لا من حيث الصورة الشكلية ، ولكن من حيث الظلال التي عرت هذه الصورة من البيئة المستخدمة للكلمة فهي علم على مرحلة دلالية تكشف عن شيوع وتوثيق في بيئة علمية أو مجتمع لغوي في فترة ما يحتفظ بها التاريخ اللغوي فالغدايا وما على شاكلتها استخدامها بهذه الصورة المغايرة للموروث اللغوي في عموميه فيه ظلال الحديث النبوي دون ذكر الحديث . وقيم بها هذه الخاصية الكوفية وقوّم لها هذه الخاصية البصرية ومن ثم أجاز المجتمع ما للبيثتين ، وزوجة فيها هذا الاستخدام الحضري وهي صورة من صور التاريخ اللغوي الذي يبلغ طوله أربعة عشر قرناً أو يزيد لحياة اللفظة التي هي جزء من الكيان الحي .

واستخدام هذا هو ما قد ينطوي - في فترة - تحت مصطلحات مثل

(١) د . محمد كامل حسين : متنوعات : « المصطلحات العلمية » مطبعة مصر ج ٢ ص ١٦٧ وما بعدها - وهي ما نشر بالمجمع ج ١١ ص ١٣٨ وما بعدها تحت عنوان القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية العامة + انظر الجاحظ : الحيوان : ج ١ ص ٢٨١ .

الاقتراس والتضمين والعقد والحل والتلميح ، وما يمكن اعتباره آثار الاصطلاح على اللغة ^(١) وسيلة إثراء بها اللغة تطوع ، وتمكن من احتواء المجتمعات اللغوية بما هو اتصال وتفاعل، وبما هو توليد يأخذ طريقه إلى الألسنة المستعملة لها ألفاظا جديدة أو اختراعا لأساليب ^(٢) أو معان جديدة تضاف يحدث ذلك أثره في استعمال اللغة ، وفي إدراك خصائصها التعبيرية بما هو بيان لكيفية حدوث التطور في حياة اللغة :

(١) كلمة البعض : الرازي : أساس التقديس : ص ٧٠ س ٢ + ص ١٢٩ س ١٠

+ ٢٢٤ س ٣ + ص ٢٢٨ س ٨

عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية : ص ٢٧٩ س ٥ + ١٧٠ س ٣ .

* كلمة الكل : الرازي : أساس التقديس : ص ٧٢ س ٥ ، ٦ + ص ٧٧ س

١١ ، ص ١٥٥ س ٥ من أسفل + ص ١٩٢ س ١ .

عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية : ص ٢٩٧ س الأخير

+ ص ٣١٤ س ٣ + ص ٢ ، ص ٣٥٩ س ٩ .

مصطفى ناصف : نظرية المعنى : ص ٦٢ س الأخير .

كلمة طبعي : بنت الشاطيء : لغتنا والحياة : ص ١٢٦ ص ١٠ + ص ١٣١

س ٣ من أسفل ، ص ١١٠ س ٢ + ص ١٨٠ س ٨ من أسفل

+ ص ١٥٤ س ٢ من أسفل + ص ١٥٦ س ٣ + ص ٢٠٦ س

٢ من أسفل .

عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية : ص ٢٧٢ س ٩ + ص

+ ص ٣٩٧ س ٤ + ص ٣٥٩ س ٢ من أسفل + ص ٢٢٥

س ٢ + ص ٣٤٥ س ٥ من أسفل .

(٢) تعبير : سواء كان كذا أو كذا - انظر : ابن هشام : المغني : مط السعادة ج

١ ص ٤٣ س ٤ ، محمد الخضري : حاشية على ابن عقيل : ج ٢ ص ٦٣ س ٥

من أسفل + محمد خليفة التونسي : مجلة العربي : العدد ١٧٥ - يونيو ١٩٧٣ ص

٦٣ .

وإذا كانت اللفظة في مجتمعها لها هذا الاعتبار القوي داخله وخارجه وقد صدرت عن تكوينات مضافا إليها هذا الحس الذي أشرنا إليه مما لا سبيل إلى التعبير عنه لدى مجتمعاتها فضلا عن إدراكه خارجها — إذا كان ذلك كذلك في داخل اللغة الأمر الذي دعا الراغب إلى دراسة اللفظة القرآنية في إطارها — فإن الأمر جدّ محتلط إذا ما كانت الترجمة سواء أكانت لمجتمع لغوي خاص أم لمجتمع لغوي عام لا نجد مناصا من رفضها على هدي مما قرّنا .

وها هم أولاء الغربيون لا يجدون بدا من ترجمة لفظ «الله» إلى لغتهم فلم تسعفهم لغتهم . فاحتفظوا بذات الكلمة ^(١) .

وكانت عبارات القوم دالة على هذا الرفض بهذه المعاني التي إليها أشرنا وإن كان كلامهم قد انحصر في القرآن الكريم معولين على ما أسموه بالاتساع ^(٢) والمذاهب ^(٣) بيد أن الجاحظ تحدث عن الوزن في غير القرآن وللنيل من المدلول كان تعويل فريق . . ^(٤)

(١) د . السمران : علم اللغة : ص ٢٩٥ س ٢ .

(٢) ابن رشيق : العمدة : ج ١ ص ٢٤٣ ش ٢ من أسفل + الصباحي : ابن فارس ص ٣٠ س ٢ وما بعده + السيوطي : المزهري : ج ١ ص ٣٢٢ + ٣٢٣ + حمزة فتح الله : المواهب الفتحية : ج ١ ص ٢٤ + الزمخشري : الكشاف : ج ٣ ص ٣٧٨ + الرفاعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ط ٣ مطب المطب والمقطع بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م هامش ص ٣٢٩ س ٢ . ثم انظر العسكري : الصناعاتين : ص ٢٧٠ س ١٣ + الشريف الرضي : تلخيص البيان : ص ١١٩ ص ١٠ .

(٣) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : ص ١٦ .

(٤) ستيفن أوامان : دور الكلمة في اللغة : ترجمة كمال بشر : ص ٢٠٣ س ١٤ + مصطفى بدوي : كورديج : ص ١٧٠ - ٩٦ ، الطهطاوي : تحليل الصواب والابريز ص ١٣٧ س ١ ، محمد شاكر : القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم : ص ١٩ + ٢٠ + ٢٤ ، ٣٣ س ٣ من أسفل ، ص ٢٥ .

خَاتِمَة

وبعد لأي ، فيها هو ذا البحث خرج على هذى الصورة التي ارتضيناها
في مقدمة وبابين :

وكانت المقدمة حديثا عن الإنتاج اللغوي بين المنتج والقابل ، أشرنا
فيها إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية فكان الكلام عن المجتمع بما هو مؤثر في
هذه اللغة وبما هي مرآة كاشفة له فالتجرد والاجتزاء أمران لهما خطرهما
في المجتمع ، وشأنهما في الدرس اللغوي ، وكان للمجتمع ما يمكن تسميته
بظروف وفي اللغة ما يمكن تسميته بنظم وسياق ، وما يترتب على هذا
لغة إذ إن الكلمة لها تاريخ طويل ينفي الذاتية ، ويكون لها تصوّر خاص
عند كل فرد مما دعانا إلى ضرورة دراسة معجم كل فرد على حدة ، في
محاولة انقياد المعالم لنا وهو الذي يكون أساسا في الحكم .

وكان هذا من زاوية أخرى حديثا عن الظاهر وغير الظاهر في المجتمع
ثم وسم اللغة بهذه الآثار ، وصلنا فيه إلى تحديد المراد بالمدلول ، وأن غير
الظاهر هو الذي يجرنا للحديث عن المجاز بما هو تصرف في اللغة على
غير ظاهرها . .

وكان الباب الأول : المجاز في معايير الفكر : وأردنا فيه إلى بيان
ماهية المجاز ، ووقع في ثلاثة فصول : الفصل الأول عن ماهية لغة
واصطلاحا وخرجنا بأن المجاز في اللغة يدور حول معنيين هما الطريق
والوسط وأنه مفعّل بمعنى فاعل منقولاً عن المكان ، ثم تتبعنا الظاهرة لدى

أهم المتناولين لها فوجدنا أن المجاز يعني هذا التحول بطريق استخدام لفظة في غير ما وضعت له ، مع الإشارة إلى أصول التيارات التي كانت تحكم الأقوال الصادرة عن القوم كاشفة عن التصور مسوغة للحكم . مبينة عن تحتفظ أهل السنة وإسراف المعتزلة في ذلك ثم ظهور مصطلحي التمثيل والتخييل لديهم . وربط ذلك بالخيال في مصطلح اليوم ، وتوسط الأشاعرة بين هذا الاطلاق وذاك التقييد . وأن عناية اللغوي ليست في هذا وإنما تنحصر في لون المجاز المرسل الذي يأتي به الاتساع وهو تصرف لغوي خالص .

ووجدنا في الكشف عن مقاصد التجويز بياناً لطبيعته ، فهو المعين على مواكبة الحياة ، المساعد على الوفاء بمطالب المتلادين بالعربية : وأنه يحمل هذا الوسط بين القديم والجديد من التعبير . والوصلة بين الفكر والمادة ، أذناه ما يتصل بتغيير اسم وأعلاه ما يصل إلى هذي المعنويات وفي الحالين هو صرف عن اللفظ ظاهره .

الفصل الثاني : قوانين هذا التجويز وانقسم الكلام فيه إلى قسمين : قسم خاص بالعلاقات التي أسماها القدماء الأولون الجهات وهي الصلة بسين الأصل والفرع : القديم والجديد ، وهو بتعبير آخر محدد لنوعية هذي الصلة ، وكان استقصاء لألوان من التعبير داخلها شيء من الهوى نتيجة المسبقات كما رأينا في حمل قوله تعالى : « يوم نقول لجهنم : هل امتلأت » على أنها من باب حذف المضاف : ولحظ الأقدمون أنفسهم هذا التكثير فجئحوا إلى حصرها لمسنا طرفاً منه لدى الآمدي وابن الأثير مما كان له أثره في الدرس اللغوي المحدث وحصرها — بما هي ألوان تغيير وضروب تطور — وانتهينا إلى أن المشروط في العلاقة نوعها لا شخصها ، أما عن تحديدها فلنقول عنه ضرورة ملاحظة هذه العلاقة .

أما القسم الآخر : فكان عن القرائن ؛ بما هي ملاسبات الدرس ، وإطار ينتجم منه التعبير أراد المعبر أو لم يرد ، على القابل مراعاتهما ، واستعرضنا طرفا منها ، ورأينا أفراد قريبتين بالحديث ، كانت أولاهما السكوت . وبحثنا عن أثرها دلالة ، ورأينا فيها أن هذا السكوت قد ألزمه الأقدمون في كثير من المظان لمقاصد دلالية لا يغني الكلام غناءها . . كانت مجالا للاستنباط لدى المشرعين ، وللإبداع لدى المتأديين ، ورأيناها تحل مشكلات مثل مشكلة خلق القرآن ، وتفسر بعض المنازع لدى الباحثين مثل ابن الجوزي والسيوطي ، في امتناعهما عن ذكر كثير من الأشياء التي تتعارض مع الأصول المقررة . وخرجنا منها بضرورة تنقية درسنا مسن الشوائب .

وأخراهما الحس اللغوي وتحدثنا فيه عن أبعاد هذا الحس دلالة التزم بها كثير في معالجة موضوعات نحو إعجاز القرآن والعجز عن التعبير إزاءه وإن ضاعت معالم لهذا الحس مثل النبر والتنغيم والتركيـز مصطلحات صوتية حديثة حل محلها سلطان الكلمة المطبوعة ، وبيننا مسلك عبد القاهر في فهمه الاستعارة على هدي من الحس ، أما في الجانب اللغوي فقد كان الحس مانعا من كثير من التعبيرات التي يرسلها المعلمون لتعليمها فيما نصصوا عليه أو يجيزا فيما أقره المجمع . وانتهينا في هذا الفصل إلى أن علة التجوز أو قوانينه تنحصر في العلاقات والقرائن بيد أن القرينة قد تكون مقارنة أو لا تكون واهتدينا للتوفيق بين من يرفض الجمع بين الحقيقة والمجاز وبين من يرى ذلك تعويلا على مقارنة أو تأخر القرينة .

الفصل الثالث : نوعية الدلالة : وتحدثنا فيها عن المعول عليه في معرفة التجوز إذ قد توجد القوانين كاملة دون إدراكها أو التعرف عليها ، وهي مسائل التجوز أي إثبات علمته .. وكانت المسالك نوعين ؛ مجتمع قد يكون

عرفا عاما أو عرفا خاصا ، وهو ما يسمى في فقه اللغة بالمجتمع اللغوي الذي يملك أسباب التجوز وهو تحديد لصلة المجتمعات اللغوية بالمجتمع العام دون الفرد الذي إذا ما حاول تجوزاً ناله القسر الاجتماعي بأفانسين من سلطانه .

والنوع الآخر : بعض السمات التي نصوا عليها ؛ وكانت مثار جدل ونقاش ثم انتهينا فيه إلى تحديد نوعية الدلالة المجازية وأنها عرفية لا وضعية ولا عقلية — وهو النهج اللغوي الأصولي — .

وكانت هذه دراسة تجريدية لديهم بحثنا عن أبعادها فصارت تطبيقية الباب الثاني : أثر هذا التجوز في الدرس اللغوي .

الفصل الأول : قيمة التجوز وبيننا فيه أن الحديث عن آثار التجوز يمثل الحديث عن قيمته ، بما يثيره في النفس من رغبة أو رهبة ، وتشوف وتأکید نجده في هذا الاتساع ، وربطنا بين طبيعة التجوز بما هي مقاصد وبين آثار هذا التجوز فيما يسمى بالمصطلح والمحن إلى ألوانه واختلاف بيئاته واختلاف المتناولين له إنتاجا وتقبلا مع بيان جهود العرب في هذا الصدد مما دفع للحديث عن المعاجم وأنها لا تغني الغناء في الدرس الدلالي .

وكان المجاز سببا من أسباب درس تاريخ الكلمات إذ هو يمثل مدرجا من مدارج اللغة وضح هذا في تناولنا لبعض المصطلحات مثل الحسن والقبح العقليين والتأويل ، منبهين على خطر الاجتزاء والتجريد وعدم الاستحضار ، وبيننا كيف أن المجاز يكشف عن طبيعة المعرفة التي تسود عصرها ما في جانب الفهم وارتباط التجوز — من ثم — بالتأويل ، ثم — تحدثنا عن جهتي دلالة تكون بها مصطلحات البلاغة معايير فكر ضوابط للحديث موانع من الانزلاق .

الفصل الثاني : الاعتبار : وتحدثت فيه عن الضوابط التي تحد من المولى وتقيّد طبيعة اللغة فهما مطلقا ومتبعا ما كان لديهم من درس أصيل وعالجت فيه بعض القضايا التي نجمت مبينا أثر الاعتبار فيها : في الشعر مثلا وفي الترجمة وما كان لدى كثير من رأى كان قاصرا عن الغرض وعادلا عن السدد نتيجة عدم هذا الاعتبار لديهم فرددنا آراء ، هذا من ناحية الفهم للقابل ، ثم عالجنا موضوع الأضداد وأن السياق مبين عن دقة المتناول وعلمه بما يورد ويصدر فيما يأتي ويذر .

الفصل الثالث : المشكلة : وهو لون آخر من الضوابط — جهة دلالة وبيننا فيها كيف أن القرآن شا كل الأسلوب البشري ولذا فإن فهمه لا ينبغي أن يخضع على غير هذا المستوى ، كان منه منعهم من أفراد ماورد مشكلة وصف الله سبحانه وتعالى ملمحا إلى ما أشار إليه القرآن الكريم من طرائق تعلمنا أسلوب التعبير مع المولى سبحانه . وكان في ذلك امتقضاء لآيات قرآنية تعين على ما نذهب إليه .

أما الجانب اللغوي فسغا بر تماما لاختلاف الطبيعتين بوفيه أجزنا استخدام تعبيرات وردت على سبيل المشكلة ، وانه إذا كان للمجتمع اللغوي حقه في وضع ألفاظ مستخدما إياها كيفما شاء وفق وطبائع لديه — كما كان لدى الفقهاء — فإن هذا يسوغ لنا استخدام هذا اللون مراعاة لمصطلح القوم ثم يكون هذا الشيوخ الذي يجعلها تأخذ طريقها في المجتمع العام إن لم تصل هي إلى المكانة التي تتنحى فيها الكلمة الأخرى عن الطريق . .

وإذا كانت هذي الخصائص قائمة في المجتمع اللغوي الخاص فإن الأمر يكون جد عسير عند الترجمة التي بسببها يخرج اللفظ من المجتمع الخاص إلى المجتمع العام ثم إلى لغة أخرى لها خصائصها العامة ومجتمعاتها الخاصة .

ولله الحمد قبلا وبعدا ،

المصادر والمراجع

ثَبَّتَ بِالْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (٣٧٠ هـ)
الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ١٨٨-٥٣١ هـ
وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحر ٢٠٦ - ٢٨٤ هـ
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩ م - الطبعة الثالثة .

الآمدي سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم
التغلبني
آمد ٥٥١ - ٦٣١ هـ دمشق
الإحكام في أصول الأحكام
مطبعة المعارف ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م

إبراهيم أنيس (دكتور)
اللهجات العربية .
مطبعة الرسالة - طبعة دار الفكر العربي

ابن الأثير

ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد
بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري -
(الجزيرة ٥٥٨ هـ - ٦٣٧ هـ بغداد)
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر
المطبعة البهية بحوش قدم ١٣١٢ هـ

ابن الأثير

مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن
عبد الكريم وهو شقيق السابق ٥٤٤ هـ - ٦٠٦ هـ الموصل
النهاية في غريب الحديث والأثر .
المطبعة العثمانية ١٣١١ هـ

الأصفهاني

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (أصبهان ٢٨٤ هـ -
٣٥٦ هـ بغداد) الأغاني
دار الفكر العربي - بيروت ١٩٥٦ م

الأصمعي

أبو سعيد عبد الملك بن قريب ٢١٦ هـ
الأضداد
ضمن مجموعة للأصمعي - السجستاني - لابن السكيت -
الصغاني - نشرها د. أوغست هفمر - المطبعة الكاثوليكية
للأباء اليسوعيين - بيروت ١٩١٢ م
الأصمعي من ص ١ إلى ص ٦١ السجستاني من ص ٧١ إلى
ص ١٥٧ السكيت من ص ١٦٣ إلى ص ٢٠٩ الصغاني من
ص ٢٢١ إلى ص ٢٤٨

الألوسي

محمود شكري

الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر
المطبعة السلفية.

الإنبائي

شمس الدين محمد بن محمد (١٣١٣ هـ)

حاشية على رسالة محمد الصبان في علم البيان ، وبهامشه
الرسالة المذكورة .

المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٥ هـ « الطبعة الأولى »

الأنباري

كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي
سعيد ٥١٣ هـ - ٥٧٧ هـ

الإغراب في جدل الإغراب .

لمع الأدلة في أصول النحو .

قدم لهما وعني بتحقيقهما سعيد الأفغاني .

مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين
والكوفيين .

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

الأنباري

أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ٣٢٨ هـ
الأضداد .

طبع مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل ١٨٨١ م

الأنصاري

عبد العلي محمد بن نظام الدين .

فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت .

الجزء الأول ١٣٢٢ هـ - الجزء الثاني ١٣٢٤ هـ

المطبعة الأميرية ببولاق - الطبعة الأولى .

الباقلاني

القاضي أبو بكر محمد بن الطيب محمد ٤٠٣ هـ

إعجاز القرآن .

شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي .

الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٩ م مطبعة محمد علي

صبيح ..

بدوى طبانة

(دكتور)

دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن
الثالث .

مطبعة مخيمر - الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

البغدادى

عبد القادر بن عمر (١٠٣٠ - ١٠٩٣)

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .

« وهو شرح علي شواهد شرح الكافية للرضي »

أولا الطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب - القاهرة

١٣٥١ هـ .

ثانيا : تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . دار
الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٩ - ١٩٦٩م

البسكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ٤٨٧ هـ

التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه.

على الجزء الأول من ص ١٦ إلى ص ٨٦

على الجزء الثاني من ص ٧٨ إلى ص ١٢٢

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م

بييرى رالف بارتن.

آفاق القيمة.

دراسة نقدية للحضارة الإنسانية

ترجمة د . عبد المحسن عاطف سلام . - تقديم د. زكي
نجيب محمود، دار الطباعة الحديثة.

التنسخي زين الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمرو .
الأقصى القريب في علم البيان .

مطبعة السعادة بمصر الطبعة الأولى ١٢٢٧ هـ

تيمور أحمد

الأمثال العامة .

مطابع الأهرام التجارية .

الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م

الثعالبى أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٥٤٢٩)
فقه اللغة وسر العربية .

المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٦ هـ -- ١٩٢٧ م

مطبعة مصطفى محمد - ١٣٥٤ هـ - ١٩٢٦ م

الجساحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (١٥٠ هـ
- ٢٥٥ هـ)

البيان والتبيين .

تحقيق عبد السلام هارون .

الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

الحيوان .

تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م - مصطفى الباي الحلبي .

جسار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر ٤٦٧ هـ -
٥٣٨ هـ

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في
وجوه التأويل .

الطبعة الأولى - المطبعة العامرة الشرفية ١٣١٨ هـ

الخرجاني

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ٤٧١ هـ

أسرار البلاغة

علق حواشيه أحمد مصطفى المراغي

مطبعة الاستقامة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ الطبعة الأولى

دلائل الإعجاز

وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه ناشره : السيد

محمد رشيد رضا -- مطبعة المنار ١٣٣١ هـ الطبعة الثانية

الخرجاني

أبو الحسن السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين

الحسيني الحنفي ٧٤٠ هـ - ٨١٦ هـ

التعريفات -- (ويليها رسالة في بيان اصطلاحات الصوفية

لمحي الدين بن العربي الواردة في كتابه الفتوحات المكية)

صحح بمعرفة أحمد سعد علي

شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٥٧ -

١٩٣٨ م

ابن جني

أبو الفتح عثمان (الموصل ٢٣٠ هـ - بغداد ٣٩٢ هـ)

الخصائص

تحقيق محمد علي النجار

الجزء الأول ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ ، الجزء الثاني ١٣٧٤ هـ

١٩٥٥ م

الجزء الثالث : ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .

٢٥٧ المجاز في الدرس اللغوي - ١٧

مطبعة دار الكتب المصرية

الحافظ الامام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ٥٩٧ هـ

ابن الجوزي

نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس

صححه وقيد حواشيه للمرة الثانية ١٣٤٧ هـ محمد منير

الدمشقي .

المطبعة المنيرية ١٣٦٩ هـ

أبو الفضل محمد

الجزاوي

تحقيقات شريفة وتدقيقات منيفة

(وهي على شرح ابن الحاجب « مختصر المنتهى » وحاشيتي
العلامتين السعد والسيد على الشرح المذكور . وقد اختصر
ابن الحاجب ترتيب الأحكام للامدي في « منتهي السؤل
والأمل في علمي الأصول الجدل » ثم نفعه وحذف منه
نحو المربع في « مختصر المنتهى ») .

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ١٣٣٢ هـ

أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ٣٥١ هـ

الحميري

الأضداد

تحقيق الدكتور عزة حسن

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٢ هـ --

١٩٦٣ م

الحلبي علي بن برهان الدين الشافعي
إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة
الحلبية مطبعة محمد علي صبيح ١٣٥٣ هـ - ١٩٢٥ م

حمزة فتح الله (١٩١٨ هـ)

المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية - الطبعة الأولى
المطبعة الأميرية بمصر ١٣١٢ هـ

الحموي تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة ٧٧٧-٨٣٧
ثمرات الأوراق

صححه وعلق عليه محمد أبو الفضل لإبراهيم
الطبعة الأولى ١٩٧١ م مطبعة السنة المحمدية

الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي
البغدادية

(الأناضول ٥٧٥ هـ - ٦٢٧ حلب)
إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء
تحقيق الدكتور أحمد فريد رفاعي بك
طبع بمطبعة دار المأمون

ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد الذهلي الشيباني ١٦٤ هـ -
٢٤١ هـ المسند

شرح، وضبط فهارسه أحمد محمد شاكر
طبع دار المعارف للطباعة والنشر : الجزء الأول : ١٣٦٥

١٩٤٦ م — الجزء الثالث : ١٣٦٦ / ١٩٤٧ م — الجزء
الرابع : ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م + الجزء التاسع : ١٣٧٠
هـ / ١٩٥١ م

الخضري

محمد بن مصطفى الخضري بن حسن (١٢٨٨ هـ)
حاشية على شرح ابن عقيل — فرغ من تأليفها سنة ١٢٥٠ هـ
المطبعة الأزهرية المصرية — الطبعة الثالثة
الجزء الأول : ١٢٢٦ هـ + الجزء الثاني : ١٣٢٧ هـ

الخطابي

أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ٣١٩ هـ — ٣٨٨ هـ
بيان إعجاز القرآن

(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : الرماني —
الخطابي — الجرجاني) حققها وعلق عليها محمد خلف الله —
محمد زغالول سلام . طبعة دار المعارف بمصر

الخفاجي

أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي
٤٦٦ هـ

سر النصيحة

تحقيق علي فودة

المطبعة الرحمانية : ١٣٥٠ / ١٩٣٢ م الطبعة الأولى

الخفاجي

شهاب الدين أحمد بن محمد (١٠٦٩ هـ)
شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل

عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني طبعة
أولى : ١٣٢٥ هـ

طبعة السعادة

ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، تونس ٧٣٢/٨٠٨ مصر .
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر
الجزء الأول (المقدمة) مطبعة التقدم ١٢٢٢ هـ

ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
٦٠٨ هـ — ٦٨١ هـ

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

حقته وعلق حواشيه وصنع فهرسه محمد محيي الدين عبد
الحميد مطبعة السعادة

الحوالي أمين (مارس ١٩٦٦ م)

الجنديّة والسلام واقع ومثال

طبعة دار المعرفة ١٩٦٠ م

فن القول (في معهد الدراسات العليا)

(دراسة مقارنة نصير البلاغة فن القول)

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣ ٦ هـ ١٩٤٧ م

محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية
معهد الدراسات العربية العالية
مطابع دار الكتاب المصري - ١٩٥٨ م

دحلان

السيد أحمد زيني

السيرة النبوية والآثار المحمدية

مطبعة محمد علي صبيح ١٣٥٣ - ١٩٣٥ م

ابن دريد

أبو بكر محمد بن الحسن ٢٢٢٣ هـ - ٣٢١ هـ

الاشتقاق (جزآن في مجلد)

تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون

مطبعة « السنة المحمدية » ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م

ديكقوز

الفاضل أحمد

شرح مراح الأرواح

المطبعة الميمنية - أحمد الباني الحلبي ١٣٠٩ هـ

الرازي

فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر ٦٠٦ هـ

أساس التقديس في علم الكلام طبع بمطبعة كردستان
العلمية بمصر ١٣٢٨ هـ

مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير

(الطبعة الأولى) المطبعة العامرية الشرفية ١٣٠٨ هـ

الراغب
أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني ٥٥٠٢ هـ
المفردات في غريب القرآن
أعدّه للنشر وأشرف على الطبع الدكتور محمد أحمد
خلف الله

ابن رشد
أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد، قرطبة ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ
مراكش .
مناهج الأدلة في عقائد الملة
تقديم وتحقيق الدكتور محمود قاسم

مطبعة مخيمر - الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٥ م

ابن رشيق
أبو علي الحسن القيرواني ٣٩٠ هـ - ٤٦٣ هـ
العمدة في محاسن الشعر وآدابه (جزآن في مجلد)
حققه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد
مطبعة حجازي بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٣٥٣ ١٩٢٤ م

رتشاردز
أيفور آرمستر ونج (١٨٩٣ - . . .)

مبادئ النقد الأدبي

ترجمة الدكتور مصطفى بدوي - مراجعة الدكتور لويس
عوض

مطبعة مصر - إبريل ١٩٦٣ م

الأسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

الزجاج
أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ٣١١ هـ

إعراب القرآن

تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

القسم الأول : ١٣٨٢ / ١٩٦٣ - القسم الثاني : ٨٣ /
١٩٦٤ م

الزركشي

بدر الدين محمد بن عبد الله

البرهان في علوم القرآن

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه
١٣٧٦ هـ ١٩٥٣ م - الطبعة الأولى

السبكي

أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي ٧٧٧ هـ

عروس الأفراح ، في شرح تلخيص المفتاح

ومعه مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح
للإمام الخطيب القزويني + ومواهب الفتح في شرح
تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي

وبالهامش الإيضاح في علوم البلاغة لمؤلف التلخيص
وحاشية الدسوقي على شرح السعد الطبعة الأولى مطبعة بولاق
الأميرية ١٣١٧ هـ

السبكي

تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي

٧٢٧ هـ - ٧٧١ هـ

طبقات الشافعية الكبرى

تحقيق عبد الفتاح محمد الخلو — محمود محمد الطناحي

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الأولى : ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م

السعران (دكتور) محمود ١٩٦٤ م .

علم اللغة — مقدمة للقارئ العربي

دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م

سعيد بن أوس أبو زيد . . بن ثابت الأنصاري ٢١٥ هـ

النوادير في اللغة

صححه وعلق عليه سعيد الخوري الشرتوني

المطبعة الكاثوليكية بيروت : ١٨٩٤

سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠ هـ)

الكتاب

نشر هار تفيج در نبورج — باريس ١٨٨١

تحقيق عبد السلام هارون

دار القلم

السيد أحمد خليل (دكتور)

ابلاغة العربية أصلها وأصولها

دار النهضة العربية للطباعة والنشر

بيروت - لبنان : ١٩٦٨ - ١٩٦٩ م

دراسات في القرآن

دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م

الليث بن سعد فقيه مصر

دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م

السيوطي

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ٨٤٩-٩١١ هـ

إسعاف المبطل برجال الموطأ

طبعة عيسى البابي الحلبي

التعظيم والمنّة في أن أبوي رسول الله في الجنة

مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - حيد آباد الدكن

المطبعة الأولى ١٣١٧ هـ

تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك

طبعة عيسى البابي الحلبي

الدرج المنيفة في الآباء الشريفة

مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن

المطبعة الأولى ١٣١٦ هـ

السبل الجليلة في الآباء العلية

مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - حيد آباد الدكن

الطبعة الأولى ١٣١٦ هـ

الزهر في علوم اللغة وأنواعها

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه
محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوي — محمد أبو الفضل
إبراهيم دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي
وشركاؤه

المقامة السندسية في النسبة المصطفوية

مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن —
الطبعة الأولى ١٣١٦ هـ

مسالك الحنفا في والدي المصطفى صلى الله عليه وسلم
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية — حيدر آباد الدكن
— الطبعة الأولى ١٣١٦ هـ

معترك الأقران في إعجاز القرآن

ثلاثة أقسام — تحقيق علي محمد البجاوي

دار الفكر العربي — دار الثقافة العربية للطباعة

نشر العلمين المئنفين في إحياء الأبوين الشريفين

مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن —
الطبعة الأولى ١٣١٦ هـ

الإمام المطلبي محمد بن إدريس (غزة ١٥٠ — ٢٠٤ مصر)

الشافعي

الرسالة تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر

شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٤٠

أبو الحسن محمد بن الطاهر بغداد ٣٥٩ — ٤٠٦ هـ

الشريف الرضي

تلخيص البيان في مجازات القرآن

حقّقته وقدّم له ووضع فهارسه محمد عبد الغني حسن
دار لإحياء الكتب العربية — عيسى الباني الحلبي وشر كاه
القاهرة ١٩٥٥ م

شكري محمد عياد (دكتور)

الأدب في عالم متغير
طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
أبو الفتوح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد
الشهرستاني
تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل
الناشر مؤسسة الحلبي وشر كاه للنشر والتوزيع

شوقي ضيف (دكتور)

البلاغة تطوّر وتاريخ
دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م
البحث الأدبي (طبيعته — مناهجه — أصوله — مصادره)
دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م .
في النقد العربي

دار المعارف بمصر — الطبعة الثانية ١٩٦٦
الفن ومذاهبه في الشعر العربي
الطبعة الرابعة — دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م

الشوكاني
محمد بن علي بن محمد (صنعا ١٢٥٠ هـ)
إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول —

الطبعة الأولى مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٩٥٦ هـ - ١٩٣٧ م

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم
التفسير

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
- الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

رسالة التحف في مذاهب السلف

شرحها وصححها محمد أحمد عبد السلام

الطبعة الأولى - مطبعة المنار بمصر ١٣٥١ هـ

محمد بن علي (١٢٠٦ هـ)

الصبان

حاشية الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني ٩٠٠ هـ

منهج السالك إلى ألفية ابن مالك

دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه

حاشية على شرح الملوحي على المسلم

مطبعة وادي النيل المصرية ١٢٩٢ هـ أحمد البابي الحلبي

رسالة في علم البيان - بولاق ١٣١٥ هـ

عبد المتعال

الصعيدي

القضايا الكبرى في الإسلام

مطبعة التوكل بالجماميز - القاهرة

الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري

ابن الصلاح

٦٤٢ هـ

مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث
طبعة المطبعة القيمة بمباي - ١٣٥٧ هـ

الصنعاني السيد محمد بن اسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني
(كحلان : ١٠٥٩ هـ ١١٨٢ هـ)

سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام + متن
بلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني ٧٧٣ هـ
٨٥٢ هـ - أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل الكناني
الشافعي ج ١ + ٢ + ٣

طبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧ هـ

طاش كوبري زاده عصام الدين محمد بن أحمد بن مصطفى (٩٦٨ هـ)
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم
مراجعة وتحقيق كامل كامل بكري ، عبد الوهاب أبو
النور دار الكتب الحديثه .

ابن طباطبا محمد بن أحمد العاوي ٣٢٢ هـ
عيار الشعر

تحقيق وتعقيق دكتور طه الحاجري ودكتور محمد زغلول
سلام المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٦ م .

الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ٢٢٤ - ٣١٠ هـ
تاريخ الأمم والملوك

الطبعة الأولى - المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦ هـ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن
حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر
راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر
دار المعارف بمصر

الطهطاوى

رفاعة رافع (١٢٩٠ هـ - ٨٧٣ م)
تخليص الإبريز في تلخيص باريز
أشرف علي إخراج هذا الكتاب وحققه وعلق عليه وقدم
له الدكتور مهدي علام + الدكتور أحمد أحمد بدوي +
الدكتور أنور ثوقا

الطوسي

أبو نصر السراج ٣٧٨ هـ
السمع
حققة وقدم له وخرج أحاديثه الدكتور عبد الحليم محمود
+ طه عبد الباقي سرور
مطبعة السعادة ٣٨٠ هـ - ٩٦٠ م

عبد الجبار

القاضي أبو الحسن بن أحمد الهمدان الأستر آبادي ٤١٥ هـ
المغنى في أبواب التوحيد والعدل .
الجزء الخامس -

تحقيق محمود محمد الخضير مراجعة الدكتور إبراهيم
مذكور

بإشراف الدكتور طه حسين ٩٧٣ م
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ٦٠ م

(التنبؤات والمعجزات) الجزء الخامس عشر .
تحقيق د . محمود الخضيرى ، د . محمرد محمد فاسم .
طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٥ هـ . ١٩٦٥

عبد الشكور

محبة الله .

مسلم الثبوت .

الطبعة الأولى - المطبعة الأميرية ببولاق .

الجزء الأول : ١٣٢٢ هـ + الجزء الثاني : ١٣٢٤ هـ .

ابن العربي

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد
المعافري

الأندلسي الأشبيلي المالكي (٤٦٨ هـ - ٥٤٢ هـ)

الطبعة الأولى ١٣٢١ هـ .

أحكام القرآن .

مطبعة السعادة بمصر .

عز الدين اسماعيل (دكتور)

الأسس الجمالية في النقد العربي .

عرض وتفسير ومقارنة .

دار الفكر العربي - الطبعة الثانية ١٩٦٨ م .

العسكري

أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ٣٩٥ هـ .

كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر .

تحقيق علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم .

دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي وشركاه
الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م .

العشماوي

(دكتور) محمد زكي .

قضايا النقد الأدبي والبلاغة .

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

علي البصري

أبو الحسين محمد بن علي المعزلي (بغداد ٤٣٦ هـ) .

المعتمد في أصول الفقه .

اعتنى بتهذيبه وتحقيقه محمد حميد الله بتعاون :

محمد بكر وحسن حنفي — الجزء الأول .

المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٣٨٤ — ١٩٦٤ م .

ابن العماد

أبو الفلاح عبد الحى الحنبلي ١٠٨٩ هـ

شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

عنيت بنشره مكتبة القدسي ١٢٥٠ هـ .

الغزالي

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي

(٤٥٠ هـ — ٥٥٥ هـ) .

قانون التأويل .

عرف الكتاب وحققه محمد زاهد بن الحسن الكوثري

مطبعة الأنوار ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م .

المستصفي من علم الأصول .

المطبعة الأميرية ببولاق — الطبعة الأولى .

٢٧٢ المجاز في الدرس اللغوي — ١٨

الجزء الأول ١٣٢٢ هـ - الجزء الثاني ١٣٢٤ هـ .

غنيمي هلال

(دكتور) محمد .

المدخل إلى النقد الأدبي الحديث .

مكتبه الأنجلو المصرية -

القاهرة ١٩٦٢ م .

الفيروز آبادي

مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ٨١٧ هـ .

القاموس المحيط .

الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

القالي

أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي .

الأمالي .

المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٤ هـ .

ذيل الأمالي والنوادر .

من ص ١ إلى ص ١٥٥ ذيل الأمالي .

من ص ١٥٧ إلى ص ٢٢٤ ذيل النوادر .

مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م
الطبعة الثانية .

ابن قتيبة

أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (بغداد ٢١٣ هـ

٢٧٦ هـ .

تأويل مشكل القرآن .

شرح وتحقيق السيد أحمد صقر .

- دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي .
- أبو الفرج بن جعفر بن قدامة بن زياد (٢٦٥ هـ — ٣٢٧ هـ)
بغداد (.
- نقد الشعر
- تحقيق كمال مصطفى
- مطبعة السعادة ١٩٦٣ .
- عريب بن سعد .
- القرطبي
- « صلة تاريخ الطبري » .
- « وهو الجزء الثاني عشر من تاريخ الأمم والملوك »
- المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦ هـ الطبعة الأولى .
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١ هـ) .
- القرطبي
- الجامع لأحكام القرآن .
- مطبعة دار الشعب ١٩٧٣ .
- محمد بن عبد الرحمن بن عمر الشهير بالخطيب (٦٦٦ هـ — ٧٣٩ هـ) تلخيص المفتاح .
- القزويني
- طبع على نفقة عثمان خليفة — المطبعة العثمانية المصرية .
- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر
- القسطلاني
- ٨٥١ هـ — ٩٢٣ هـ .
- إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري .
- ومعه فتح الباري في شرح صحيح البخاري للعسقلاني

طبع بالمطبعة الميمنية بمصر .

القشيري جمال الدين أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ٢٧٦ هـ
٤٦٥ هـ نيسابور :

الرسالة القشيرية في علم التصوف .
مطبعة ومكتبة محمد علي صبيح .

القلشندي أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (٧٥٦ هـ - ٨٢١ هـ)
صبح الأعشى في كتابة الإنشاء .
الأميرية بالقاهرة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م .

ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ٧٥١ هـ .
بدائع الفوائد (أربعة أجزاء)
المطبعة المنيرية .

زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام
المرسلين .
المطبعة المصرية ١٣٧٩ هـ .

ابن كمال باشا شمس الدين أحمد بن سليمان الرومي (٩٤٠ هـ) .
التفاح شرح المراح .
المطبعة الميمنية - أحمد البابي الحلبي ١٣٠٩ هـ .

كمال بشر (دكتور) مترجم :
دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان
ترجمه وقدم له وعلق عليه

- الطبعة الثانية ١٩٦٩ م
شركة مطابع الطغاني
أحمد (دكتور)
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
- المآزني
إبراهيم عبد القادر ١٨٩٠ م - ١٩٤٩ م
حصاد المشيم
المطبعة المصرية - الفجالة مصر
الطبعة الرابعة ١٩٥٤ م
- المسبرد
أبو العباس محمد بن يزيد ١١١٠ - ٢٨٥ هـ
الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف
وقف علي طبعه وشرح ألفاظه : إبراهيم بن محمد
الدجواني الأزهري - طبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر
- المتنسي
أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي الكوفي ٣٠٣ هـ ٣٥٤ هـ
الديوان .
شرح الديوان : عبد الرحمن البرقوقي
مطبعة الاستقامة بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م
- متسى
فاتق (دكتور)
إليوت
دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .
- محمد بن سلام
الحمحي بن عبد الله بن سلام ٢٣٢ هـ

طبقات الشعراء

مطبعة السعادة — نشرة حامد عجان الحديد

محمد شاكر
القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية
طبعة النهضة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م

محمد عبده ١٣٢٣ هـ

رسالة التوحيد

دار النصر للطباعة ١٩٦٩ م

محمد محمد حسين (دكتور)

أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى
والجاهليين

الناشر المعارف بالإسكندرية ١٩٦٠ م

الإسلام والحضارة الغربية

دار الإرشاد — بيروت

الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م

ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس

شرح وتعليق

طبع بمطابع مؤسسة الأهرام — الطبعة الثانية

الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها

منشأة المعارف بالاسكندرية

الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م

محمد يوسف موسى (دكتور)

بين الدين والفلسفة في رأى ابن رشد وفلاسفة العصر
الوسيط

طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م .

١٩٧٣ م

محمود تيمور

كلمات الحياة العامة

مستخرجة من كتاب المؤلف بعنوان سلطان اللغة العربية
مطبعة الاستقامة بالقاهرة

الطبعة الأولى — بالقاهرة ١٩٥٦ م .

مشكلات اللغة العربية

المطبعة النموذجية بالحامية الجديدة

ملزم الطبع والنشر — مكتبة الآداب ومطبعاتها بالمجاميز

الطبعة الأولى — ١٩٥٦ م

عباس ١٨٨٩ م — ١٩٦٤ م

محمود العقاد

ساعات بين الكتب (جزآن في مجلد)

الطبعة الثالثة — الناشر مكتبة النهضة المصرية

مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٠ م

الفصول

« مجموعة مقالات أدبية واجتماعية وخطرات وشنور »

مطابع الغندور — بيروت

الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الأكبر

ديوان امرؤ القيس

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م

ابن مسعود

أحمد بن علي

مراح الأرواح

المطبعة الميمنية ١٣٠٩ هـ

مصطفى بدوي

(دكتور) محمد

كولردج ١٧٧٢ م - ١٨٣٤ م

دار المعارف بمصر - ١٩٥٨ م

مصطفى محمود

القرآن (محاولة لفهم عصري للقرآن)

طبعة مؤسسة روز اليوسف ١٩٧١ م

الطبعة الثالثة - بيروت ١٩٧٣ م

مصطفى ناصف (دكتور)

نظرية المعنى في النقد العربي

دار القلم ١٩٦٥ م

ابن المعتز

أبو العباس عبد الله . . . بن المتوكل بن المعتصم بن

هارون ٢٩٦ هـ .

البديع .

شريحة وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .

المعري أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان ٣٦٣ هـ - ٤٤٩ هـ
رسالة الغفران .

تحقيق وشرح الدكتور عائشة عبد الرحمن
الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - .

معمربن المثنى أبو عبيدة ٢٠٩ هـ

مجاز القرآن .

تحقيق د . محمد فؤاد سزكين

مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ

مندور (دكتور) محمد ١٩٦٥ م .

النقد المنهجي عند العرب

مطبعة نهضة مصر للطباعة - الفيحالة .

ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ
لسان العرب .

المطبعة السلفية ج ١ سنة ١٣٤٨ هـ ، المطبعة الاميرية ببولاق

مصر المعزية - الطبعة الأولى : ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦

سنة ١٣٠٠ هـ ، ج ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، سنة ١٣٠١ هـ

١٦ هـ ، ج ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، سنة ١٣٠٢ هـ ج ١٥ ، ١٦

١٧ ، سنة ١٣٠٣ هـ ، ج ١٨ سنة ١٣٠٤ هـ ، ج ١٩

سنة ١٣٠٧ هـ ج ٢٠ سنة ١٣٠٨ هـ - ١٨٩١ م + طبعة
بيروت .

المنوفي

السيد محمد أبو الفيض .

الإسلام والحضارة العالمية .

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

سلسلة البحوث الإسلامية - العدد ٦٦ شعبان ١٣٩٣
أغسطس ١٩٧٣ م السنة الخامسة .

كتاب الوجود .

« مباحث في الله والطبيعة والإنسان »

من أين جئنا ؟ - لماذا خلقنا ؟ - إلى أين نذهب ؟ .

مطبعة حجازي بالقاهرة

١٣٦٩ هـ - ١٩٤٧ م .

ميخائيل نعيمة

الغربال ١٩٢٢ م .

دار المعارف بمصر - الطبعة الخامسة ١٩٥٧ م

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

النويسري

نهاية الأرب في فنون الأدب

صححه أحمد الزين

الطبعة الأولى - مطبعة دار الكتاب ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٦ م

هارون

عبد السلام محمد

تحقيق النصوص ونشرها .

الطبعة الثانية - مطبعة المدني ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع .

ابن هشام

أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن
عبد الله الأنصاري المصري ٧٠٨ هـ - ٧٦١ هـ .

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب

حقيقه محمد محيي الدين عبد الحميد

مطبعة السعادة بمصر - الطبعة السابعة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م

مغني اللبيب .

طبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه وبهامشه حاشية الأمير
(١٢٣٢ هـ)

+ طبعة تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٧٢ م .

موفق الدين يعيش بن علي النحوي ٦٤٣ هـ

ابن يعيش

شرح المفصل .

طبعة المنيرية

(1) Encyclopaedia of religions and ethics . Inspiration .

(2) Jespersen Otto .

Language . Its Nature , Development and Origin .

London , George Allen and Unwin Ltd . (1 st Published 1922)
Printed 1947 .

(3) Read - Herbert .

English Prose Style .

London C. Bell and Sons Ltd . 1966 .

(4) Sapir - Edward .

Language . An Introduction to the study of speech .

Newyork , Harcourt , Brace and Company 1921 .

الدوريات :

كتاب الهلال

مجلة الأزهر

مجلة تراث الإنسانية

مجلة العربي

مجلة كلية الآداب

مجمع اللغة العربية

العدد ١٦٢ سبتمبر ١٩٦٤

الجزء الثاني - السنة الحادية والأربعون

المجلد التاسع : ٢ : القسم الثاني -
الفكر الإسلامي : الهيئة المصرية العامة
للتأليف والنشر .

الكويت : العدد ٧٤ يناير ١٩٦٥ +

العدد ١٢١ ديسمبر ١٩٦٨ + العدد

١٥٣ - أغسطس ١٩٧١ + العدد ١٧٥

لسنة ١٩٧٣

جامعة الاسكندرية - المجلد الثالث عشر

١٩٥٩ م

كتاب في أصول اللغة - الهيئة العامة
لشئون المطابع الأميرية ١٣٨٨ هـ -
١٩٦٩ م أخرجه وضمّطه وعلق عليه
محمد خلف الله + محمد شوقي أمين .

مجلات المجمع :

الجزء الثالث : المطبعة الأميرية بولاق

١٩٣٧

الجزء السابع : طبعة وزارة المعارف

١٩٥٣

الجزء الحادى عشر : الهيئة العامة

١٩٥٩

الجزء الثانى عشر : مطبعة التحرير

١٩٦٠

الجزء الثالث عشر : مطبعة الكيلاني
الصغير

الجزء الخامس عشر : الهيئة العامة :

١٩٦٢

الجزء السادس عشر : الهيئة العامة :

١٩٦٣

ورد طرف من المراجع والدوريات التي رجعنا إليها في مظانه من البحث
فاكتفينا بما أورد هناك عن إirاده هنا .



محتويات الكتاب

كلمة ومنهج من ص ٧ - ١٠

المقدمة الإنتاج اللغوي بين المنتج والقابل ص ١١ - ٣٥ ارتباط اللغة بالمجتمع - التجريد - الاجتزاء - عدم ذاتية الدلالة - الاستحضار - سبب التعليل - الظاهر وغير الظاهر - صور مخالفة الظاهر - لغتنا الإنسان - مناط التجوز .

الباب الأول :

المجاز في معايير الفكر ص ٣٧ - ١٣٧

الفصل الأول : ماهية التجوز ص ٣٧ - ٦٦ شيوع المادة - المجاز لغة واصطلاحاً - الحديث عن التجوز لدى اللغويين - أبو عبيدة المثني - ابن قتيبة - ابن رشيق - عبد القاهر الجرجاني - المدارس العقدية - التمثيل والتخييل - مقاصد للتجوز - الأسماء - التعليم سبباً في نشأة المصطلحات - ردنا على المرحوم أمين الخولي - سرية الأمور - الترجمات .

الفصل الثاني : قوانين التجوز ٦٧ - ١٠٨ جهات التجوز - علاقات التجوز - اختلاف الاستشهاد على العلاقة وتقريرهم لاحتمال العلاقات للشاهد الواحد - جهة اعتبار العلاقة - الدرس اللغوي المحدث - ما لم تتحقق فيه العلاقة - نوعية العلاقة - ما ليس بمجاز ولا بحقيقة - القرآن - هدفنا من القرائن - طبيعة الكتب - النسبة - الترخص فيما لا يمس العميدة - تفسير الأعداد الهائلة في الروايات - المعاصر - عدم تصوير الشعر للأفراد - قرينة السكوت - خلق القرآن - مآخذنا على القدماء - جرأة طه حسين - قرينة الحس اللغوي - الطبع - الوهم - والذوق - الحس - الحس اللغوي دلالة - مقارنة القرينة .

الفصل الثالث : نوعية الدلالة ص ١٠٩ طرق إثبات التجوز وهي مسالكه النقل عن أهل اللغة - العرف - العرف هو الموثق للجديد فيما يخص اللفظ ابتداء أو تغييرا - المجتمع هو المتجوز - خلق القرآن - الحلاج - الكرامية - النزاع لفظي - ردنا على ابن الأثير في عدم تخصيص العرف - ما اجتهد فيه العلماء - رأينا في توجيه هذا اللون من المسالك - منكرو المجاز - معالم نوعية الدلالة .

الباب الثاني :

أثر المجاز في الدرس اللغوى ص ١٣٣ - ٢٤٠ .

الفصل الأول : القيسة التجوزية ص ١٣٥ - ١٦٨ المقصود من القيمة التجوزية - بلاغة التجوز - التوكيد - التجوز والانساع - التجوز والأساطير - التجوز وتطوير اللغة - المصطلحات - درس العرب لظروف المصطلح - عبد القاهر الجرجاني ودلائل الإعجاز - الرازي وأساس التقييس - علم المصطلح - الصوفية - القراءة القرآنية - المعاجم - رأينا في الدلالة المعجمية - صعوبة المصطلح الحسن والقبح العقليين - مصطلح التأويل - ربط التأويل بالمجاز - المجاز مظهر للمستوى الدلالي .

الفصل الثاني : الاعتبار ص ١٦٩ - ٢١٢ المقصود من الاعتبار - جهدهم في الاعتبار - الاطار الخاص - الاختلاف المسحوق به - أمثلة للخروج عن الإطار - القاديانية - البهائية - ردنا علي صاحب محاولة لفهم عصري للقرآن - تحليل لقول كثير ولما قضينا من مني - عرض لتفسيرات بيت أبي فراس يمتون أن خلوا ثيابي - الأضداد - قائمة ببعض الأضداد - رفضنا للآراء التي قيلت في درس الظاهرة - أصول هذه الآراء - إمكاز الأضداد - القراء - الإسرار - الصارخ - الظن - النهل - الطرب - الأفد - ضرورة الأضداد - تعذر الترجمة .

الفصل الثالث : المشاكلة ص ٢١٣ - ٢٤٠ .

المشاكلة في النحو - في الصرف - في القراءة القرآنية -

الاتباع - المزوجة والمحاذاة - المناسبة - تفسير آيات من القرآن
المشاكلة - أفراد النداء بالبحث وتنبيه الإمام الشاطبي - استقصاء
آيات القرآن - ما ينبغي أن يكون عليه نداؤنا - سبب منعهم من
إطلاق الأسماء على الله - كلمات نبه اللغويون على عدم صحتها
وصح استخدامها - رفضنا للترجمة .

الحاتمة ص ٢٤٣ .

المصادر والمراجع ص ٢٥١ .

الفهرست ص ٢٨٧

